

الجزء الأول

المجلد الثامن والعشرون

مجلة

المجمع العلمي العربي

دمشق



١ كانون الثاني سنة ١٩٥٣ م

١٥ شهر ربيع الآخر سنة ١٣٧٢ هـ



## ابراهيم اليازجي

١٢٦٣ - ١٣٢٤ هـ

١٨٤٨ - ١٩٠٦ م

هاجر من حمص أحد أجداد بيت اليازجي سنة ١٦٩٠ ونزل قرية كفرشبا من سواحل بيروت ، وكان أهل هذا البيت على مذهب الروم الأرثوذكس فانتحلوا الكشلكة ودخل بعضهم في خدمة الدولة العثمانية كاتباً فأطلق عليه اسم « يازيجي » أي الكاتب حرفت بعد فصارت يازجي .

ولد ابراهيم في بيروت وظهرت عليه مخايل التجابة في سن العاشرة وكان أبوه الشيخ ناصيف من رجال النهضة العربية الأولى وله مقام عال في الأدب والشعر . وكان لقب الشيخ في لبنان يطلق على الطبقة التي كانت ترتفع عن العامة ونحط عن طبقة الأمراء .

وتخرج ابراهيم بأبيه في علوم العربية وحفظ القرآن في صباه وأخذ الفقه الحنفي عن الأستاذ محي الدين اليافي وأولع بالرسم والنقش والحفر وامتاز بحمال خطه . وهو الذي قش بعد أمهات حروف مجلته البيان والضياء وحروف المطبعة الأدبية وكانت منها حروف معظم المطابع في الشام ومصر .

وتعلم الفرنسية والانكليزية وأخذ بطرف من الألمانية . وقال أحد مربيه في الكلام على اتقانه الفرنسية انه سمعه يقرأ فصولاً استلمح عربيتها ثم تبين ان نظره كان يجول في السطور الفرنسية فيلقها لسانه بالعربية الفصحى .

قال لي المترجم له : لو كان لي اختيار لآثرت أن أكون رساماً مصوراً الا انني رأيت الأجدد بي الانصراف الى خدمة اللغة العربية حتى لا يُفلق

يبتدأ بانقراض افراده المعنين بهذه اللغة فيفوتني شرف خدمتها على ما كان الحظ  
لأبي في هذه الخدمة .

انضم الشيخ في أول شبابه الى الجمعية العلمية السورية فألقى فيها الخطب  
وأثرد القصائد ثم تولى تحرير جريدة النجاح فحسب المقالات وترسل ، فكانت هذه  
الجمعية وهذه الجريدة مدرسته الأولى في البيان والصحافة .

وعهد اليه الآباء اليسوعيون بتقوم ترجمة الأسفار المقدسة وكانت عربت  
عن أصلها العبراني واليوناني عدا ثلاث ترجمات عنزية كانت أمام من قاموا على  
تصحيحها ، وكان تعريب المزامير والانجيل مقيداً بترجمة عبد الله زاخر لشهرة  
نصوصها في المعابد . ففضى الشيخ في هذا العمل ثماني سنين واضطرته معارضة  
الترجمة على المتن الأصلي الى التبحر في بعض اللغات السامية ولا سيما العبرانية  
والسريانية وألف في العبرانية كتاب نحو وصرف نسج فيه على منوال النحو  
العربي وصرفه .

علم الشيخ دهرأ في المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك في بيروت خلفاً  
لأبيه فتخرجت به طائفة من الأدباء كانت لهم منزلة رفيعة في الآداب . وفي  
سنة ١٨٨٤ نشر بالاشتراك مع الدكتورين بشارة ززل و خليل سعادة مجلة  
« الطبيب » سنة واحدة ثم هاجر الى مصر فأصدر فيها مجلة « البيان » بالاشتراك  
مع الدكتور ززل سنة واحدة ، واستقل بعد ذلك باصدار مجلة « الضياء »  
وقد اطرد صدورها ثماني سنين حتى سنة وفاته . وكانت من أمتع المجلات العربية  
بجمال أسلوبها وطلاوة عبارتها وطرافة أبحاثها . وفي الضياء ظهرت شخصيته ،  
كأن ما كان مضى من حياته العلمية في لبنان قبل أن تصح عنزيته على نشر  
مجلة في مصر كان دور استمداد تجلي بعده نبوغه على أكمل حالاته ، وما سبق  
له من نشر آيات علمه وأدبه كان كالمقدمة قدمها بين يدي كتابه الشامل .



روفي الطيب والبيان والضياء توفر على نشر أبحاث متسلسلة استخرج من بعضها كتباً برأسها مثل «لغة الجرائد» . ومن أبحاثه المتممة «أمالي لغوية» ، «أغلاط العرب» ، «أغلاط المولدين» ، «اللغة العامية واللغة الفصحى» ، «اللغة والمصير» ، «أغلاط لسان العرب» ، «الجزاز» ، «الشعر» ، «التعريب» ، «العلوم عند العرب» الى غير ذلك من المقالات والأبحاث المتممة . ومن كتبه «نجمة الرائد في المترادف والمتوارد» . ومنها اختصار أو تصحيح بعض كتب والده كمختصر «نار القري» و«مختصر الجمانة» وشرح ديوان المنبي سماه «العرف الطيب» . والى ذلك يشير في آخر هذا الديوان اشارة تتم عن ير بوالده قال : «وانا أقيمت عنوان الشرح باسمه - باسم أبيه - رعاية لكونه هو واضع الأصل فلم أؤثر ان أنطفل عليه في نسبة الكتاب ، وان تطلعت عليه في التأليف . واني لأرجو ان يكون قد وهبني الله السلامة في ذلك كله ، وأنزلي من هذا الشرح منزلة توجب استدرار الرحمة علي واضعه ، ولا تكون مدرجة لنقص برّي به بأن أمر عليه تبعة تلزمني دونه او ينسب اليّ فضل هو أحق به مني . ومماذ الله أن أدعي نفسي في جنبه فضلاً أو علماً فانما أنا احدثت بتنازه واقتديت بآثاره ، واني لاعلم لي الا ما علمني» .

وصحح الشيخ كتباً كثيرة ومنها «تاريخ بابل وأشور» و«نفع الأزهار» و«دليل الهائم» و«نخب الملح» و«العقود الدرية» في شرح شواهد المختصر و«رسالة الغفران» للمري و«الفرائد الدرية» وهو معجم عربي فرنسي - وتقد القسم الذي ترجمه باريه دي مينار من مستعربي الفرنسيين من كتاب «مروج الذهب» للمعدي كما تقد تكملة المعجمات العربية لدوزي . ومعجم «محيط المحيط» للبستاني وسماه الحواشي ، ومعجم «أقرب الموارد» للشرتوني ، و«الدرة البتية» لشكيب أرسلان ، وناقش أرباب المقنطف فيما وقع لهم من الأغلط وغير ذلك .

وصرف شطراً من حياته في تأليف معجم سماه «الفرائد الحسان من قلائد اللسان» قال انه شرع في وضعه مقتصراً على الفصح دون المولد والمحدث في الاصطلاح لأنه رآهما طرفين لا يلتقيان ولا تؤلف منهما حلقتا بطان ، فضلاً عما يقتضي بحث الطارئ من التجرد والجهد ، واخلاء الذرع للبلوغ الى باحة القصد ، فلا بد من افراد هذا القسم في كتاب مخصوص يحاط به بعد مراجعة الكتاب والنصوص قال : وقد وضعت الكتاب على نسق لم أكن متابعا فيه ولا مقلداً ، ولا متحدياً ممن سبقني أحداً . فاني اعتبرت فيه جانب المعاني في كل مادة فقدمت منها ما حسبته الأصل في ذلك التركيب ثم ألحقت به ما تفرع عنه من طريق المجاز الأقرب بالأقرب الى أن تنقطع سلسلة الترتيب ، وما بقي بعد ذلك مقتضياً من ذلك النظام ذيلته في آخر المادة وضمنته المشهور من الأعلام ، وكل ذلك على أسلوب مختصر اطرحت فيه الوحشي من اللفظ والمهجور في استعمال الفصحاء . وتجنبت ما يستحي منه من ألفاظ السوءات ، وما يضاف اليها مما تبدأه نفوس الأدباء ، وكنت قد بلغت في تسويده الى آخر حرف الحاء المهملة مما يقدر بالربع أو يزيد ا ه .

أولع الشيخ ببلاغة القرآن . حدثني تلميذه صديقي خليل مطران الشاعر انه كثيراً ما كان يقول لتلاميذه اذا تصدوا للكتابة ونشر المقالات أن يستشهدوا بآيات القرآن ليكون بها رونق لما يكتبون ، أو ما هذا معناه . فمن كان هذا اعتقاده لا يعقل أن يطمئن ببلاغة الكتاب العزيز وفصاحته على ما اتهمه بذلك بعض الطوائف من أنه عارض القرآن وحط من شأنه في رسالة له فحلتها اياها وما هي الا من أقلام بعض دعائهم .

وكان أعداء الشيخ من الفريق الذي أصلاهم الشيخ نار تقده مثل صاحبي المقنطف وصعيد الشرتوني وشكيب أرسلان وجماعة اليسوعيين ، وعلى مطبوعات

هؤلاء حمل حملة شعواء وكثيراً ما عمد في حوارهم الى السخرية وربما انتهى بعض هذه المناقشات بالمهاجرة أحياناً وأدى بعضها الى ما كان يودّ أحباب الشيخ لو تصورّ عنها . وقيل ان الشيخ كان ينشر أشياء باسم بعض تلاميذه أو باسماء مستعارة غيرهم فيما لا يريد أن ينسب اليه . وهذا أيضاً لا يخفيه من تبعه خصوصاً وهو في بعده عن اللغو والتخلي بالفضائل النفسية المثل الأعلى . بيد أنه جبّل على حب المطارحات والمناظرات وبها تجت ملكته في البيان هذا التجلي الرائع ، إذا أريد التنظير بين كلامه وكلام معاصريه وفي المناقشة التي دارت بينه وبين العلامة احمد فارس كان أكثر اعتدالاً مع أنه كان شاباً وخصمه كان شيخاً . كان الشيخ يألم من يرتكب غلطاً لغوياً ألمه عن يسيء اليه مباشرة فما كان يغفل عن فقد معظم ما كان يهدى اليه من الكتب الجديدة لتقريظه والتتويه بصاحبه ، وكل ذلك حتى لا يبعث باللفة عابث و « كان أقصى أمانيه أن يبيد الى اللغة بجهتها الأولى ويرد الناشئة من كتاب العصر الى النهج القويم من الاحتفاظ بقواعدها وأصولها المقررة في أمهات المعاجم ، وكتب البلاغة المعروفة بصحة التعبير وفصاحة الألفاظ ، والا يمدل الى المولد الدخيل الا بعد طول البحث والتتقيب ، واجماع أهل العلم الواسع من المحققين ، وبعد اليأس من الوقوع على الفصح الأصيل . »

وبما كان يحزنه ان اللغة لا تقي بمطالب العلم في هذا العصر ولذلك وضع الفاظاً لمسميات افرنجية صرى بعضها على أسلات أقلام الكتاب والصحافيين في حياته ، وعرب بعض المصطلحات تعريفاً صحيحاً ولو طال به الأجل لاستكثر من كل ما يفيد اللسان العربي حتى يداني بجاته العلمية لغات العلم عند الافرنج ويؤدي على أيسر وجه معاني الألفاظ الجاري استعمالها في العلم والاجتماع والفن والصناعة .

قال لي مرة وأنا أسأله رأيه في اللغة المصرية : اني مقتبط بأن اللغة علت بلهبتها ، وقل فيها الابتذال الذي كان لها أول نهضتها ، ويتخللها الآن من الفصح

مالم يكن يعهد فيها في عصور الانحطاط . وكيف لا يفرح لسمو اللغة وهو من أول العارفين بجرس الألفاظ ورتبتها وخفتها وثقلها ، وإدراك أجدد المواضع باستعمالها . درج حياته على تصفح كتب البلاغ والتقاط ألفاظها وتراكيبها الجميلة يتأملها ويدمج في تضاعيف كلامه ما تقضي الصناعة بادماجه ، يقرنها إلى أمثالها مما وعاه صدره ، وبهذا ارتفعت كتابته عن كتابة غيره إذ توفرت لها المادة والقوالب وعرف أساليب الكتاب على اختلاف العصور فبعد عن مستوى غيره .  
يعين على ذلك ذوق سامر جمع بين أدب الأفرنج والعرب . هذا وهو لم يعالج من فنون الإنشاء إلا ما أخذ من نفسه ، ولا تتعلق همته على الأكثر بغير الموضوعات الأدبية والتاريخية القريبة المأخذ مما لا يتعاصى تفهمه على من شدوا شيئاً من الآداب .

كانت مجلة «الضياء» كتابه الأم حفلت بالفوائد الأدبية واللغوية حتى ليستخرج منها عدة كتب ، ومن أم ما ينتزع منها مجموعة جميلة من نقده الأدبي وسخرياته . يستخرج منها أسفار نافعة حري بالناشئة أن تجعلها سمرها في خلوتها وتتخذها أصولاً للبلاغة . وفي مجلته هذه يتمثل لعينيك جهده في إنشائها وتوفره على اتقان أبحاثها حتى لقد صدته عن النظر في سائر مؤلفاته ومنها معجمه ، ويبدو لناظرك أن صاحبها قد نقى اللغة وغربلها وطحنها ونخلها وعجنها وخبزها فجاء منها بكل لقمة كريمة وحلواء لذيذة .

وكان باب النقد مما يجب مجلة الضياء إلى القراء ذلك لأنه كان على مثل اليقين أن أبحاثها لا تخلو من جفاف كان بداويه بشيء من الفكاهات والأفاصيص يكتبها له أهل هذا الشأن من تعريبهم أو تأليفهم . والناس أميل إلى تلقف ما يليهم منهم إلى الجنوح إلى ما يتعلمون منه ، ولو يحصر أذهانهم دقائق معدودة ، والبحث في الآداب مما يثقل على السواد الأعظم وهم لا عهد لهم بالنظر في هذه الأبحاث ويمدوننا من الأبحاث الجامدة .



وكانت الضياء تبرز الى قرائها في حلة لبنانية بروحها وموضوعها . اذا قرأها القاري تراءى له انها تكتب في لبنان وتطبع في مصر . وترى منشئها فيها وقد التف حوله تلاميذه وذوو قرياه ومواطنوه من الشاميين يؤازرونه في انشاء مجلته فيما يتقنون من الموضوعات فلا يكاد المتأمل يقع بينهم على كثير من النابيين المصريين ينشرون أبحاثهم في مجلته . ولعلّ العلة في ذلك ابتعاد الشيخ عن الاختلاط بالناس ، فأكثر الشاميين في مصر يعيشون بين الجالية السورية لا يمتزجون بالمصريين كثيراً . على انه بندر يومئذ في المصريين رجال من الطراز الذي تمجّب صاحب المجلة كتابته وبجسته .

لم ينصرف الشيخ الى الشعر انصرافه للنثر ولذلك بعد من المقلين منه ، استخدمه في أغراض اجتماعية على الأغلّب ، كأن يذكر العرب بمجدهم او يدعو القوم الى كسر قيود الاستبداد وتطلب الحياة الحرة والقضاء على من وقفوا عثرة في سبيل نهوض العرب وكانوا سبباً في تدنيه وخموله .  
فمن شعره في هذه المعاني :

وما العرب الكرام سوى نصال	لها في أجفان العلياء مقام
لعمرك نحن مصدر كل فضل	وعن آثارنا أخذ الأنام
ونحن أولو المآثر من قديم	وان جحدت مآثرنا اللثام
فقد علم العراق لنا قديماً	-أيادي ليس تتكرها - الشأم
وفي أرض الحجاز لنا فيوض	يسيل لها الى اليمن انسجام
وفوق الأندلس لنا بنود	لهامات النجوم بها اعتمام
وصل في الغرب عن آثار فخر	لها في جبهة الزمن ارتسام

وله السبئية المشهورة ومطلعها :

دع مجلس الفيد الأوانس وهوى لواحظها النواعس

الى أن يقول :

فالشّر كل الشّر ما بين المائم والقلانس  
 واخير كل اخير في هدم الجوامع والكنائس  
 ما هم رجاء الله فيكم بل هم القوم الأبالس  
 يتشوت بين ظهوركم تحت الطيالس والقلانس  
 أي النميم لمن بيست على بساط النل جالس  
 ولن تراه بانسا أبداً لذيل الترك «بانس»  
 ولن أزمته بكف - عداه يظلم وهو آيس  
 ولن تباح حقوقه ودمائه بيع الخائس  
 ولن يرى أوطانه خيراً كأطلال دوارس

وقال في الترك :

فالترك قوم لا يفوز لديهم الا المشاكس  
 أولستم العرب الكرام ومن هم الشم المعاطس  
 فاستوقدوا لقتالهم ناراً ترّوع كل قابس  
 عمت قبائحهم فأضحت لا تخيق بها الفهارس  
 حال بها طاب التيسم للوغى والموت عابس  
 وحلا بها منك الدما . وصفكها للجور حابس

ومثلها قصيدته :

تنبهوا واستيقوا أيها العرب فقد ظما اخطب حتى غاصت الركب  
 فم التعل بالآمال تحددكم وأنتم بين راحت القنا صلب  
 كم تظلمون ولستم تشكون وكم تستغضبون فلا يبدو لكم غضب

ثم بعرض بحكام تلك الأيام فيقول :

سلاحهم في وجوه القوم مكرم وخير جندهم التديس والكذب  
لا يستقيم لهم عهد اذا عقدوا ولا يصح لهم وعد اذا ضربوا  
بالله يا قومنا هبوا لنا انكم فكم تنادبكم الأسفار والخطب  
الستم من سطوا في الأرض واقحموا شرقاً وغرباً وعزوا أبننا ذهبوا  
فالكم ويحكم أصبحتم هملاً ووجه عنكم بالهون منتقب  
لا دولة لكم يشتد أزركم بها ولا ناصر للخطب يندب  
أقداركم في عيون الترك نازلة وحقكم بين أبدي الترك مفتصب

وأظن هذه القصيدة هي التي اتهم بها أحد الأدباء يومئذ وحبس بها سنة  
كما قال لي الشيخ رحمه الله . وهذه القصائد تنادي بأنه كان حراً بدعو الى  
الحرية وعسرياً يبكي لمجد العرب ويحاول أن ينزعوا من ربقتهم حكم العثمانيين  
وينجوا من الاستعباد . وهو ما كان يطيب له ادعاء هذه القصائد لأن قصده  
مجرد عن الغاية فلا يطمع في الظهور والتجدد . ولو ظهر عليه أدنى أثر من  
الانكار على الدولة لناله من العقوبات أفظمها فهو بعقله وحنيطته بتقييم ولا يرتكب  
مالا يرضيه على ما كان بنتي أهل بيته ، وبيته كانت جد متعصبة جامدة ،  
وكنت تلمح حربة فكره تلمع أشعتها من خلال ما ينشره وينجلى للناقد  
البصير أنه معلم حكيم يرمي الى تهذيب النفوس بكل ما لديه من الذرائع ،  
ويحاول اخراج أمته الى طريق سليم ليدخلها في غمار الأمم الناهضة وهو الذي  
يعرف مبلغ أمته من معاونته ومعاونة أمثاله ولذلك لم يجاهر بدعوته لأن الأمة  
خلت من هذه المعاني وما كانت تفكر الا في الساعة التي هي فيها .

وما سلم الشيخ من عيوب الشعراء المتأخرين فقد كان أصحابه وجيرانه وأهله  
يريدونه على أن ينظم تواريج لأضرحة موتاهم ، وكان يرجي ألا يقبل اضاءة



وقته في مثل هذه المنظومات ومنها المدح والثناء ، وما كان الحامل له على نظمها  
 الا ارادة التخلص من تمجيز المعجزين وقد اعتاد الناس ألا يرضوا عن الشاعر  
 الا اذا مدح أحياءهم ورثى موتاهم ، وقد أثرت له رسائل لك أن تدعوها من  
 جنس الاخويات كان يبعث بها الى أحبابه أو الى ارباب الوجاهة لدفع مفرم  
 وجلب مفرم لمن يتوسطه ، يكتبها من حاضر الوقت لا يتعمل فيها ، وأكثرها  
 مسجوع اذا تلوتها تراهي لك انه ينسج فيها على منوال الهمداني والخوازمي  
 والصاحب ، ومن شعره الجميل يذكر حمص نبت أجداده :

وستقى الله أرض حمص وحيت ثمرات الرضا خصيب ثراها  
 هي فردوسي القديم ومنها ثمرات الحياة كانت جناها  
 ومنه :

لبس الرقيقة من شأني فان عرضت أعرضت عنها بوجه بالحياه ندي  
 اني أضن بعرضي أن يلم به غيري فهل أتولى خرقه يدي  
 وقال في ساعة دقاقة :

ومحبة أعمارنا كلما انقضت لنا ساعة دقت لها جرس الحزن  
 فابنت هذا الدهر سرت بسيره فهل أنت دون الناس منه على أمن  
 وقال في عود الطرب :

وعود صفا الندمان قدماً بظله وما يرحت تصفو لديه المجالس  
 تمشفه طير الأراكة أخضراً وحنّ اليه ريشه وهو يابس  
 وقال في بعلبك :

يا بعلبك غريبة الأزمات والهدى والصناع والبنيان  
 لم تُبلك الأيام في حدثانها الا لتظهر قدرة الرحمن

وقال :

تعجب قوم من تأخر حالنا ولا عجب في حالنا ان تأخرا.  
فقد أصبحت أذناننا وهي أروس غدونا بحكم الطبع نمشي الى الورا

وقال في الحكم :

حياة أمرُ العيش فيها مذموم وناس بها قلب الخلي متم  
سقت كل قلب كل يوم مشارباً توهم فيها لذةً وهي عظم  
وما الأرض الا قفرة زارت بها أسود المتايا حولنا وهي حوم  
لهذا كل يوم بيتنا كل منذر ينادي علينا مسعماً وهو أبكم  
تنهينا بعضاً بعضاً فتنتهي وأجفاننا في غفلة اللهو نؤم.  
خلت دونها شم الحصون فلم تكن لساكنها من غارة البين نعصم  
وأصبح من قد كان يهرب بأسه يناح عليه بعد حين ويروحم.  
تراب من الأرض استوى تحت صورة تلوح عليها مدة ثم تهيم  
إذا ما دفننا للبلية مرة ولم نتفح بالحزن فالصبر أحزم  
جرى قدر المولى بما شاء واستوى لديه جزوع في الأمي ومسلم  
وليس لنا من مطعم فات نيله إذا كان ما نيفيه ما ليس يقم  
وما كان ما لا بد منه مؤخرأ يهون لديه الرزء وهو مقدم  
وما الفرق في الخالين الا هنيهة تمر سريعاً والقضا متجهم

ومن قوله في الحكم أيضاً :

وانما نحن في دار اذا اعتبرت ليست سوى ماتم ناحت به البشر  
في كل يوم أناس فوقها فجحوا على أناس طوتهم تحتها الحفر  
بس الحياة التي ما زال واردة يمازج الورد في كاساته الصد  
حالان احدهما مملوءة حذراً مما يليها وأخرى فانتها الحذر

قال في مصير الأرض من مقالة :

واعتبر ذلك في الأرض وما يؤلف أديمها من الجواهر ، ويشتمل عليه جوها من العناصر ، وما يمش عليها من النبات القائم في الصحراء ، والحيوان السارح على وجه الغبراء ، والساحج في لجتي الماء والهواء ، تجد هناك سلسلة يتصل أعلاها بأسفلها ، ويتحول بعضها الى بعض حتى يرتد آخرها الى أولها ، بل ترى الأرض نفسها عرضة للطبيعة تفزوها بالسيول الجوارف والرياح النواصف ، والأمواج التي تهاجم ثغورها والزلازل التي تصدع صخورها ، متعاقبة عليهما ما تعاقب الليل والنهار ، الى ان يأتي يوم تنحل فيه الجبال ، وترسب في درك البحار ، ثم لا تزال المياه تسحل وجه الأرض حتى لا يبقى فيه أمت ولا انحناء ، وحتى يفسرها الماء من كل ناحية وقد عاد سطحها متوياً تحت الماء كما سنوء سطح الماء ، فعادت كما كانت في اول خلقها ماء غامر وكون بائر ، قد خلا من عالمي البر والهواء ، ولم يبق فيه من ذوات الحياة الا عالم الماء .

« هذا اذا لم تصب الأرض قبل ذلك بالهرم ، وينضب ماؤها بعد خمود ما في باطنها من الضرم ، ولم تنشرب هوائها فلا يتنفسه بعد ذلك نبات ولا حيوان ، ولا يجيد ذو جناح ما يعتمد عليه جناحه في الطيران ، على حد ما تم ذلك في القمر حتى لم يبق فيه وشل لمرتاد ، وحتى تجرد من ثوب هوائه او كاد ، وحتى اصبح قفراً هامداً لا ينبت عليه شجر ، ولا يتنفس فيه دابة ولا بشر . بل لو بقي هواه الأرض وهو خال من بخار الماء لجمد البر وسطحها تجميداً ، وانقبض الأحياء من وجهه حيث يقع شعاع الشمس عموداً . ثم لا يزال بساطهم يزداد ضيقاً على توالي الخب ، الى ان تموت آخر عشيرة منهم بالبرد والسف ، فتدقها الثلوج حيث لا تنكشف ريمها الا يوم التلاقي . وتخط بد القضاء على أديم الأرض سجان الحي الباقي .

« وهذا اذا لم تهرم الشمس فتقلب نارها برداً ، ولكنه يرد بغير سلام ، فتبهيم السيارات والأقمار من حولها في فضاء من الزمير والظلام ، ويومئذ لا يبزغ الصباح فيذهب آفاق المشرق ولا يقبل الماء فيخيم على أرجائه بجيشه المطبق ، ولا يكون اذ ذاك كسوف ولا خسوف ، ولا تبدو القبة الزرقاء بلونها المألوف ، ولكنها تلتحف السواد حداداً على عالمها بالأمس ، وقد التف بكفن من الثلج فأوته منها الى مثل ظلمة الرمس . ويومئذ تنجمد البحار فلا يكون موج بنفس ، ولا سحب ينجس ، ولا سيل يتدفق ، ولا جدول يترقق . وتركد حركة الهواء ، فلا تهب شمال ولا صبا ، ولا تجري نسمة على الوهاد والربى . وأنتى والشمس مصدر الحركة في العوالم ، وقوام الحياة لكل قائم ، فاذا هبت الريح فالشمس هي التي تهب ، واذا دبت النسم فالشمس هي التي تدب ، واذا انتشر الغمام فهي التي تنتشر ، واذا انهمرت الفيوت فهي التي تنهمر ، ألا وهي الشمس التي تجري في الأنهار ، وهي التي تغرد في الأطيوار ، وهي التي تزهر في الرياض ، وهي التي يسمع حفيفها في الفياض ، وعلى الجملة فالشمس هي روح الكائنات وقوادها ، واذا ماتت الأفتدة فحال أن تميش أجسادها . ١٠ هـ .

وبعد فلن بنبغ لبنان أكتب من الشيخ فيما أعتقد ولا أجزل حظاً منه في علوم البيان وندر أن كملت لغيره ما كمل له من عبقرية صقلتها العناية أي صقل ومن قام بواجبه في خدمة اللغة وسلك كل طريق نافع في غرضه . فقد قال فيه الأستاذ الامام محمد عبده انه أكتب من ادب بكثير بل هو أكتب المعاصرين فيما أرى . وناهيك بها من شهادة . وقال فيه الأستاذ شينو ان كلامه يظهر لقارئه كأنه المرآة الصقيلة أو الماء الزلال ، فكان لا يزال يردد النظر فيما كتب وينقحه مراراً حتى يخرج منه كالبرد القشيب والجميلة الناعمة .

وقال الأستاذ عبود « ان انشاء الشيخ ليس بالانشاء المتمق العالي اذا امتثنا صدر مقالتي الزهرة والقمر وفيها ظهر أنه ناثر فني من الطراز الأول فخياله



طريف فيها ومجمله أنيق ظريف ، كأنه الشعر أو فوق الكثير من الشعر ،  
وقد كتب جل ثره بأسلوب العلماء والمؤرخين والكتاب الاجتماعيين ، وتضمنه  
من اللغة وادراكه أسرارها أدى به الى العدول عن المجاز ، وله فضل على النهضة  
بتهذيبه الصحيحة ، وكان له أبعاد الأثر في توجيه كتاب النهضة نحو الكلام  
الصحيح السليم ، ولئن كان في انشائه جفاف أساليب العلماء فلا تنس ان فيه  
صحة وشدة أصر » .

كان سميت الشيخ سميت العلماء وكان على جانب عظيم من الوقار تقرأ في  
طلعه جلال العلم وجمال الأدب ونحس في كلامه كأنك في مجلس فنان  
أفنى أيامه في التحقيق والتدقيق : عقل عالم ، وحكمة حكيم ، وعين فنان ،  
وذوق شاعر .

كان الشيخ مأخوذاً بطلمه مخلصاً له ، لم يتعلق من الحياة بغير المعنويات ،  
دار حياته في دائرة ما حدثته نفسه أن بتخطاها قيد أنملة فلم يخرج فيها عن  
نشر العلم والآداب ، وخدم لغة القرآن خدمة لم يوفق الى أكثر منها أكبر  
علماء الاسلام ، وعاش مقللاً متقشفاً لم يطرق أبواب الملوك ولا رجال المال  
ليستعين بهم على ما يضطلع به ، ومع أنه سبق للدولة المصرية قبله أن عاونت  
البنانيين العظميين بطرس البستاني واحمد فارس الشدياق من رجال النهضة الأولى  
فهو لم يجد من حكومة مصر العربية عوناً وغفل أغنياء المصريين والشاميين عن  
الأخذ بيده . وكان يشير في الأحايين الى هذا النقص في أخلاق الأمة  
ويردد ان الأغنياء وارباب الشأن بمزلة عن تشدان المطالب العالية والمشاركة  
في الأمور النافعة .

عاش الشيخ عزيز النفس وما أصف الى ما أصف أكثر علماء عصره ومات  
لم يتزوج ولم يعرف معادة البيوت وعطف الولد . ومن أغرب ما يسجل أن

حكومة لبنان اقترحت عليه أن توليه « فائمه مقام » على زحلة وهو عمل يقوم به بعض نلاميذه على أنه لم يخلق للإدارة ولا للسياسة . وكافأته الجالية السورية في البرازيل بعد وفاته بأن صنعت له تمثالاً نصبته بيروت في إحدى ساحاتها .

قلت فيه يوم نعيته في جريدة « المؤيد » : قضى حياة المتعلم والمعلم والعالم على أكل وجوهها ، وبرز خاصة في علوم العربية على أقرانه فعد من آحاد زمانه . نشأ في بيت كان ربه يتغنى ليله ونهاره بالشعر والأدب ثب وشاب فيها نشأ عليه وأنشئ له . وناهيك بمن يرضع اللغة من صفره ويعاني الأدب في جميع أدواره ، لا يصل إلى ضمه غيره ولا تقع عينه على ما سواه والجميع مستحسن له ومصنف ومؤمن على أقواله ومصداق . . . . ولا بد لمن يتمحض للانتقاد أن يلاقي مالتى الشيخ اليازجي فيصاب ويصيب . والناس لم يأنفوا الانتقاد وأكثر المتقدمين بمدون الانتقاد ثلماً لشرفهم واسقاطاً لأقدارهم ، والناقد كيفما كانت الحال لا تصفو له القلوب » .

محمد كرد علي

www.alukah.net

## تعريب الاصطلاحات العلمية

اللغة العربية من أغنى اللغات ، وأوسعها اشتقاقاً ، وأدقها تعبيراً ؛ صقلتها القرائح والعقول في الماضي بضمة عشر قرناً حتى جعلتها لغة الشعر والخطابة ، واصطنعها العلماء في مفردات الطب والكيمياء والرياضيات والفلسفة حتى جعلوها لغة العلم والثقافة .

والسبب في اتساع اللغة العربية لجميع الاصطلاحات العلمية انها لغة غنية كثيرة المرونة ، لطيفة المخارج ، فيها ألفاظ متباينة ، ومتفقة ، ومترادفة ، ومشتقة<sup>(١)</sup> . وربما وجدت فيها أيضاً ألفاظ مختلفة دالة على معان متقاربة ، وان كانت أشخاص تلك المعاني مختلفة ، وربما دلت على أحوال مختلفة ولكنها مع اختلافها هي لشخص واحد .

ولكن هذه المرونة في دلالة الألفاظ على فائدتها لا تخلو في بعض الأحيان من الالتباس والاشكال ، ولا من الغلط والخطأ في التعبير . لأن الأصل في الكلام هو أن تختلف الألفاظ بحسب اختلاف المعاني . ومن حق المعنى كما قال الجاحظ أن يكون الاسم له طبقاً ، وأن لا يكون له فاضلاً ولا منفضولاً ، ولا مقصراً ولا مشتركاً ولا مضمناً<sup>(٢)</sup> .

ولكن العلماء الذين أخذوا في عشرات السنين الأخيرة يدونون علوم العصر ، وينقلونها من اللغات الأوربية الى اللغة العربية لم يتقيدوا بهذا الأصل الذي

(١) للتباينة هي التي تختلف باختلاف المعاني ، والمتفقة هي التي تتفق فيها اللفاظ واحدة بينها ومما فيها مختلفة ، والمترادفة هي التي تختلف الفاظها ومعانيها واحدة .  
(٢) البيان والتبيين ، الجزء الأول ، ص : ٧٥ .



قدمناه ، بل مالوا الى استعمال الألفاظ المترادفة للدلالة على المعنى الواحد ، أو الى استعمال اللفظ الواحد للدلالة على المعاني المختلفة . فعرض لهم من اختلاف في المعاني ما عرض للشعراء والخطباء وأصحاب السجع من استعمال الألفاظ المترادفة والمتواطئة ، وان كانت متباينة بالحقيقة . فأدعى فعلهم هذا الى الالباس والاشكال ، والى كثير من الغلط والخطأ . مع انه كان ينبغي لهم اذا وجدوا ألفاظاً مختلفة متقاربة المعاني أن ينظروا فيها ويبحثوا عن السبب في اختلافها ليضعوا لكل معنى لفظاً مطابقاً له ، الا أنهم قلدوا في ذلك البلقاء والشعراء والخطباء فجاءت اصطلاحاتهم كثيرة الغموض وعلومهم قليلة الوضوح والضبط . والدليل البين على ان الأمر على ما ذكرناه ان الشخص الواحد يستعمل للدلالة على المعنى الواحد ألفاظاً مختلفة فيترجم كلمة (Déduction) تارة بالاستدلال وأخرى بالاستنتاج أو الاستنباط ، ويستعمل اللفظ الواحد للدلالة على المعاني المختلفة فيترجم كلمات (Intelligence) و (Raison) ، و (Bon sens) كلها بكلمة عقل .

واذا كان الشخص الواحد لا يتقيد هو نفسه بالاصطلاحات التي اختارها ، فما بالك بالترجمين الآخرين الذين قد يوافقونه على اختياره أو يخالفونه ويخالفون أنفسهم ؟ وما بالك بالقارئ الذي يجهل اللغة الأجنبية ، هل يفهم ما يقوله هؤلاء وما يكتبونه ؟

ان مدار الأمر والغاية التي يجري اليها الكاتب والقارئ ، انما هو الفهم والافهام . فاذا كانت معاني الألفاظ تختلف باختلاف القائل والسامع فكيف تنضج ، وكيف تفهم ؟ ان التفاهم بالألفاظ متبدلة المعاني أصعب من التعامل بنقود متبدلة القيم ، فلا بد للعلماء اذن من الاتفاق على معاني الألفاظ ، ولا بد لهم أيضاً من تثبيت الاصطلاحات العلمية حتى لا تتبدل الحقائق بتبدل الألفاظ التي أفرغت فيها . ان الألفاظ حصون المعاني وتثبيت الاصطلاحات العلمية

هو الحجر الأساسي في بناء العلم . فاذا أقيم هذا البناء على أساس متحرك لم يبلغ الغاية التي أنشئ من أجلها .

على أنه قد يقال ان الأساس في العلم هو الكشف عن الحقائق ، وان الحقيقة اذا كشفت فبأي لغة بلغت الافهام فذلك هو البيان المطلوب . ولكن هذا القول يهمل ناحية أساسية من الاصطلاحات العلمية وهي ان السبب الذي من أجله احتيج الى وضعها لا يقتصر على الافهام وحده . لأن العالم بالشيء يفهمه مما تكن اللغة التي تستعملها في تفهيمه اياه ركيكة وهضربة . ولكن تثبيت الاصطلاحات العلمية لا يفيد العلماء الاخصائيين وحدهم بل يفيد المعلمين والتعلمين كما يفيد جمهور القراء . فله اذن فائدة في التربية ، وفائدة اجتماعية معاً .

أما الفائدة في التربية فهي ان تثبيت الاصطلاحات يستلزم تحديد معاني الألفاظ وتوضيحها ، فلا يستعمل اللفظ الا فيما وضع له ، ولا يدل على المعنى الواحد الا بلفظ واحد . وفي ذلك تيسير لعمل المعلمين والتعلمين معاً . لأن المعاني اذا كانت محددة ، سهل على المعلم شرحها وعلى المتعلم فهمها . وكذلك الألفاظ اذا كانت مطابقة للمعاني صار استعمالها أدق ووضوحها أتم . وقد عرفنا بالتجربة أن التلاميذ الذين يقرأون النصوص الفلسفية دون أن نشرح لهم اصطلاحاتها يضيعون زماناً طويلاً في تفهم ما يقرأون دون أن يصلوا الى نتيجة . وكثيراً ما يورثهم هذا الأمر كرهاً للفلسفة وعجزاً عن النجاح في الامتحان . حتى ان بعضهم وان نجح في فحوصه بمتاد استعمال الألفاظ الفارغة فيردد ما قرأه كالبغايا أو يلوكه كما يلوك الطفل طمامه . وهذه العقول البيئاتية التي تردد الألفاظ الفارغة تعجز في مستقبل حياتها الفكرية عن الانتاج العلمي . وربما كانت تمارين الترجمة التي تقتضي مراجعة معاني الألفاظ في المعاجم العلمية والفلسفية خير وسيلة لشفاء هذه العقول من البيئاتية الفكرية ، لأنها تمنعها من استعمال ألفاظ لم تنضج معانيها ، وتعودها الدقة في التعبير ، والمطابقة بين المعنى واللفظ ، فلا يكون أحدهما زائلاً على الآخر .

وأما الفائدة الاجتماعية فهي ان تحديد معاني الألفاظ يسهل على الناس التفاهم فيما بينهم ، فلا يتكلمون بما لا يعلمون ، ولا يمارون فيما لم يتضح لهم من المعاني . ان معظم الاختلافات في الآراء السياسية والاجتماعية يرجع الى أن الناس لم يحددوا معاني الألفاظ التي يجادلون فيها . فالحرية والمدل والمساواة لا تدل على معان واحدة عند الاثتراكيين والممولين ، وكذلك الحق والواجب والخير والكرامة وغيرها . فاذا أردت أن تحسم الخلاف بين الناس ، وتحقق التفاهم بين أصحاب المذاهب المتباينة فابدأ أولاً بتحديد هذه المعاني تحديداً علمياً واضحاً . ان هذا التحديد يقرب الآراء بعضها من بعض ويبطل أسباب الخلاف ، ويوفر على الناس كثيراً من الجهد والوقت .

وربما كانت الألفاظ التي يستعملها المترجمون المحدثون أكثر الألفاظ احتياجاً الى هذا التحديد ، لأنهم - كما قلنا - لا يطلقون على المعنى الواحد لفظاً واحداً . مثال ذلك ان بعضهم يترجم كلمة ( Intuition ) بكلمة حدس ويترجمها الآخر بالبدهاة أو الاكتناه ، أو الاستبصار ، وكذلك كلمة ( Conscience ) بعضهم يترجمها بالشعور وبعضهم يترجمها بالوعي . فاذا استمر الأمر على هذه الحال أدى الى كثير من الفوضى والاضطراب ، لأن النقلة ، اذا لم يوحدوا اصطلاحاتهم عجزوا هم أنفسهم عن فهم ما ترجموه . ولا يكفي أن تتطور الاصطلاحات العلمية تطوراً عفويًا حتى تصل الى الوحدة ، لأن التطور العفوي قد يؤدي الى الاحتفاظ بألفاظ كثيرة للدلالة على معنى واحد ، واذا أدى الى انتصار لفظ على غيره لم يكن هذا اللفظ الفائز في المعركة أحسن الألفاظ دائماً . فلا بدّ اذن من توجيه هذا التطور حتى يبلغ غايته . والوسيلة الوحيدة للتوجيه الصحيح تنبضي انشاء مجمع علمي واحد ينتقي من الاصطلاحات التي احتدى اليها النقلة الإخصائيون اصطلاحاً واحداً يثبت ويحمله حظيرة اللغة ، لأن يضع هو نفسه اصطلاحاً علمياً جديداً . ذلك لأنه ليس من شأن المجامع العلمية ان تضع

الاصطلاحات وانما هي بمثابة عضو رئيسي في جسم العلم ، بنقح ما يكشفه العلماء ، ويحصه ، وينظمه ، ويثبتته . واذا خرجت المجامع العلمية عن هذا الحد الذي يجب عليها ان تقف عنده عرضت نفسها لكثير من اخطأ والغلط والنقد .

ان لكل علم لغة فنية ، والعلماء الاختصاصيون وحدهم يفهمون هذه اللغة . فانت لا تفهم معنى كلمة ( تفاعل ) الا اذا كنت كيميائياً ، كما انك لا تفهم معنى الساحة المغناطيسية الا اذا كنت فيزيائياً . ومن كان طبيياً كان قادراً على الكلام عن المرضى بلغة لا يفهمها المريض . . . وكذلك لما كانت الألفاظ التي يستعملها الفلاسفة لا تختلف عن الألفاظ التي يستعملها الأدباء الصحفيون والمحامون كان هذا الاتفاق فيها أدعى الى الإشكال والاضطراب . ان رجال الأدب لا يستفنون عن اصطلاحات علم النفس ، كما أن رجال السياسة لا يستفنون عن اصطلاحات علم الاجتماع والأخلاق . ولكن الفلاسفة الذين يستعملون كلمة ذاكرة وعقل وحقيقة وواجب وحرية وارادة لا يبلغون غايتهم الا اذا كانت هذه المعاني المتصورة في أذهانهم محددة معرفة . وكثيراً ما يكون لبعض هذه الألفاظ في أذهانهم معان مخالفة لما يتصوره المحامون والأطباء والمهندسون .

فينبغي لنا اذن اذا شئنا أن نختار اللفظ الموافق للمعنى العلمي أن نتمتع في ذلك على أرباب الاختصاص لأن صاحب البيت أدري بالذي فيه . ومتى عرض علينا الاختصاصيون ألفاظهم نقحناها ومحصناها واخترنا أوقفها وأصلحها وثبتناه في معاجم اللغة .

والسبيل الواضحة والطريقة الصحيحة التي يجب على الاختصاصيين اتباعها في وضع الاصطلاحات العلمية الموافقة تنحصر عندنا في القواعد الآتية :

**القاهرة الأولى :** هي البحث في الكتب العربية القديمة عن اصطلاح مستعمل للدلالة على المعنى المراد ترجمته . ويشترط في هذه القاعدة ان يكون



اللفظ الذي استعمله القدماء مطابقاً للمعنى الجديد . فاذا وجدناه مطابقاً له أطلقناه عليه دون تبديل أو تغيير . مثال ذلك أن القدماء أطلقوا لفظ الجوهر على المعنى الذي تدل عليه كلمة ( Substance ) ، وأطلقوا لفظ المقولات على المعنى الذي تدل عليه كلمة ( Catégories ) فاذا أردنا ان نترجم هذه الألفاظ أطلقنا عليها الأسماء التي سماها بها من عرفها من أصحاب اللغة .

### والقاهرة الثانية: هي البحث عن لفظ قديم يقرب معناه من المعنى الأوربي

الحدث ، فيبدل معناه قليلاً ويطلق على المعنى الجديد . مثال ذلك ما ترجمنا به لفظ ( Intuition ) ، فقد أطلقنا على هذا المعنى اسم الحدس بعد أن وضعنا معناه القديم . فالحدس كما يقول الجرجاني في تعريفاته « هو سرعة انتقال الذهن من المبادي إلى المطالب ويقابله الفكر ، وهو أدنى مراتب الكشف » ، والحدسيات عنده هي « ما لا يحتاج العقل في جزم الحكم فيه إلى واسطة ينكرر المشاهدة » ، ويعبر ابن سينا عن ذلك بقوله : « ان من المتعلمين من يكون أقرب إلى التصور لأن استعداده . . . أقوى ، فان كان ذلك الانسان مستعداً للاستكمال فيما بينه وبين نفسه سمي هذا الاستعداد حدساً ، وهذا الاستعداد قد يشتد في بعض الناس حتى لا يحتاج في ان يتصل بالعقل الفعال إلى كبير شيء وإلى تخريج وتعليم » . ثم يقول : « الحدس فعل للذهن يستنبط به بذاته الحد الأوسط . والذكاء قوة الحدس ، وتارة يحصل بالتعليم ، ومبادي التعليم الحدس . فان الأشياء تنتهي لا محالة إلى حدوس استنبطها أرباب تلك الحدوس . ثم أدوها إلى المتعلمين . فيمكن ان يكون شخص من الناس مؤيد النفس بشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادي العقلية إلى ان يشتعل حدساً ، أعني قبولاً لإلهام العقل الفعال ، في كل شيء ، فترسم فيه الصور التي في العقل الفعال من كل شيء »

اما دفعة واما قريباً من دفعة»<sup>(١)</sup> ويقول أيضاً في كتاب الاشارات : « واما الحدس فهو ان يتمثل الحد الأوسط في الذهن دفعة ، اما عقيب طلب وشوق من غير حركة ، واما من غير اشتياق وحركة»<sup>(٢)</sup> . فهذه النصوص كلها تبين لنا ان معنى الحدس عند القدماء هو اصابة الحد الأوسط اذا وضع المطلوب ، أو اصابة الحد الأكبر اذا أصيب الأوسط ، وبالجملة سرعة الانتقال من معلوم الى مجهول . فهذا المعنى كما ترى يختلف بعض الشيء عن المعنى الذي تدل عليه كلمة حدس عند المحدثين . ولكننا نلاحظ ان للحدس عند كل من هؤلاء الفلاسفة معنى خاصاً . فهناك حدس عقلي كحدس البداهة ، وهناك حدس حسي وحدس نفسي ، وحدس فلسفي كالذي تكلم عنه (برغسون) . فاذا كان معنى الحدس مختلفاً باختلاف الفلاسفة ، فان اختلاف معناه في الفلسفة الحديثة عن معناه في الفلسفة العربية القديمة لا يمنع من اطلاق اللفظ نفسه على المعنيين . ولا حاجة الى البحث عن لفظ آخر كلفظ البداهة الذي اختاره بعضهم للدلالة على هذا المعنى لأن البداهة انما تقابل كلمة (Évidence) لا كلمة حدس . فيكفي اذن في هذه الحالة الاعتماد على اللفظ القديم مع تبديل وتحديد معناه تحديداً جديداً .

والقاهرة الثالثة : هي البحث عن لفظ جديد لمعنى جديد مع مراعاة الاشتقاق

العربي ، كأن نعمل لفظ الشخصية للدلالة على (Personnalité) ولفظ الاستبطان للدلالة على (Introspection) ولفظ الاهتمام للدلالة على (Intérêt) ولفظ الانتحاء للدلالة على (Tropisme) ولفظ التكيف أو المواءمة للدلالة على (Adaptation) . فهذه كلها اصطلاحات حديثة لم يستعملها القدماء ولكننا

(١) ابن سينا : النجاة ، ص ٢٧٢ — ٢٧٤ من طبعة القاهرة .  
(٢) ابن سينا ، الاشارات ، ص ١٥٣ — ١٥٦ من الطبعة الحيرية ، القاهرة ١٣٣٥ .

نستعملها مطمئنين لأنها مطابقة للأصول التي وضعها أصحاب اللغة وهذا شبيه بما فعله القدماء من استعمال كلمة قوة للدلالة على ( Puissance ) وكلمة فعل للدلالة على ( Acte ) وكلمة صورة للدلالة على ( Forme ) ، وكلمة امكان للدلالة على ( Possibilité ) ، فقالوا ان الامكان في الشيء هو جواز اظهار ما في قوته الى الفعل ، وطبيعته بين الواجب والمتنع ، فاشتقوا من الامكان التمكين بمعنى اخراج الشيء من القوة الى الفعل بالارادة وقد يجيء التمكين عندهم بمعنى آخر وهو ان يكون تفعيلاً من المكان . فتقول مكنت الحجر في موضعه اذا وفيته حقه من بسط المكان وتسويته ليلزمه ولا يضطرب وليس في استعمالنا اليوم لفظ الحتمية ( Déterminisme ) والموضوعية ( Objectivité ) ، والوضعية ( Positivisme ) شطط ما دام القدماء من علمائنا لم يجمعوا عن استعمال لفظ الهوية والأنية والصوفية وغيرها . ولكن اللغويين المحافظين منا لا يريدون ان يخرجوا من قفص المعاجم ، كأن الألفاظ التي اصطنعها علمائنا القدماء في الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والطبيعات لم توضع الا اعتباطاً .

**والفاهرة الرابعة:** هي اقتباس اللفظ الأجنبي بحروفه على أن يصاغ صياغة عربية كقولنا ( هرمية ) في ترجمة ( Hormique ) وقولنا ( الراد ) في ترجمة ( Radium ) أو قولنا ( المناد ) في ترجمة ( Monade ) ، أو قولنا الديمقراطية في ترجمة ( Démocratie ) . ومن البديهي أنه لا ينبغي لنا العمل بهذه القاعدة الا عند عجزنا عن اشتقاق لفظ عربي للدلالة على المعنى الجديد . فاذا كانت كتب العلم القديمة لا تحتوي على لفظ تقتبسه كما هو او نبدله ، وكانت اللغة نفسها لا تشمل على اسم قريب من المعنى نشق منه فعلاً أو صفة كان استعمال اللفظ الأجنبي أوفى بالقصد وأقرب الى الوضوح من اطلاق لفظ عربي غير مألوف يفرض على العلم فرضاً . ان علماءنا القدماء لم يجدوا في استعمال كلمة فلسفة وكلمة



جغرافيا وكلمة كيمياء انتقاصاً من حقوق اللغة العربية ، فاذا استعملنا اليوم كلمة (فيزياء) للدلالة على (Physique) وكلمة ديموقراطية للدلالة على (Démocratie) فاننا لا نكون أقل منهم اصابة . فهم قد استعملوا كلمة البنيت مع انه لا وجود لها في لغة العرب . يقول صاحب كتاب الهوامل والشوامل في الجواب عن احدي المسائل : «على اني رأيتك تستعني أن تفهم حقيقة الا أن تكون في لفظ عربي . فان عدت لغة العرب رغبت في العلوم ، لكننا أيديك الله لا تترك البحث عن المعاني في أي لغة كانت وبأي عبارة حصلت»<sup>(١)</sup> . وهذا القول يدلنا على أن القاعدة الرابعة التي ذكرناها هي السبيل الواضحة التي يجب سلوكها عند انتقار اللغة العربية الى لفظ اجني لا يُبدل على المعنى الجديد الذي اختاره واضعه . شأن سائر اللغات التي تقتبس المعنى العلمي الجديد باللفظ الذي اختاره واضعه . فنقول مثلاً ميكروسكوب وتلسكوب كما نقول سينما وتلفزة دون أن نخل بلفظ العرب لأن انتشار هذه الألفاظ على ألسنة الناس يجعل استعمالها في الكتب العلمية أوفى بالتمدد من استعمال لفظ المكبرة والمنظار والصور المتحركة وغيرها . فالمعاني القائمة في الصدور كما يقول الجاحظ مستورة خفية وبميدة وحشية ومحجوبة مكونة<sup>(٢)</sup> . وانما تحيا تلك المعاني في ذكر الناس لها ، واخبارهم عنها واستعمالهم اياها . ومهما يكن الاصطلاح العلمي وحشياً بعيداً عن المؤلف فانه اذا انتشر على ألسنة الناس كان أحق بالترجيح من اللفظ الصحيح الذي لم يكتب له الانتشار . وانخطأ المشهور كما قال بعضهم خير من الصحيح المهجور .

\* \* \*

(١) الهوامل والشوامل لابي حيان أتتوحيدي ومسكوبه، ص: ١٠٤، القاهرة: ١٩٥١ .

(٢) الجاحظ ، البيان والتبيين ، الجزء الاول ، ص : ٦٨ .

هذه اربع قواعد ذكرناها هنا على سبيل الاشارة لاعلى سبيل الاحاطة .  
 ولا نزعماً ابدأً أننا استقصينا بها جميع الصعوبات التي تعترض طريق المترجم .  
 ان العلماء الأوربيين يعتمدون في وضع الاصطلاحات العلمية على اللاتينية  
 واليونانية . وفي وسمهم أن يؤلفوا كلمات مركبة من كلمتين أو أكثر أو ان  
 يضموا السوابق (Préfixes) او اللواحق (Suffixes) الى جذر المادة الأصلية  
 بحيث يتألف منها كلمات متشابهة دالة على معان متباينة . مثال ذلك ان  
 (Synthèse) و (Parenthèse) و (Antithèse) و (Hipothèse) تدل  
 على معان مختلفة مع أن جذرها الأصلي واحد ، أما الاشتقاق في اللغة العربية  
 فانه بغير الأصل الثلاثي بما يضيفه عليه من حروف الزيادة وليس في اللغة العربية  
 سوابق ولواحق مضافة على الأصل ، كما انه لا يمكنها الآن أن تستمد من غيرها  
 من اللغات القديمة ما تستمده اللغات الأوربية من اللاتينية واليونانية . وهذه صعوبة  
 أخرى يجب التغلب عليها بما امتازت به اللغة العربية من صعة المناهج ولطف  
 المخارج وسهولة الاشتقاق . وسنعود ان شاء الله الى بحث هذه الصعوبة الأخيرة  
 في مقال آخر .

الدكتور جميل صليبا

## أوضاع لغوية عسكرية

( *Sentier* ), ( *Ravin* )

جاءني من حضرة مدير المجلة العسكرية بدمشق مانصه :  
نحار هنا في ترجمة ( *Sentier* ) ف نحن نترجمها بكلمة ( زَفِيْلَة ) كما وردت  
في القاموس المحيط . أو ( شُرَيْك ) كما ترد على لسان الفلاحين والبدو عامة  
في بلادنا ، وقد جاءت كلمة ( شُرَيْك ) في القاموس المحيط ولكن بمعنى الطريق  
ذات الجواز . فهل تكون ( شُرَيْك ) تصغيراً ( لَشُرَيْك ) و ( شُرَيْك )  
تصغيراً للتصغير فتكون صالحة لهذا المعنى ؟ أما مسلك ف نحن نستعملها ترجمة لكلمة  
( *Cheminement* ) الافرنسية والمقصود هو مطلق مسلك تسلكه طريقاً :  
كان ذا حدود أو لم يكن : تسلكه مثلاً خلف صف من الأشجار لتختفي به عن  
أنظار العدو . و ( درب ) هل تصلح لمعنى ( *Sentier* ) أو لما هو أوسع .  
وقد رأينا أن تترجم كلمة ( *Ravin* ) الافرنسية بكلمة ( تَلْعَة ) العربية  
وقد جاء في القاموس المحيط ما يؤيد رأينا : وقد سمعت أنا شخصياً من الهجانة  
البدو النجديين وأنا معهم في الصحراء هذه الكلمة لهذا المعنى . ومعنى ( *Ravin* )  
هو مجرى الماء في سفح الجبل .

فهل لكم أن تفضلوا فتفيدونا ماهي الترجمة الصحيحة لكل من تبتك  
الكئين والسكر لكم ٥١٠ .

وقد أجبنا السائل المحترم بما يلي :

نضمن سؤالكم أمرين أصليين ، ( الأول ) كيف تترجم كلمة ( *Sentier* )  
الافرنسية : قلتم في كتابكم انكم في حيرة بين أن تترجموها بكلمة ( زَفِيْلَة )  
العربية التي معناها : سكة ضيقة . طريق ضيق . أو تترجموها بلفظ ( شُرَيْك )

بتشديد الياء تصغير (شُرَيْك) الذي هو مصدر شَرَك. والشَرَك والشَرَكَة بمعنى الطريق فيكون (الشُرَيْك) تصغير التصغير ويصبح معناه الطريق الضيق جداً وهو معنى (Sentier) وقد استأنستم الى صحة (شُرَيْك) بورودها (على لسان الفلاحين والبدو عامةً في بلادنا السورية) ولعصري ان تجر يحكم أو (إخراجكم) لكلمة (شُرَيْك) على هذه الصورة بدل على بصارتكم . ولكن هنا ملاحظات ينبغي إيرادها وربما أفاد التبسط فيها .

(أ) ما هو المعنى المطابق لكلمة (Sentier) ؟

يظهر من المعاجم الافرنسية أن معناها الطريق الضيق (Chemin étroit) وسكتوا عن تقيده بوصف ما : فكل طريق ضيق سواء أكان في سهل أو جبل . طويل أو قصير . متقل أو متشب من جادة عظمى يسمى عندهم (Sentier) فيحسن اذن ان نترجم (Sentier) بكلمة عربية تفيد معنى (الطريق الضيق) ويحضرني من هذه الكلمات كلمة (الزقيلة) التي ذكرتموها فقد فسّرت بالسكة الضيقة والطريق الضيق ولم يقيدوها بوصف ما فتكون هي المعنى الحقيقي المطابق لكلمة (Sentier) الافرنسية وهي التي يحسن ترجمتها بها غير ان (الزقيلة) فيها غرابة وعليها سمة من امسكوا في اللفظ . تقولون ان الاستعمال كفيف بصقلها وتقريبها من الأذواق . حسن ولكن يبقى هناك شك في عروبتها من حيث أن صاحب القاموس انقرد بذكرها وقد أهملها كل من صاحبي الصحاح واللسان : فهي في الغالب لغة يمانية : لما أن الفيروزابادي (الذي انقرد بذكرها في قاموسه) كان قاضياً في اليمن في القرن الثامن الهجري فلعله التقطها من أفواه البانين ودوّنها في معجمه . تقولون وهذا أيضاً لا يضر فان اليمن عربية ولغتها عربية فالشك في عروبة (زقيلة) مشكوك فيه بل مردود . إذن (زقيلة) أصبحت في الكف ؟ وهل من كلمة غيرها تتعدل على معنى



الطريق الضيق؟ نعم كلمة زَقَب ( بنتحتين ) ففي الصحاح طريق ( زَقَب )  
 أي ضيق . وقد يقال إنها عربية مهجورة أيضاً كالزَقيلة . والجواب ان  
 الاستعمال كفيف بصقلها وتحليلها في الأذواق .  
 وهناك كلمة ثالثة ربما اخترتها ورجحتها على أخيها ( الزَقيلة والزَقب )  
 لسهولة لفظها واستئناس الناس بها ودلالاتها على معنى الطريق الضيق في المصور  
 القديمة والحديثة : وهي كلمة ( زقاق ) قال الشاعر :  
 ( ولم ترَ عيني مثلَ سِرْبِ رأيتَه خرجنَ علينا من زقاق ابن واقف )  
 والسِرْب من النساء كالسِرْب من الظباء ، فلتترجم ( Sentier ) بكلمة  
 ( زقاق ) ولا سيما أن لها علاقة قديمة بتاريخنا العربي وجغرافيتنا العربية :  
 فأسلافنا العرب سموها الجاز الضيق بين ضنجة وسبته من بر الأندلس . وهو  
 الذي يسمى أحياناً ( بحر الزقاق ) وأحياناً ( بوغاز جبل طارق ) نسبة الى الفاع  
 العربي الشهير . فزبية ( زقاق ) على ( زَقَب ) و ( زَقيلة ) واضحة جلية . و ( البكة )  
 بمعنى الزقاق أو هي الواسع من الأزقة . تقولون لكن ( زقاق ) أصبحت مبتذلة  
 جداً . فلتنق اذن على ( زقيلة ) لعروبتها وخفتها بخلاف ( زَقَب ) فان فتح  
 قافها ومجىء الباء المقلقلة بعدها يُبعدها عن الأذواق . وفي استعمال كلمة ( زقيلة )  
 إحياء لها . وطينا ذمة للفتنا وهي إحياء مواتها أي أفاظها الميتة ما أمكن .  
 أما الشريك تصغير الشرك التي ينملمها الفلاحون بمعنى الطريق الضيق فاستعمال  
 فيه نظر لأن ( الشرك ) ليس مفرداً بل هو جمع شركة وهي الجادة أي الطريق العظمى  
 في الصحاح : ( الشركة معظم الطريق ووسطه والجمع شرك ) ومن اللغويين  
 من فسّر ( الشرك ) بالطرق الصغار المنتشرة على متن الطريق الأعظم :  
 فان المشاة وحوافر الدواب تُحدث على ظهر الجادة طرائق قِدَاداً وأخاديد صغيرة  
 تفرق ثم تلتقي ثم تفرق ويكون بينها قطع من الأرض لا توطأ وتكون

ذات نبات أحياناً : فإذا نظرت الى هذه الجادة من علٍ حسبها عباءةً مخططة .  
وقد جاء في اللغة : ( بُرد مُسَبَّحٌ أي مخطَّط والمُسَبَّح من الطُرُق  
المُبَيَّن شَرَكَه وإنما صَبَّحَه ( أي مخطَّطه ) كثرةُ شَرَكَه شَبَّه ( أي  
الطريق ) بالعباء المسبَّح ) انتهى ملخصاً من اللسان . فالشركة إذن طريق ضيق  
لكن لا مُطلقاً بل يكون مع طرق صفار أخرى منتشرة جميعها على ظهر  
الطريق الأعظم . وربما كانت هذه الشركات هي التي تسمى في اللغة الترهات  
أيضاً ثم نقلت الترهات الى معنى الأباطيل مجازاً .

فإذا أردنا أن نترجم كلمة ( الشَّرِيك ) مثلاً الى اللغة الافرنسية أمكننا  
أن نترجمها بكلمة ( Sentier ) ولكن لا يمكننا أن نترجم ( Sentier ) الى  
العربية بكلمة شَرَكَه ولا بكلمة شريك كما لا ينبغي .

وكلمة ( درب ) لا تصلح لأن تترجم بها ( Sentier ) لما أن الدرب اسم  
لمطلق طريق ضيقاً كان او واسعاً وربما كان معرباً عن الفارسية . ومن اللطائف  
ان ( الدرب ) الذي هو مقلوب ( درب ) اسم للطريق الذي لا ينفذ كما في القاموس .  
ومثل درب كلمة ( مسلك ) ( Cheminement ) فإنها في اللغة مطلق منفذ  
يسلك منه الى ما وراءه مها ضاق المنفذ أو اتسع : فخرم الأيرة مسلك للخيط  
كما أن أجواز الفضاء وأجواز البحار مسلك للطائرات والسفن الماخرات ومنه فن  
( مسلك البحار ) فسلك اذن لا تصلح لترجمة ( Sentier ) .

بقي أنكم معشر رجال الفن العسكري إنما تريدون من ( Sentier ) في  
الغالب الطرُق التي يسلكها الجند وهي التي تكون في البراري والسهول المنبسطة  
لا في داخل المدن والقرى . فالذي يصلح عرضه عليكم من الألفاظ ما دل  
على مسالك الجنود في السهول : إذن يكون الزقاق والزقيلة والزقب والشارع  
غير ما تطلبون . ويكون مطلوبكم هو الطريق . السبل . اللقمة .

التشج • المنهخ • المتهيج • الجادة • الدرب • النكة • المدعاس • والثلاثة الأخيرة تدل على الطريق الضيق ولا سيما المدعاس فقد فسروه بالطريق الذي أثر فيه طول دعس أقدم المارة • وهو الذي تسميه عامة زماننا طريق قاذومية أي قديمة • فهذه الثلاثة إذن هي الصالحة لترجمة (Sentier) • والطرق التي سردنا أسماءها تكون في بساط البرية وبعضها يستعمل في داخل المدن • كالجادة والدرب والنكة • أما طرق أوعار الجبال المشهور من أسماء الشعب بكسر السين وجمعه شهاب والجدة بضم الجيم جمعها جده وهي الطرق تكون في الجبل بخالف لونها لونه : بيض وسود وحمر • ومنه الآية الكريمة : (جده بيض وخمر) وقولي إن الدرب يراد منه الطريق الضيق ملاحظ فيه غلبة استعمال سكان المدن له في هذا المعنى والا فان أصل معناه كل مدخل بين جبلين والباب الواسع والمسالك التي بلاد الروم ومنه قول امرئ القيس :

(بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه) الخ

(الأمر الثاني) أو السؤال الثاني كيف تترجم كلمة (Ravin) ؟

يجب أولاً أن نحدد معنى (Ravin) بالفرنسية : ففي لاروس ان معناها (مسيل حفر بواسطة جريان ماء المطر) • فقولكم في تفسيرها (مجرى الماء في سفح الجبل) تكون كلمة (سبح الجبل) زائدة على معناها الفرنسي إلا اذا كنتم جريتم على اصطلاح عسكري يراد به : المجرى في السبح • وبعبني في (Ravin) أن أترجمها بكلمة (غيب) قال في المخصص الغيب مسيل في متن الأرض أو الجبل • أما المسيل على ظهر السهل من الأرض فيسمى مسيل ومجرى وأحدود غير ملاحظ فيها اشتراط ان تكون في الجبل • ولا يمنع مانع أن تكون في الجبل أيضاً •

وإذا قد فهمنا من عباراتكم في ترجمة (Ravin) إرادة المسيل في الجبل •



واختبرتم لها كلمة (تَلَعَة) فملينا أن نوافي رغبتكم في ذلك فنقول: إن أقوال اللغويين في تفسير (التَلَعَة) مختلفة بل متضاربة فهم يفسرونها تارة بما علا من الأرض وتارة بما انخفض منها وقال في المخصص (التَلَعَة) ما انبسط من الأرض وتردد فيه السيل) ثم سمو الماء المتردد في الوادي تَلَعَة وجموه على تلاع . وفسروا التلاع بالسواقي الصغيرة تكون في الوادي . هذه السواقي أو المجاري أو المسابيل لا تكون على حالة واحدة : فهي إذا كانت صغيرة سميت أمراش (جمع ترش) وإذا كانت كبيرة سميت تلاع (جمع تَلَعَة) وإذا كانت أكبر من التلاع سميت مذانب (جمع مذب) . والأكبر من المذانب تسمى شواجن (جمع شاجنة) وما كان أكبر من الشواجن يسمى جلويخ (جمع جلواخ) وكل مجرى منها إذا كان واسعا يسمى (رجلة) وجمعه (رجل) وإذا كان ضيقا يسمى (قسيبا) وجمعه (أقربة) والذي يشتمل على كل هذه المجاري المائية هو المسمى (بالوادي) . ولكنها أي تلك المجاري تكون طبيعية قديمة لا حديثة أو جدها اندفاع سيل المطر فان الحديثة على ما يظهر هو معنى كلمة (Ravin) . ويمكن القول بأن كلمة تَلَعَة لا بأس في أن نصلح عليها ترجمة لكلمة (Ravin) والذي يزيد في رواجها ما ذكرتموه من أن الهجانة التجديدين يستعملونها .

المغربي

www.alukah.net

م (٣)

# الأتلنتدا هي اميركا الجنوبية

## موضوع تاريخي جغرافي

ان وجود أرض فيها وراء بحر الظلمات ، كان موضوع بحث العالم القديم في القرون الوسطى ، فقد رويت أساطير وحكايات كثيرة في المناطق العاصرة والجزر الكبيرة الزاهرة ، المنبثة في طول الاقيانوس وعرضه ، تلك الأماكن التي تعيش في أحراجها الكثيفة حيوانات غريبة وتحترقها الأنهر العظيمة والجبال الشاهقة الغنية بالمعادن والأحجار الكريمة النادرة التي لا تقل الأزهار العجيبة عنها روعةً وجمالاً .

ولقد لاحظ المؤرخ هنري مارتن<sup>(١)</sup> في درسه كتاب تيمو - الذي ألفه أفلاطون بعد جمهوريته الشهيرة - الشيء الكثير من خرافة الأتلنتدا التي رواها كريسنياس الطاغية الى سقراط . فكانت هذه أولى الروايات الثقيلة عن هذه الجزيرة المجهولة ، أو بالحري حول القارة الواقعة وراء أعمدة هرقل ، وفيها ازدهرت قبل تسعة آلاف سنة مدينة شعب عظيم اشتهر بثقافته النبية ، في زمن سلالة اطلس<sup>(٢)</sup> ابن الآلهة يوسيدون وزوجته الانسانة كليو . ونقل كهنة معبد صايس<sup>(٣)</sup> هذه الحكاية الى الفيلسوف سولون فكانت روايتهم هذه بمثابة تعليم سرى ، بنقله منهم السلف عن الخلف ، الى ان اقنه المرابي سيلينو<sup>(٤)</sup> الى الملك ميداين<sup>(٥)</sup> .

(١) هـ . مارتن Henri Martin ( ١٨١٠ - ١٨٨٥ ) .

(٢) Atlas ملك زمناً طويلاً جزيرة مورتيايا .

(٣) Sais عاصمة سلالة السيت في مصر Saïtes .

(٤) Sileno هو الذي تبنى الآلهة باخوس كما جاء في الأ-طورة اليونانية .

(٥) Midas الملك ذواذني الحمار - حسب رواية الأساطير الرومانية .

وأوضح كريسياس ماورد في محاورات أفلاطون المشهورة ، ان شعب الأتلنتدا قوي ، امتد سلطانه الى مصر وبعد استيلائه على مقاطعات واسعة ، دحره الأثينيون في معركة دامية . واخفى أثره بين ليلة وضحاها ، حتى لم يعد يعرف عن شعب الأتلنتدا وعن بلادهم ومدنيتهم الزاهرة شي ، وذلك بعد طوفان هائل وزلازل شديدة منجمة قضت على كل معالمهم وأخبارهم .

ونشأ عن هذه الروايات المنقولة ، الاعتقاد بأن أرخيل اصورس وجزر الكنارياس وبقية جزر الأتليا تشكل جزءاً من الأتلنتدا الختفية التي هي سلسلة مرتفعات مغمورة بالمياه يصعب اكتشافها والتثبت من صحة ما يروي عنها . أما بركلوس<sup>(١)</sup> الاسكندري فقد أخذ على عاتقه نقل آراء الكتاب المتناقضة حول الأتلنتدا فقال :

« ان Nomenius كان يعتبر الأتلنتدا رمز صراع بين الخير والشر » .  
 « و Amelius يعتقد ان الصراع بين الكواكب والنجوم قد انتهى بتهديم الجزيرة وخرابها السريع الهائل واختفائها العاجل » .  
 « وارينيس قال انها الحرب بين الأرواح الشريرة والصالحة » .  
 « واعتبرها لونجينوس Longinus أسطورة كبقية الأساطير التي رواها أفلاطون لتجميل محاوراته المبهمة ، وجاراه بمدئذ كتبة ومؤرخون عديدون أمثال بلوتارخوس وسترابون وماركروبيوس ودبونيسيوس دي متيلين وبيينو وبوميونيوس ميلا وربودورو الصقلي ممن أوردوا في تواريتهم الشهيرة ذكر مناطق مجهولة واقعة خارج عالم البحر المتوسط الوضع » .  
 فديونيسيو المتيليني قال : ان سكان الأتلنتدا كانوا أشداء وأذكيا وسامح  
 « اتلانديس ، واتلانيني و اتارانيس » .

(١) Proclus : فيلسوف اسكندري (٤١٢ — ٤٨٥) .

« أما ريبودورا الصقلي فقد ألمع في تاريخه عن جزيرة ذات ثروة عظيمة اكتشفها الفينيقيون بعد إبحار أيام طوبلة حول الشواطئ الأفريقية ، ريمها دائم ومناخها عذب واخضرارها بديع جميل وأثمارها طازجة وزكية الطعم » .  
 « وأرسطوطاليس الفيلسوف لم يفصل ذكر جزيرة عظيمة دعاها « أتيليا »  
 وبقضي للوصول إليها سفر عدة أسابيع من القارة التي يستعمرها الفينيقيون  
 وعرفوا بحر صميم على ما يمتلكون كل الحرص ، والويل لمن يلفظ اسم تلك الجزيرة  
 بضمه أو ييوح بسرها » .

« وأما الأتينيون فكانوا بمتقدون اعتقاداً راسخاً بهذه الأساطير ويؤمنون بوجود الأتلنتدا ، مع كل ما جاء عنها من الروايات المتناقضة والأقوال المتباينة » .  
 ومن أخص الأساطير التي تناقلها الأتينيون قديماً تلك التي تتعلق بحروبهم ضد الأتلنتديين ، حتى أنهم كانوا يقيمون في معابدهم احتفالات سنوية لتقديم ابتهاجهم وتضرعاتهم فيها إلى الإله باليس<sup>(١)</sup> ليحميهم في حروبهم أعداءهم الأتلنتديين .

واعتبر كتبة اسبانيا والبرتغال في القرن الخامس عشر ، رواية ريبودورا الصقلي حقيقة بعد اكتشاف القارة الجديدة لمطابقة الأوصاف التي أوردتها في تاريخه ، ما في تلك القارة العجيبة من مناخ جيد ومناظر ساحرة .  
 وتأييداً للأساطير الرتيبة وغيرها من النصوص التي تقدم ذكرها من العالم الجديد نورد ترجمة نبوءة سنيكا الفيلسوف بهذا الصدد :  
 « تطوي الأجيال السنين القابرة وفيها ، يجمع البحر حوادث الدنيا فيظهر تل عظيم » .

« ومنه تكشف بلاد جديدة ولن يكون هذا الحادث آخر ما يظهر للعالم » .

وكل هذه الأقاليم والروايات المشوقة كانت من العوامل الدافعة الى القيام  
برحلات طويلة خطيرة في عرض البحار لاكتشاف عوالم خفية ، وأراض غنية ،  
قال عنها السليتون القدماء إنها كالجنان ، وأطلقوا عليها اسم البلاد الخالدة التي  
تقطنها الأرواح العليا .

وهكذا تجددت فكرة التفتيش عن تلك الجزيرة المجهولة ، الى أن أُتيح  
للبرتغاليين والاسبان اكتشافها وبها تفنى كامويس في ملحمة الشبيبة ،  
فقال في أنشودته الأولى :

في البحر أعاصير وخسائر ،  
وفي الحرب حروب وخذاع ،  
فكم من رغبة تشير الملال ،  
أين يمكن أن يلبجأ انسان ضعيف ،  
حيث لا تحتق ولا تفضب السماء الهادئة ،  
على حشرة الأرض الصغيرة ؟

بعد اكتشاف الأمريكات الثلاث صارت الانتلندا وحضارة القبائل الأميركية  
وثقافتها القديمة ، موضوع درس كثير من علماء الأثرية في أميركا . ومن أهم  
نواحي هذه الدروس ناحية المقابلة بين لغات القبائل الهندية المنتشرة في قارة  
أميركا ، من القطب الشمالي الى القطب الجنوبي ، وبين لغة السومريين في ما بين  
النهرين ، ولغة المصريين القدماء وما بينهما من التشابه خطأً ولفظاً مما يدل على  
أن مدينة السومريين الشهيرة قد وصلت الى أميركا ، ولكن كيف وصلت ، ومتى ؟  
فلنبحث هذه القضية التاريخية ، والإجابة على السؤال المتقدم يقتضي أن  
ندرس العوامل الجغرافية والطبيعية التي تأثرت بها الأرض قديماً ، وما قاله بهذا  
العدد علماء اللغة والآثار .



التقيت منذ ست سنوات على ضفاف نهر سان فرانسيسكو الشهير في أواسط  
البرازيل ، بالرحالة الألماني الدكتور اوتوقيلي اورخ و كان يدرس القبائل  
البرغوائية والبرازيلية المنتشرة على حدود الجمهوريتين في ولايات البرازيل الوسطى  
فاستحكمت بينه وبينني صداقة متينة ، و كنت وقتئذ أصافر الى هاتيك المناطق  
النائية للتفتيش عن مواد أولية ومعادن ، فأناست في نفسي هوى لاستطلاع  
بعض دروس هذا المستكشف فأتمت مع بعثته وقتاً اطلمت فيه على لوحة صغيرة  
من أبحاثه ، وتنقلاته ومقابلاته ، بين لغات القبائل البرغوائية ، التي كان يجيد  
النكلم بها - وهي لغة الفوراتي والتوبي - وبين اللغة المصرية القديمة . وكان  
يردد أبدأ قوله : « ان مدينة قبائل أمير كا الوسطى ترجع الى المصريين ، والدليل  
على ذلك آثار متعددة واضحة . أما حضارة القبائل في أمير كا الجنوبية فمختلفة المصادر » .  
وبعد سنتين من هذه المقابلة كنت أجتاز حرجاً في شمالي ولاية منياس على  
مقربة من قرية فورتليزا ، ووجهتي مناجم البلور الطبيعي في هضبة سان جوزه  
دي غورتوبا فلقيني صاحب المتجم وقال لي : « ستري على باب المتجم كتابة غريبة ،  
وأعتقد كما يعتقد غيري أنها كتابة هيروغليفية أو فينيقية أو غير ذلك » .  
فمادت الى ذاكرتي أحاديث العلامة أورخ ونظريته في الآثار الكتابية التي  
خلفتها القبائل الهندية في الأميركتين الوسطى والجنوبية .  
وجدت خطأ بشرياً محفوراً في صخر الى جانب مجرى ماء ومطلياً بدهان أحمر  
وقاه أفاعيل الأمطار والعوامل الطبيعية فبقي على روائه ، كما لو كان حديث الحفر  
والطلي ، وقد حاولت حك الصباغ بآلة حادة فلم أفلح فصورت الصخر ورسمت  
الأحرف رسماً دقيقاً واحتفظت بها حتى الآن .  
ومرت الأيام وأنا أقوم برحلاتي الشاقة في مجاهل البرازيل مقتحماً أدغالها  
وأحراجها ، طلباً للمعادن والأحجار شبه الكريمة مردداً ما قاله الشاعر الثائر  
الپاس فرحات :

شرق وغرب فقد يقنى أخو صفر عن كل ما تجمع الأسفار من حكم  
والمره لا يرتقي مها تلا كتباً الا اذا احثك بالأفراد والأمم  
الى أن بلغت ذات يوم هضبة تدعى سيراى كاياو قائمة الى جانب نهر  
اراغوايا الشهير عند التخوم التي تفصل بين ولايتي غواياز وماتوغروسو في مترعة  
غنية بالمعادن ، وهناك وجدت رسماً محفوراً في صخر أيضاً والى جانبه مجرى ماء  
وبعض أنجم متكاثفة ، ومن المدهش ان الرسم المطلي بصباغ أحمر زاه لا يؤثر  
فيه الحك .

وهكذا كنت ألاحظ كل ما هو غريب في المناطق النائية عن العمران ،  
من آثار حجرية أو كتابات أو رسوم محفورة ، لم تقو يد الطبيعة على محوها  
على مر الزمان ، وقد حفظت في مجموعتي عدداً وافراً منها .

لقد ابتدأت أبحاث البرازيلين وفي طبيعتهم يرغنون قيودال ، على أثر ادلاء  
الأب هليودورو بيرمي بنظرته : « ان اميركا هي الأتلتندا بذاتها » أي أن  
الجزيرة العظيمة التي ذكرها بلاطون الفيلسوف وهيرودتو من المؤرخين الأقدمين .  
وان الاميركات قد احتفظت بكل مادون في الأساطير الأولية ، وانتقل بالرواية  
عن الاتلتندا ، وانه اذا أرهف الانسان سمعه ووعى اللغات الهندية وأنفاظها  
وطبجاتها المتعددة تأكد لدى فهمها أنها لا تختلف البتة عن لغة السومريين القدماء ،  
وقد حافظت هذه اللغة على تسمية المواقع الخطيرة والجبال والأنهر والهضاب  
وأسماء الأعلام كما تسمت بها القبائل المتعددة ، وأخصها قبيلة الانفا في ولاية  
براهييا دو نورثي من أعمال البرازيل ، تلك القبيلة الكبيرة التي خلفت بين  
ما خلفته من الآثار الكتابات المنقوشة على الصخور الضخمة لكي يراها الرحالة  
ويشاهدها كل من أراد التعمق في درس هذه الخلفات التاريخية والأثرية واللغوية .  
ويقول قيودال : « أين مدينة هنود أميركا من مدينة وحضارة السومريين  
أجدادهم القدماء ؟ ويستند في تحليله الى اختبارات ودروس عدد من العلماء

الأثريين واللغويين كالأب يراسيردي بوربورغ والمستشرق الأب هلا ريو دي بارتون ، والى التاريخ العام الذي وضعه العلامة الألماني قايس كما يستند الى ما جاء في المعلمة العالمية الاسبانية عن التاريخ والآثار الأمريكية والى ما صرح به العلامة البرازيلي ليونسيو دي امارال غورجل سنة ١٩٠٧ في درس قدمه الى المعهد التاريخي الجغرافي في سان باولو جاء فيه :

« لا يعني الا أن أجاهر باعتقادي الراسخ وهو أن أجزاء العالم كانت فيما مضى متحدة ، وان الاتلتهدا التي يزعم بعضهم أن المياه قد غمرتها على أثر كارثة عظيمة ، لم تكن سوى أمير كا التي انفصلت عن العالم القديم وابتعدت عن أوروبا وأفريقيا ، ودخلت في طور الأساطير والخرافات » .

### أمير كا قبل التاريخ :

لقد مرّ على العالم ٦٧ قرناً قبل اكتشاف أمير كا سنة ١٥٠٠ بعد أن كانت هذه القارة المترامية الأطراف ، في عالم المجهول ، بينما كانت بقية القارات تسير في معارج العمران والحضارة والمدنية .

ومن المتختم في هذا الباب مراجعة تقارير العلوم الطييمية ، ودرس التوراة وبعض نصوصها التاريخية والميثولوجية لكشف النقاب عن هذا المجهول .

ومن ينظر في تواريخ الأمم يرى أن شعوباً كثيرة كانت ذات شأن في تلك الأزمنة كالبابليين والمصريين والهنود وغيرهم ونقشت أسماء أسمرهم الملكية على الأنصاب والأعمدة وفي الهياكل الأثرية القديمة . وكل هذه التواريخ والحوادث جرت قبل المسيح ، والعلم يرجع بعضها الى عشرات الألوف من السنين وأكثر . واذا عدنا الى ألتى سنة أو ثلاثة آلاف سنة ، عندما بدأت الأسر الملكية في مصر وبابل تتعاقب على الحكم أبدت لنا المقابلة أن آثار المكسيك تحتفظ بأمثلة ممتددة تشير الى ان سنة ١٧٨٦ بعد خلق العالم ( حسب ميثولوجية

التوراة ) شهدت انهطال أمطار غزيرة فأدت الى الطوفان الذي غمر الأرض .  
وتدل الكتابات التي عثر عليها في المكسيك انه في السنة ٥٢١ بعد هذا الطوفان  
تأسست مدينة تاباتان أولى المدن المكسيكية . ويقول البجائة موتيسينوس  
في هذا الصدد « ان مقاطعة بيرو قد ازدهرت بالسكان والعمران في السنة الستمائة  
بعد الطوفان » .

وبموجب تقدير قبائل الأزتلكس Aztecas يرجع خلق العالم الى عشرين  
قرناً قبل الطوفان العام .

وقد انتقلت هذه النظرية الى المكسيك من المايا وسموها تاناثيوه Tanateua  
ومنها يستدل على الحقب الأربعة التي انتهت بمجداث الطوفان .  
فالدور الأول قد انتهى بالزلازل والفاقة ، لأن الأرض لم تنتج ما يكفي  
سكانها من الغذاء ، وانتهى الدور الثاني بالنار الآكلة التي أرسلتها الآلهة على  
الأرض فدمرتها . وامتاز الدور الثالث بما اجتاحت الأرض من الأعاصير المقووضة .  
وأما الدور الرابع فكان دور الانفجار بالطوفان .

وفي غضون هذه الأدوار الأربعة كانت القارة الأمريكية متصلة بالعالم  
القديم فما هو الحادث الذي فصلها عنه ؟ وفي أي زمن جرى ؟

جاء في التوراة ( الاصحاح ١٠ - ع ٢٥ ) : « ولعابر ولد ابنان : اسم الواحد  
فالج لأن في أيامه قسمت الأرض ، واسم أخيه يقطان » وكلمة فالج العبرانية  
تعني بالعربية فالتق من فلق أي قسم الى شطرين ، واليهود يقولون عن قسمة  
الأرض بلفظهم « Ki Beyamayò niphelagáh há Ères » .

والكلمة الثالثة فعل ترجمته باليونانية « Diemeristhé hé Gèpaleg » ومعناه  
ان الأرض قد شطرت او انقسمت بشدة . فانقسم Pal والارض Eg ، وفي  
لغة السومريين نجد اللفظ والمعنى عينهما .



وجاء في الاصحاح العاشر عده من (سفر التكوين) ان الأمم قد تفرقت في كل الأرض بعد الطوفان وبعد انقسام الأرض الى أقسام متعددة ، واليهما تفرق أبناء نوح بعد الطوفان فمتى حدث ذلك ؟

ولد فالج أو فالق سنة ٤٠٠ للخلقة والطوفان حدث سنة ٢٢٤٧ بعد خلق آدم و ٢٩٥٢ قبل ولادة المسيح . وعلى هذا الأساس يكون حدوث انفصال القارات بعضها عن البعض الآخر قد وقع سنة ٢٦٥٠ بعد آدم او ٢٥٥٢ ق م . أي قبل عصرنا الحاضر بـ ٢٥ قرناً ، وقد تفرقت الأمم من شنتار الى أقاصي الارض حوالي القرن الواقع بين ٢٨٠٠ و ٢٧٠٠ ق . أي خلال مدة قرن أو قرنين قبل انقسام الأرض حينما تفرق في أجزاءها أبناء نوح ، وعاصروا الحادث التاريخي الذي حصل وكان من نتائجه انفصال القارات المتعددة بعضها عن البعض الآخر ، وبينها القارة الأميركية التي أخذت في الابتعاد عن أوروبا وافريقية تدريجياً فكان أول انزلاقها حتى درجة العرض من جزر الكنارياس ، وبقيت ثابتة على هذا الوضع ما يزيد على اثني عشر الى خمسة عشر قرناً وعرف الأقدمون ، وفي طبيعتهم اليونان ، بجزيرة الأتلتندا ، ويقول البحائة فيدال أنها عرفت بأرض أبناء آرام وبعدين بأمرىبكا

وإذا نحن أمعنا النظر في هندسة كل قارة على حدة رأينا أولاً ان حدود افريقية حتى التجويف الذي يلي خط الاستواء تلتئم مع التقوس المشاهد في تكوين أميركا الجنوبية على موازاة الدرجة ذاتها . واثباتاً لذلك نرى أيضاً ان كل ما في القارة الأميركية من حيوان ونبات ، يؤيد نظرية انفصال هذه القارة عن الشرق ، وقد عثر الأثريون في بيرو على عظام حيوانات متحجرة منها الأسود مثلاً والمعلوم أن الأسد انقرض من القارات الأميركية منذ قرون ولم يبق له أثر ، وهو لا يزال كثيراً في افريقية .

حلت بالأرض كوارث طبيعية ذات أثر بعيد ، فغمرتها الثلوج والجليد ، وعمرتها زلازل عبثت بوحدة تكوينها فانقلقت وانفجحت فيها حفر وأخاديد عميقة وشقوق واسعة ، غمرها ذوب الثلوج والجليد ، وهكذا نرى أن الأماكن المرتفعة عن سطح المياه بقيت متصلة ولكن حيث بعد مدى انفراج الأخاديد كان الاتصال بالغاً .

وإذا نحن حللنا كلمة Okéanos التي أطلقت على البحار الكبيرة التي تفصل بين القارات وجدنا معناها واضحاً في لغة السومريين بمعنى ( O ) ماء البحر و ( Ki ) الأرض ، و ( A ) مجرى أو نحو و ( Nu ) يحيط .  
وعلم اللغة يحدد كلمة Oceano كما يعرفها اليونان Okeanos

• « Ho Perrireôn tèn Oikumènèn »

ومعناها : النهر الذي تجري مياهه حول الأراضي المأهولة .  
وانزلاق القارة الأميركية وابتعادها عن القارات الأخرى قد حصل تدريجياً ، وهذا ما تؤيده نظرية العالم الألماني الفريد وجينيس Alfred Wegenes القائل بانفصال القارات بعد أن كانت متصلة بآفريقية الحالية ، فحركة دوران الأرض وقوة الجاذبية والتيارات الأوقيانوسية المتتالية ، إلى ما سوى ذلك من القوى التي تعمل على تفكك الكتلة الأرضية كانت عوامل بل أسباباً طبيعية لانفصال أميركا وابتعادها غرباً وتكون الأوقيانوس الأتلنطيكي بحيث شغل المكان الذي كانت قبلاً تشغله أرض أميركا . وما حصل لأميركا حدث أيضاً لأستراليا والقطبين الشمالي والجنوبي .

وليس تمدن قبائل المكسيك القديمة وقبائل اوتوميس وناحواس وآزتكا والمايا وكينشز ومويسكا والانكا وإيمرا وشيموس سوى استثناء لمدينة الشعوب الأولية التي قطنت الأتلنتدا . وما هذه الأتلنتدا العجيبة سوى أميركا التي ابتعدت عن جزر الكنارياس .

والمخطط الذي وضعه ميباستيان مونستر سنة ١٥٤٠ يتضمن أميركا ويشير إليها بالأمم الذي كانت معروفة به في ذلك العصر وهو *Nouus Orbis* وفي وسط مخطط أميركا الجنوبية تقرأ هذه العبارة : « جزيرة انلتكا

• « *Jusula Atlantica, Quam Vocant Brasillii et Americam*

ومناها : ان الانلندا هي أميركا بما فيها البرازيل •

\* \* \*

### الخلاصة :

يتدل من المعلومات المتقدمة ان هجرة أبناء الشرق من السومريين والمصريين وسواهم من القبائل المتعددة قد انتهت الى اميركا ، وفيها أبدعت مدينة لم تختلف في أول أمرها عن مدينة الأمم القديمة ، غير انه بانقطاع سبيل الحجارة أخذت تلك المدينة تتقهقر تدريجياً وخذ نشاط أولئك المفترين وضؤل ذكؤهم حتى انتهى أمرهم الى التوحش والتناحر ولا يزال هذا حالهم الى يومنا هذا . ١٠٥٠ •

مورج ليار

www.alukah.net

## سفر خالد بن الوليد

### من المراق الى الشام

- ٣ -

#### تفضيل الروايات :

نبدأ أولاً بالروايات التي زعمت أن خالداً دخل الشام عن طريق تدمر وقد اعتمد عليها كإثباتي ودي خويه كما سبق بيانه .  
أولاً - رواية الواقدي وفيها أن خالداً خرج من سوى الى الكوائل وأتى بعد ذلك قرقيسيا وأرك ، ثم دومة الجندل فقصم فالتقبتين خوارين حتى بلغ مرج رهط والكوائل كما أثبتته موصل في خريطته محل ماء واقع على بعد خمسة عشر كيلومتراً غربي ، جنوبي غربي ( الميادين ) أما قرقيسيا فهي مدينة قديمة واقعة على ضفة الفرات اليسرى في مصب الخابور وذهب موصل الى ان قصم في ( خان المنقورة ) على طريق ( تدمر - دمشق ) الروماني على بعد ستين كيلومتراً شرقي ، شمالي شرقي ضمير . وهو Casama الرومانية . وذكرها بواديبارد في خريطة المواقع الرومانية في بادية الشام ، بقية النيك<sup>(١)</sup> على طريق ( حمص - دمشق ) الروماني . وقصبة النيك واقعة في منتصف الطريق بين حمص ودمشق . وذكر دوسو أيضاً في كتابه « طبوغرافية سورية التاريخية القديمة والوسطى » في صفحات ٦٤ : ٦٦ ان Casama هي قصبة النيك وأثبتها في الخريطة المربوطة بكتابه<sup>(٢)</sup> .

(١) المجلد الثاني لكتاب (أثر روماني في بادية الشام) يتضمن الخرائط والرسوم والصور.

(٢) Topographie Historique de La Syrie, Par René Dussaud, 1927.



لهذا ينبغي أن نعتبر قصة أو قسم القصة الخالية نيك على ما ذهب اليه  
الكاتبان الفرنسيان الاخصائيان . أما موقع أرك فقد ذكرها ياقوت في معجمه  
وقال هي مدينة صغيرة في طرف بيرة حلب قرب تدمر وهي من فتوح خالد  
ابن الوليد عندما سار من العراق الى الشام . وهي (ورك) الخالية و (Harac)  
الرومانية في شمالي شرقي تدمر على بعد خمسين كيلومتراً على الطريق الروماني  
القديم بين تدمر والرصافة . وكان فيها حصن روماني لحراسة الحدود .  
ولنبعث الآن في رواية الواقدي ولنتحقق من صحتها . قال الواقدي ان  
خالداً خرج من سوى الى الكوائل والمسافة بينها خطأ مائتان وخمسون  
كيلومتراً . والمسافة بين الكوائل وقرقيسيا ثلاثون كيلومتراً . واذا صدقنا  
الرواية فيكون خالد قد شرق من سوى الى قرقيسيا وبها بلغ ضفة الفرات ،  
ثم توجه غرباً الى أرك والمسافة بينها خطأ مائة وخمسة وثمانون كيلومتراً .  
وذهب من أرك الى دومة الجندل والمسافة بينها خطأ خمسمائة وخمسون كيلومتراً ،  
هذا اذا فرضنا انه توجه الى دومة الجندل رأساً ، متوجهاً نحو الجنوب قطعاً  
البادية . وزعم الواقدي ان خالداً سار من دومة الجندل الى قسم والمسافة بينهما  
خطأ أكثر من خمسمائة كيلومتر . ولم يذهب من قسم الى مرج راهط رأساً  
بل توجه شرقاً الى القريتين ثم عرج على حوارين وانتهى أخيراً الى مرج راهط .  
والحل هذا واقع قريباً من قرية عذراء أو عدرا الخالية على بعد خمسة وعشرين  
كيلومتراً شمالي ، شرقي شمالي دمشق . ويبدو من المسافات التي ذكرناها ان  
خالداً بعد تفويذه الى سوى وقد قرب من دمشق نحواً من مائة وخمسين كيلومتراً  
وبلغ حدود الشام شرق وغرب ونزل جنوباً وصعد شمالاً . وبذلك قطع أكثر  
من الف وخمسمائة كيلومتر على أقل تقدير يضاف الى ذلك المدة التي قضاه  
في القتال والحصار والفتح وعقد الصلح وغير ذلك من الأعمال . وقضى هذا  
الوقت الطويل مشرقاً ومغرباً تاركاً هدفه الأصلي وهو الاجتماع بالمسلمين في

الشام ، قبل أن يهاجمهم الروم بجمعهم . والذي يدرس الرواية على الخريطة ويثبت الأماكن يتجلى له ان رواة الواقدي حشروا في رواياتهم فتوحاً تمت على يد خالد قبل سفره من العراق وفتوحات أخرى تمت بعد انضمامه الى المسلمين واشتراكه معهم في الحروب التي وقعت سنة ثلاث عشرة هجرية . ومن المعقول أن يتوجه خالد ، بعد وصوله الى سوى ، قاصداً الى الشام وبيلاقي جمع غسان في مرج راهط . لهذا اذا تفحصنا الرواية من أعمال خالد قبل سفره وأعماله بعد حروبه في الشام ، تطابق الرواية الواقع وتدلل على أنه خرج من سوى وتوجه الى مرج راهط .

ثانياً رواية المدائني : روى المدائني أن خالداً بعد أخذه أمرابي بكر بالشخوص الى الشام توجه الى صندوداء فقاتل من فيها ، ثم لقي جمعاً في المصيخ والحصيد ثم فوز من قراقر الى سوى ، ثم أتى أرك وتدمر والقريتين وحوارين وقصم حتى انتهى الى مرج راهط . وهو في طريقه هذا يقاتل ويحاصر ويصالح . وبدبهي أن الذي يقرأ هذه الرواية ولا يعلم محل قراقر وسوى يظن أن خالداً سار الى الشام على ضفة الفرات اليمنى ، من ناحية البادية أي طريق القوافل من الأنبار الى السخنة فأرك ، فتدمر ، حوارين ، فقصم وانتهى الى مرج راهط وهذه الطريق طويلة وتكثر فيها المياه .

ولنثبت المواقع التي وردت في رواية المدائني . أما صندوداء ولم يثبتها ياقوت واكتفى بذكر الوقعة ، فقال ان خالداً سار يريد الشام فأتى صندوداء وبها قوم من كندة وإياد والمعجم فقاتلهم . وثبت موصل صندوداء في محل المشهد الحالي الواقع شرقي الرمادي على بعد خمسة كيلومترات وذكر ابن منقذ في كتابه الاعتبار انها كانت ضاحية من ضواحي الأنبار وذكر كتاب المرصد انها في الضفة الغربية للفرات في أعلى الأنبار .

لم تضبط المعاجم والتقويم المصبيخ والحصيد وذكر ياقوت ان المصبيخ بين حوران والقلت ، وحوران هذا هو وادي حوران الذي يجري من بادية الشام ويصب في نهر الفرات بين جبّة وآلوس . وأضاف الى ذلك مصبيخ بهراء فقال ان خالداً ورده بعد سوى . وذكر عن الحصيد انه موضع بأطراف العراق من جهة الجزيرة . وقال نصر انه واد بين الكوفة والشام . ولكن موصل اسند الى رواية سيف بن عمر الباحث عن فتوح خالد في الفرات الأوسط قبل بلوغه الشام والتي اعتبرها موثوقة لأنها تدل بحملتها على أن رواية سيف كانوا عالمين بجغرافية البلاد حتى المعرفة .

ذكر موصل انه لم يجد المصبيخ ولكنه ثبت موقع القلت وهو واد صغير يسمى الآن ( ابو قلته ) يلتقي بالفرات جنوبي هيت . والطريق بين عين التمر والسخنة يقطعه . وما دام موقع المصبيخ بين القلت ووادي حوران كما أشار ياقوت أي على الطريق التي صار فيها خالد قبل التقائه بجموع تغلب في المصبيخ ، فيني ان يكون على هذا الطريق . قال موصل انه لم يجد محلاً باسم المصبيخ ولكنه وجد محلاً فيه ماء كثير ، يسمى الآن ( عين الأرب ) وكان المحل هذا لقبيلة نمر ورد ذكره في الأغاني<sup>(١)</sup> . لم يثبت موصل موقع الحصيد ويظهر من رواية سيف التي عرضت لفزوات خالد بين الأنبار وجبل البيشتر أنه أقرب الى عين التمر منه الى المصبيخ ، لهذا ينبغي ان يكون شمالي عين التمر وجنوبي القلت .

وإذا ما درست رواية المدائني بعد تثبيت موقعي صندوقاء والمصبيخ بنضح ان خالداً لما أخذ أمر ابي بكر لم يتوجه من عين التمر رأساً الى الشام وتوجه أولاً الى صندوقاء فقاتل من تجمع فيها ، ثم توجه الى الحصيد والمصبيخ ولقي جمع تغلب وغيرهم فيها وتغلب عليهم ، ثم غير وجهته وذهب الى قراقر ففوز الى سوى .

(١) البادية العربية ص ( ٣١٠ ) Arabia Dezerta

لماذا يتوجه خالد من عين التمر الى صندوداء وقد أراد ابو بكر على الشخصوس الى الشام فقطع مسافة تسعين كيلومتراً ؟ ثم توجه الى المصيخ والمسافة بينه وبين صندوداء مائة وخمسون كيلومتراً ، لأنه مرّ ببردان والحني كما ذكره سيف بن عمر ؟ والطريق الى المصيخ يمر بها . والمعقول أن يتوجه خالد من عين التمر توأ الى قراقر ، ما لم تبلغه أمور تستدعي حضوره الى صندوداء ورأى انه لا بد من البت فيها قبل السفر . والمسافة بين المصيخ وقراقر خطأ نحو من اربعمائة كيلومتر . واذا وقع هذا فعلاً فإن شخصه الى أرك بعد تفويزه من قراقر الى سوى لا يمكن قبوله على ما أشرنا الى ذلك حين تقدر رواية الواقدي . لهذا ينبغي أن تعتبر أعمال خالد في صندوداء والحصيد والمصيخ أعمالاً قام بها قبل استلامه أمر ابي بكر بالسفر الى الشام . أما أعماله في أرك وتدمر والقريتين وحوارين وقصم فلا بد أنها وقعت بعد انضمامه الى جيش المسلمين وفتح بصرى وأجنادين .

وبفهم من كل ما ذكرناه آنفاً ان زعم القائلين ان خالد بن الوليد شخص من العراق الى الشام عن طريق ( أرك - تدمر - القريتين - حوارين ) زعم خاطئ . واذا نظر المرء خريطة مواقع الرومان في بادية الشام والمصورات التي وضعها مؤلف كتاب طبوغرافية سورية في القرون القديمة والقرون الوسطى يرى أن أماكن الحصون والقلاع والمخافر التي أقامها الرومان على ذلك الطريق من الفراض الى دمشق منتشرة في شمال الطريق الروماني والى جنوبه وتكاد لا توجد قرية أو بئر الا وعليه حصن أو معقل أو مخفر . صحيح أن الروم كانوا قبل الفتوحات العربية قد تغلبوا على الفرس بقيادة الامبراطور هرقل وانهم لم يعودوا يخشون بأس الفرس ولا سيما وكانت فارس وقتئذ تموج بشورات داخلية واتقلابات ؛ غير ان قبائل تغلب المعادية من جهة ، وصعي الأهلين الى الدفاع عن أموالهم وماضيتهم وامداد الروم لهم من المراكز العسكرية الخطيرة كالفراض

م (٤)



وتدمر والرصافة من جهة أخرى لا تدعو خالداً الى المجازفة بقوته القليلة بالسير في تلك الطريق . يضاف الى ذلك أن قبائل تغلب كانت تستطيع دائماً ، كما أشار موصل ، أن تطمر الآبار في طريق خالد وتفسد ماءها . فكيف يتسنى لخالد أن يجتاز أرضاً معادية له في سفره من الأنبار الى تدمر والمسافة بينها خمسمائة كيلومتر ؟ واذا لم يسلك الطريق البعيدة عن ضفة الفرات ، فيتبني له أن يمر بوادي الفرات ويصطدم بالقرى المحصنة ، ويبدو من رواية الواقدي انه لم يجرؤ على مقابلة من تجمع من أهل قريسا بقيادة بطريقها فتركهم وانجاز الى البر . هكذا يتضح مما ذكرناه آنفاً ان الأعمال التي قام بها خالد والتي حدثت في أماكن بعيدة عن طريق سفره الى الشام سواء أكانت طريق ( الحيرة - قراقر - سوى - مرج راهط ) أم طريق ( عين التمر - قراقر - سوى - مرج راهط ) ما هي الا فتوحات وقعت قبل سفره أو بعد سفره . وقدما القول ان الطرق التي تقطع بادية الشام من الشرق الى الغرب لا يصح الركون اليها في سفر خالد لأن مياهها قليلة لا تستطيع الخيل أن تسير فيها .

### السبب الذي حدا بخالد على التفويض :

أي الطريقين سلكهم خالد ؟ طريق ( الحيرة أو عين التمر - قراقر - سوى - مرج راهط ) او طريق ( الحيرة او عين التمر - دومة الجندل - قراقر - سوى - مرج راهط ) . وما هو السبب الذي حمل خالداً ، بعد بلوغه قراقر ، أن يفوز الى سوى بدلاً من ان يسير في طريق القوافل المارة بوادي السر ، التي تنتهي ببصرى أو بأذرعات ؟

روى ابن اسحق أن خالداً أخذ كتاب ابي بكر في الحيرة فتوجه الى عين التمر ومنها سار الى قراقر ففوز الى سوى ثم توجه الى مرج راهط . لم يذكر ابن اسحق المنازل التي نزل بها خالد بين عين التمر وقراقر . ترى هل سار

بطريق (عين التمر - الأخدمية - الخفية - اخلط - قراقر) التي ذكرها ابن خرداذبه وثبتها موسل بالأسماء الشائعة الآن ، أي (عين التمر - شعيب الخدمية - غدير الخليط - خفاية لاهة - قراقر) ؛ ام انه سار بطريق (الحيرة - الرهيمية - الجحيت - القرابي - الخنفس - الحسيمية - الفرقة - القراقر) ، وقد ثبته موسل بالاسماء الشائعة كما يلي : (الرهيمية - البريت - غدير القرابي - عمارة الخنفس - بريكة أم احسبية) .

أما الطريق الأول وهو الطريق الشمالي فلا يختلف كثيراً عن الطرق الشمالية الأخرى التي تقطع البادية من الشرق الى الغرب لأن الماء فيها قليل لا ينأى لقافلة كبيرة أن تسير عليها ، لاسيما اذا كان فيها خيل . أما الطريق الثانية فمع أنها أحسن من الطريق الأولى فلا يحتمل ان خالداً سلكها . ولو لم يذكر سيف بن عمر والواقدي وموسى بن عتبة ومصعب بن عبد الله في رواياتهم ان خالد بن الوليد مر بدومة الجندل جاز لنا ان نميل الى أن خالداً سلكها . وقد أبد موسل ان الماء مفقود فيها في مسافة اربعمائة وخمسين كيلومتراً أي من البريت الى قراقر ، لهذا من المستبعد جداً ان يمر بها خالد والموسم كما سيتضح لنا بعد حين ، ليس موسم امطار . اذن لم يبق الا طريق (الحيرة - دومة الجندل - قراقر - صوى - صرح راعظ) والتسم الأول منه الى قراقر تسير فيه القوافل وفي منازلها مياه كثيرة في الآبار والبركات الكبيرة . انه طريق طويل ولكنه امين .

قلنا ان ابن اسحاق لم يذكر في روايته المراحل بين عين التمر وقراقر وبدل هذا السكوت على ان خالداً مر بالطريق العادية اي طريق (الحيرة - دومة الجندل - قراقر) بحيث لم ير الرواة حاجة لذكر المنازل لأنه لم يحدث فيه احداث من قتال او فقدان ماء مما يستدعي ان تبقى محفوظة في محفوظ الرواة

فينقلوها ولا صيا اذا اعتبرنا ان فتح عين التمر الذي ذكره ابن اسحق تم قبل ان اخذ خالد كتاب ابي بكر بالسفر الى الشام .  
وهذه الطريق تبدأ من الخيرة مارة بالرهبة والقرعاء ووقصة وحبكة والصوير وسكاكة والقارة وتنتهي بدومة الجندل ، ثم تمر بوادي السر الى قراقر .  
والقرى والمياه موفورة في الوادي الذي يعد من الواحات المشهورة في بادية الشام لكثرة المياه فيه . وتبلغ المسافة من الخيرة الى قراقر أكثر من ستمائة وخمسين كيلومتراً .

ما هو السبب الذي حدا بخالد على ان يترك الجادة بين دومة الجندل وبصرى وهو الطريق الممتدة نحو الشمال الغربي وينحرف من قراقر الى الاتجاه الشمالي ويفوز الى سوى في ارض : « اذا ما صار فيها الجيش بكى ما صار فيها من قبل انسي يرى »

ويبدو من رواية ابن اسحق ان الدليل (رافع) حذر خالداً من اجياز هذه المفازة وقال له : « انك لم تطق ذلك بالخيال والأثقال . والله ان الراكب المفرد يخافها على نفسه ، وما يسلكها الا مفوزاً ؛ انها خمس ليال جياذ ، لا يصاب فيها ماء مع مضلتها . » . وعلى الرغم من تجذير رافع هذا لخالد فانه أصر على رأيه . ويتضح من رواية سيف بن عمر ان رجال خالد بعد ما سمعوا أقوال رافع ترددوا ، الى أن قام خالد بهم خطياً ، مشحذاً لهمتهم . لم يذكر ابن اسحق سبب انحراف خالد عن الجادة ولكن سيف بن عمر ذكره بقوله ان خالداً كان يريد طويقاً يخرج به وراء الروم ولا يريد ان يستقبلهم فيمنونه من غياث المسلمين .

لانعلم على وجه الصحة المواقع التي كان المسلمون مجتمعين فيها في الشام أثناء سفر خالد . والذي أثبتته الروايات ان خالد بن الوليد لما خرج من مرج راهط وانتهى الى قناة بصرى التي بالمسلمين فيها . واختلفت الروايات فمن كان

حاضراً في بصرى . فابن اسحق روى ان ابا عبيدة بن الجراح وشرحيل بن حسنة ويزيد بن ابي سفيان كانوا على بصرى . اما رواية سيف بن عمر فتص على ان خالد بن الوليد ، وحده فتح بصرى . ولم يذكر الواقدي من كان من المسلمين في بصرى واكتفى بأن قال انه قيل ان خالداً أتى الجابية وبها ابو عبيدة في جماعة ، فالتقيا ومضيا جميعاً الى بصرى . وأما المدائني فنتهي روايته بوصول خالد الى مرج راهط ، وروى موسى بن عقبة ان خالداً قدم الشام وبه يومئذ ابو عبيدة . واكتفى يعقوبي بقوله ان خالداً بعد ان فوز وافي المسلمين فافتتحوا بصرى . وروى اللالطائي ان خالداً خرج من ضمير فوجد المسلمين في الجابية . وذكر ابن عساكر ان ابا بكر أمر خالداً ان يأتي الشام فيلقى بها ابا عبيدة ومن معه من المسلمين . واكتفى ابن خلدون بالقول ووافي خالد المسلمين مكاتبهم عندما وصل ماهان الروم ايضاً .

لا جرم ان من الصعب اثبات مواقع جند المسلمين في الشام اثناء سفر خالد . اما ان يكون جند المسلمين في الجابية حين وصول خالد الى الشام فلا تحب انه صحيح ، ومن أشاروا الى ذلك كانوا رواة جملوا معركة اليرموك في سنة ثلاث عشرة من الهجرة وذكروا أنها كانت بعد وصول خالد الى الشام . على حين ثبت ان معركة اليرموك وقعت في سنة خمس عشرة وان معركة اجنادين وقعت في جنوبي فلسطين سنة ثلاث عشرة ، أي بعد نجدة خالد جيش المسلمين<sup>(١)</sup> . ورواية أن ابا عبيدة كان في بصرى قبيل وصول خالد اليها ، رواية تحتاج الى تمحيص ، لأن خبز مجي ، ابي عبيدة الى الشام في سنة ثلاث عشرة غير متفق عليه . والثابت ان ابا بكر أوفد ابا عبيدة الى الشام بعد تسريح الجنود اليها بمدة غير قصيرة . وهناك ما يشير الى أن ابا بكر أراد أن يعقد لأبي عبيدة فاستغفاه من ذلك .

(١) أنضنا في مقال لنا نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي ، (المدد الثاني) .



ذكر البلاذري ان الثابت ان عمر وى ابا عبيدة الشام كله حين استخلف .  
ومن المعلوم ان عمرو بن العاص لما لقي مقاومة عنيفة في جنوبي فلسطين انسحب  
الى الفجر ، الواقع في وادي العربة في انتظار ورود المدد ؛ ولعل شرحبيل بن  
حسنه الذي وجهه ابو بكر الى كورة الأردن كان مصكراً قريباً من الفجر .  
أما يزيد بن ابي سفيان الذي وجهه أبو بكر الى اللقاء فكان بقم مع جنده  
فيها ، ينتظر ورود خالد . لهذا نحسب ان خالدأ عندما وافى قناة بصرى كان  
يزيد بن أبي سفيان قد وصل اليها بعد أن بلغه خبر وصول خالد الى الشام .  
ويجوز ان خالدأ بعد وصوله مرج راهط وتغلبه على الفسائيين أرسل رسولا إلى  
يزيد بن أبي سفيان وطلب اليه أن يتقدم نحو بصرى .

بتراءى لنا أن جند العرب كانت معسكرة في شرقي الأردن من الفجر  
الى اللقاء . وفي رواية سيف بن عمر أن خالدأ كان يريد أن ينفذ الى الشام  
من محل ليس للروم فيه معاقل وحصون حتى لا تجبه عن نجدة المسلمين .  
وقد يسأل سائل لماذا لم ينفذ خالد الى المسلمين ، اذا كان يعلم انهم صرابطون  
في شرقي الأردن ؟ فيتوجه غرباً من الطريق الأقصر ، والمسافة بين قراقر  
وموآب ( قرب الكرك ) مائتان وستون كيلومتراً أي من أربع مراحل .  
ويدل صدوف خالد عن الذهاب الى موآب انه علم ان المسلمين لم يكونوا فيها ،  
وانما تقدموا الى الشمال .

ولا يستطيع خالد أن ينفذ الى المسلمين من هذا الطريق من دون ان  
يصطدم بالحصون والقلاع والمخافر التي كانت تحمي شرقي الأردن من جهة البادية .  
ولم تكن هذه البلاد وقئذ تحت سيطرة المسلمين لأنهم كانوا في بداية الفتوح .  
ويظهر من الروايات ان قصة موآب لم تفتح الا بعد سقوط بصرى . أضف  
الى ذلك أن الروم بعد اصطدامهم بالمسلمين في جنوبي فلسطين لا بد أنهم احتاطوا  
فسدوا منافذ البادية من جهة الشرق وحشوا أهل البلاد على الدفاع عنها بالاشتراك



معهم . لهذا لا يعقل ان خالداً بعد وصوله الى قراقر متكتماً ، يقتحم بلاد الشام في منطقة لا بد له من الاصطدام بحصونها ومناجزة أهلها . ويتضح من عزمه على النفوذ الى الشام بطريق ( قراقر - سوى ) انه كان يرى مباغته الروم في النفوذ اليهم من باب لم يتوقعوا ان يتسلل المسلمون منه .

ذكر موسى في كتابه البادية العربية<sup>(١)</sup> : ان البدو يدخلون الشام من بادية الشام من منفذين : المنفذ الأول في جنوبي غربي بصرى وجبل حوران . والثاني في شمالي شرقي دمشق بين سلسلة الرواق وتلول الاعطيات . وفي المنفذ الأول تحدد شعبان الزرقاء من جهة وجبل حوران من جهة أخرى حركة البدو . فقد اختط خالد في اول الأمر ان يدخل سورية من المنفذ الأول ، ولما علم ان العدو يستد منافذه غير اتجاهه الى المنفذ الثاني أي انه يمرره بطريق ( الحيرة - دومة الجندل )<sup>(٢)</sup> أراد أن يسلك وادي السر حتى يبلغ أذرعان وهي باب الشام من الجنوب الشرقي .

وإذا سهل الوصول الى المنفذ الأول بالمرور من وادي السرحان وفيه مياه كثيرة ، فمن المتعذر الوصول الى المنفذ الثاني الا بعد هطول أمطار غزيرة في الشتاء تملأ الأودية والجواري . ثمخ جبل حوران يتممه بين المنفذين المذكورين ، في شرقه المنطقة البركانية الخفيفة التي قامت حافتها صوراً أسود يتجه في سمت الشمال . ويبلغ عرض المنفذ الأول نحو ثلاثين كيلومتراً يحده من الغرب جبال الزرقاء الوعرة ومن الشرق الحمم البركانية ولقد شيدت قلعتا بصرى وعمان وأقيمت حصون الحراني والأزرق والحلابان للدفاع عنه . وكان الروم يحتلون

(١) البادية العربية Arabia Dezerta ص ( ٥٥٧ - ٥٥٨ - ٥٥٩ ) .

(٢) تشير رواية عبد الوهاب بن مبارك الى ان خالداً سار من الحيرة الى قراقر

بطريق دومة الجندل ، ابن عساكر : الجزء الثاني ( ص ١٢١٩ ) .

هذه القلاع والحصون ، وكان العرب المنتصرة يرابطون في أطرافها . ولا بد من أن خالداً علم ذلك من عيونه .

يقع ماء قراقر على الطريق الموصل الى المنفذ الأول ، بينما تقع سوى على الطريق الموصل الى المنفذ الثاني . والذي يسير من قراقر الى سوى يتوجه أولاً الى الشمال الشرقي ويسير خمسين كيلومتراً في منطقة بركانية ، ثم يجتاز مفازة طولها خمسة أيام متوجهاً الى الشمال من دون انحراف . وفي الأيام الأربعة الأولى يشاهد المسافر عن يساره كتلاً من اللحم ، قامت فيها قبن منفردة ، وعرة تهدي خطاه . وفي بداية اليوم الخامس يرى ان اللحم توجهت الى الشمال الغربي نحو المنفذ الثاني . وينبغي له هنا ان يترصّد الأطراف بدقة للعثور على الوادي الضحل وفيه آبار ( صبع ييار ) .

ويظهر مما ذكره موصل ان للقادم من بادية الشام منفذين للدخول الى أرض الشام ، منفذ جنوبي بين جبل حوران في الشرق وجبل عجلون في الغرب ومنفذ في الشمال بين سلسلة الرواق الممتد نحو الشمال الشرقي من ضمير الى تدمر وبين الحرات التي تبدأ من جنوبي ضمير وتمتد الى الجنوب موازية جبل حوران حتى جنوب قراقر . ويستطيع المسافر المنفرد أو جماعة ان يدخل الى بلاد الشام من محال أخرى ولكن قوة كبيرة فيها فرسان على ظهور اخييل لا تنفذ الى الشام إلا من المنفذين المذكورين لأن طريق دومة الجندل وطريق تدمر هما طريق القوافل لنقل التجارات بين العراق والشام .

ويلاحظ لنا أن خالد بن الوليد اعتمزم حين استلامه أمر أبي بكر أن يسير الى الشام من طريق دومة الجندل وكان قد افتتحها في السنة الماضية ووطد أقدام المسلمين فيها ولا بد أن أهلها ذكروا له أخبار القتال في جنوبي فلسطين وحشد الروم جيوشهم واستنفارهم للغسانيين . والعرب المنتصرة الآخرين وانزالهم للمرتزقة العرب في بعض الأماكن والحصون . لقد ذكر تنوفانوس ان العرب كانوا

نافرين من بيزنطية لأنها قطعت أعطياتهم بسبب ضعف المالية في الامبراطورية بسبب حرب الفرس . وزعم ان هذه النفرة ساعدت المسلمين على فتوحاتهم . صحيح ان بيزنطية لم تكن في وضع مالي حسن وانها لم تستخدم المرتزقة كالسابق بعد انتصاراتها العظيمة على الفرس في عهد هرقلوس ولكنها حين عثت بفزوة العرب جنوبي الشام كان ينبغي لها ان تستخدم بعض المرتزقة وتقدم الأعطيات للفسانيين وغيرهم ممن خدموها في حروبها مع الفرس . وهناك روايات تشير الى ان خالد بن سعيد حينما توغل في مشارف الشام من دون أن يحتاط ، باغته العرب من مناصري الروم وخزموه . ولا يستبعد أن خالدًا علم من أهل دومة الجندل أخبار الروم فأدرك أن الدخول الى الشام في المنفذ الجنوبي صعب وأنه ليس من الحزم المجازفة بقوته في اختراق الحصون التي توصلت في وجهه باب ذلك المنفذ ، كقلعة بصرى وغيرها . ولعل أخبار الروم وصلته في طريقه من دومة الجندل الى قراقر ، لأن أهل وادي السر كانوا على اتصال مستمر بالشام . ولما وصل قراقر اختمرت في رأسه فكرة الدخول الى الشام من منفذ آخر يخرج منه وراه جموع الروم ، فطلب الى الدليل رافع بن عميرة الطائي أن يبدله على الطريق ، فعزم أن يقطعه رغم الصعوبات التي سيلاقها في طريقه هذا . ونشأت الصعوبة في قطع المفازة بين قراقر وسوى في تدبير الماء للخيال لأنه ليس في المفازة ماء ولأن الوقت ليس موسم الأمطار كما سيظهر لنا .

### كيف دبر خالد أمر الماء في قطعه المفازة ؟

لقد دبر أمر الماء على الطريقة التي كانت شائعة في غزوات البدو . والبدو كان من عادتهم اذا اضطروا الى اجتياز مفازات في غزواتهم يحملون أجواف بعض إبلهم مخازن ماء سيارة ، لاسيما اذا أرادوا أن يباغتوا عدوهم ويخرجوا اليه من أماكن لا يتوقع خروجهم منها . وطريقة تدبير الماء تلخص

في ارواء الجمال العظام ، السمان المسنة ، بعد أن يظأن أو يجهدهن العطش وذلك بسقيهن نهلاً وعللاً ، ثم يشد أفواههن حتى لا يجتررن فيفسدن ما في كراشهن من الماء .

وفي هذا الصدد ذكر موصل<sup>(١)</sup> ما يلي : « ان البدوي اذا أراد أن يهيج ظمأ الناقة يأخذها الى محل الماء ويعقلها قريباً منه ويصب الماء في الوعاء الذي تشرب منه ، ثم يضرب الماء براحتة ، ويجريها على الشرب بالشدي ( أغنية قصيرة ) وتصفيق خاص . ترى الناقة كل ذلك وتسمعه ولكنها لا تستطيع الوصول الى الماء ، لهذا تمد أذنيها شوقاً الى الماء . . يتدرب كثير من الاوبل بهذا التحريض والتصويت وهي تفهم بسليقتها انها تمد لسفر طويل في صحراء قاحلة وان عليها أن تشرب وتمب كثيراً . واذا عقلت النوق وسمعت ما اعتادت سماعه من التصفيق والغناء مدت آذانها نحو الماء وأظهرت لهفتها الى الماء بأنين خاص . وبقدر ما يكون الماء قريباً منها فان المرحلة أمامها طويلة وانها لن يهتر فيها على ماء . واذا أحل عقابها أسرع الى الوعاء وشربت جرعات طويلة كبيرة . فيصب صاحبها الماء في الوعاء ما دامت تشرب . ثم يعدها عن الماء ويتركها ترعى . . ولشدة ما يجهدها العطش ، تختلج ، ثم يفك عقابها فتشرب مرة أخرى . وبهذه الطريقة تشرب الناقة السمينة العظيمة من ستين الى سبعين لتراً من الماء . وأخيراً يشد أفواهها لكيلا ترعى وتجتر فيختلط الماء بالكلاً في أكراشها» . هكذا تُسقى في المرة الأولى نهلاً وفي المرة الثانية عللاً .

وبتضح مما قاله موصل ان كاتباني لم يصدق الروايات القائلة بشق كراش الاوبل في كل يوم وشرب ما في كراشها رغم اجماع الرواة . وعد خبر الروايات هذه من نرج الخيال ، وقال انه اذا كان الغرض هو حمل الماء ، فلا حاجة لهذا العمل الفظيع ، لأن الجمل يحمل على ظهره من الماء أكثر مما يشربه مرات .

(١) البادية المريية ، ص ( ٥٧٠ ) .



ولكن موصل شجب قول كابتاني قائلاً : ان كابتاني نسي ان القرب كانت مفقودة عند خالد ، لأنه حينما غادر الخيرة لم يأخذ القرب معه ، لأن الطريق التي سار بها من الخيرة الى قراقرز كانت عاصرة بالمياه للرجال والخيول والجمال . ولكنه حينما اعتزم في قراقرز أن يفوز الى سوى كان لا بد له من أن يفكر في سقي الخيل في المفازة لأنها لا تتحمل العطش .

والإبل اذا سقيت نهلاً وعلاً على الطريقة المذكورة فانها تتحمل العطش . وفي وسع الرجال أن تحمل ماءها على ظهور دوابها . وليست قراقرز بلداً توجد فيه القرب وفيها الماء فقط . لهذا استعمل خالد الطريقة الشائعة في البادية . ويبدو مما ذكره موصل أنها لا تزال شائعةً عندهم . واذ لم تكن القرب متيسرة في قراقرز حملت الإبل الماء في جوفها بدلاً من أن تحمله على ظهورها . وذكر موصل انه نيس في عمل خالد ذلك شيء يستدعي العجب ، لأن قوته كانت بحاجة الى الطعام ؛ فالإبل التي تنخر وتشق بطونها يأكل الجند لحومها . أما الماء الذي يستخرج من كراشها فبعد ركوده يصلح لشرب الخيل واذا ما مزج بلبن النوق كما أشار اليه سيف بن عمر في روايته يشربه الرجال .

واذا كان عدد الإبل التي استخدمت للماء وللنحر خمسين دابة وشرب كل منها ستين ليترًا من الماء فنكون قد حملت ثلاثة آلاف لتر من الماء ، أي ما يكفي لارواء مائة جواد خمسة أيام . وأضاف موصل قائلاً ان أرض المفازة اذا أمطرت في الشتاء يسقط الجواد على الكلاً وهذا ما يجعل ستة لترات من الماء تزويه يومياً .

وبعد أن دبر خالد أمر الماء تقدم نحو سوى . لم يذكر يا قوت اسم سوى . أما البكري فقد رسم سوى بفتح أوله ؛ ويظهر مما كتبه انه ماء ولكنه لم يحدد موقعه . وفي بيت للتأبفة انه في ديار كلب :

نجالة الدنابة أو سوى مضنة كلب من مياه المناظر ؟

وقد جعله موصل كما تقدم في أرجاء سبع ييار على طريق السيارات بين الرطبة  
 وخان ابي الشامات . وقد شيد الافرنسيون فوق الراية المشرفة على الشعب  
 مخفراً للدرك . والمخفر يرى على يمين الطريق للقادم من الرطبة والبدو يلفظونه  
 كما رأى موصل بسكون أوله . وفي رواية لسيف بن عمر ان محرز بن جريش  
 الحاربي ولعله من أهل تلك الديار قال خالد: « اجعل كوكب الصبح على جانبك  
 الأيمن » أمه تفض الى سوى . « وقد أكد عبد العزيز العقيلي ان المسافر من  
 قواقر اذا وضع نجمة الصباح على جانبه الأيمن يصل الى سبع ييار .

طه الراهشمي

( يتبع )

# تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر؛ مع نقد وتعليق

- ٤ -

## ٥ - القمي المفسر:

ومن بحث هذا الموضوع في هذا العصر القمي حسن بن محمد (٣٧٨) المفسر وقد سبق أن ذكرنا أنه يعالج الموضوع على طريقة المتكلمين أكثر مما يعالجه على طريقة المفسرين . وكان مثالا لغيره من المفسرين الذين وسعوا ميدان علم التفسير باستمداد بعض براهينهم من علم الكلام وعلم الفلسفة ، وأشرنا الى الفرق بينه وبين الطبري في بحث هذا الموضوع .

وذكر عبد العلم الهندي (في مقاله السابقة) أن القمي يؤكد بأن طيبة هذه المعجزة يمكن فقط أن تعرف ولا يمكن أن توصف شأن القطعة من الذهب الصافي أو جمال الوجه . وكل شخص - في رأيه - يقول غير هذا وينكره ويحاول أن يبرهن أن الإعجاز كان بالصرفه أو الخروج عن أنواع الكلام المعروفة أو الخلو من التناقض أو الإخبار عن الغيب هو محطى مطلقاً .

## ٦ - الواسطي الأديب المتكلم:

يؤلف في هذا العصر أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي (٣٠٦) كتاباً في إعجاز القرآن اليباني يقول فيه: إن القرآن معجز بالنظم . والكتاب مفقود . ولم أجد من تكلم عن فكرة المؤلف بالتفصيل . وذكره الراقعي فلم يزد على أن قال إنه قد سبق عبد القاهر الجرجاني الى التأليف في هذا الوجه من الإعجاز وإنه أول من جود في هذا المذهب - أي مذهب أن القرآن معجز بالنظم -

- ٦١ -

ثم تبعه الرماني ( ٣٨٢ ) وأنه - أي الواسطي - بسط القول فيه على طريقتهم في التأليف . وذكر الرافي كما ذكر عبد العليم الهندي أن الجرجاني شرح كتاب الواسطي شرحاً كبيراً سماه «المعتضد» وشرحاً أصغر منه وذلك قبل أن يضع كتابه «دلائل الإعجاز» و «أسرار البلاغة» . ويعتب الرافي على ذلك بقوله : «ولا نظن الواسطي بنى إلا على ما ابتدأه الجاحظ كما بنى عبد القاهر في دلائل الإعجاز على الواسطي» . ومن الواضح أن الرافي بدلي بحكمه هذا وليس بين يديه كتاب الواسطي (إعجاز القرآن للرافي ص ١٥٣) . ولا ندرى علامَ اعتمد الرافي في قوله بأن الواسطي هو أول من جوّد في هذا المذهب .

## ٧ - الرماني الأديب المتكلم :

ومن ألف في الإعجاز في هذا العصر علي بن عيسى الرماني وقد ذكر كتابه صاحب الفهرست ومنه نسخة في استامبول حصل على نسخة منها عبد العليم الهندي وقال ( في مقاله السابقة ) : إنه سيظمها قريباً .

وقد ذكر الرافي أنه المؤلف الثالث الذي ناصر قضية الأسلوب والنظم بمد الجاحظ والواسطي وقال إنه بذلك رفع الرأي درجة ثالثة . ( إعجاز القرآن للرافي ص ١٥٣ ) .

وذكر ابن سنان الخفاجي ( في كتابه سر الفصاحة ) رأي الرماني في الإعجاز فقال إن الرماني جعل مراتب الكلام في تأليفه ثلاثاً : متنازلاً ومتلائماً في الطبقة الوسطى ومتلائماً في الطبقة العليا والقرآن كله متلائم في الطبقة العليا وذلك بين لمن تأمله والفرق بينه وبين غيره من الكلام في تلاؤم الحروف على نحو الفرق بين المتناظر والمتلائم في الطبقة الوسطى ويفهم من هذا أن الإعجاز عند الرماني يقوم على تلاؤم الألفاظ .

وذكر يحيى اليمني صاحب الطراز رأي الرماني في الإعجاز ( كتاب الطراز



ليحيي اليمني ج ٣ بحث الإعجاز ، في نقد المذهب السابع ووجوه الإعجاز ) فقال عند نقده مذهب القائلين بأن القرآن مجز بلاغته : « وإن أرادوا أنه يلينغ بالإضافة الى معانيه دون ألفاظه فهو خطأ لأنه صار مجزاً باعتبار ألفاظه ومعانيه جميعاً ، وغالب ظني أن هذا المذهب يحكى عن أبي عيسى الرماني » .  
ونرى من هذا أن صاحب الطراز قد ألبس علينا الأمر فلم يتضح من جملته أي مذهب مذهب الرماني في إعجاز القرآن من حيث البلاغة ، أهو مذهب أن البلاغة في المعاني دون الألفاظ ، أم في الألفاظ والمعاني معاً فضلاً عن أنه بنى قوله على غلبة الظن فلا يمكن الاعتماد عليه .

وذكر السيوطي ( الاتقان ج ٢ ص ١٩٨ وما بعدها ) رأي الرماني فقال إن الإعجاز عنده بالصرفه والإخبار عن الأمور المستقبلية ونقض العادة وقياسه بكل معجزة وإنه فسر نقض العادة باتيان القرآن بطريقة مفردة من النظم خارجه عن العادة لها منزلة في الحسن تفوق بها كل طريقة وتفوق الموزون الذي هو أحسن الكلام وفسر قياسه بكل معجزة بما معناه أنه أدى إلى ما أدت إليه المعجزات من عجز الناس عن الإتيان بمثلا .

ونجد أن السيوطي من بين من ذكروا رأي الرماني هو أقربهم من الصواب في معرفة رأيه . فعبد العليم الهندي لخص رأيه ( في مقالته السابقة ) فذكر ما ذكره السيوطي وزاد عليه أيضاً أنه مجز لأنه لم يعارضه شخص برغم الدواعي الكثيرة والحاجة الملحة والتحمدي العام ثم لاتصافه بالبلاغة التي يمكن إدماجها تحت اسم النظم الحسن الذي ذكره السيوطي .

وقال عبد العليم الهندي بعد أن أورد رأي الرماني : « ونرى هنا كيف أن الرماني جمع بين حجتي الأسلوب والصرفه اللذين بنى الواحد منهما الآخر وهذه النقطة في التعارض قد ضاعت على مرور الزمن وأصبح يمكن أن يوضع نظريتان متعارضتان جنباً الى جنب » . ثم قال :

« ويعرض - أي الرماني - في مسألة الأسلوب هذا السؤال وهو: كيف يستطيع المرء أن يكتشف أن أسلوب القرآن فوق طاقة البشر؟ وأول جواب على هذا أن ذلك يتملق بذوق الشخص والذين حصلوا على ذوق قويم في الأسلوب العربي هم وحدهم قادرون على التأكد من ذلك وأما العامة والأعجم فلا يستطيعون التأكد من هذه الحقيقة وإنما يعتمدون على آراء أولي العلم » .

ونلاحظ في رأي الرماني في الإعجاز اتجاهًا جديدًا وهو جمعه لكثير من النظريات التي قيلت قبله، فهو لا يأخذ بناحية وينقد الأخرى أو يرفضها بل يقبل كل ما قيل في الأمر على علاقته فكأنه في هذا يوفق بين الآراء المختلفة كما نلاحظ أن تركه مسألة الحكم في المفاضلة بين الأساليب إلى الذوق الأدبي وحده دليل على نضج ذوقه في البيان وحسن فهمه للأدب .

### ٨ - الخطابي:

وبأني بعد الرماني معاصره الخطابي (٣٨٨) وهو ممن جمع بين الكلام في البلاغة وعلم الكلام وألف كتابًا في الإعجاز . توجد منه نسخة في ليدن وذكر رأي الخطابي في البلاغة وذكر الرأي نفسه السيوطي قبله في الاتقان؛ قال السيوطي: (الاتقان ج ٦٢ ص ١٩٨) وقال الخطابي: «ذهب الأكثرون من علماء النظم إلى أن وجه الإعجاز فيه من جهة البلاغة لكن صعب عليهم تفصيلها وصغوا فيه إلى حكم الذوق ثم يذكر ما مؤداه أن كلام القرآن جمع بين المتضادين الجزالة والسهولة ليكون آية للنبي وإنما عجز العرب عن الإتيان بمثله لأنهم لا يستطيعون أن يحيطوا بالألفاظ في العربية وتأدية المعاني في وجوه الكلام المختلفة وأن القرآن جمع جمال الألفاظ إلى حسن النظم وسمو المعاني مجموعة في كلام واحد هو كلام العليم القدير ولم تجسع في غيره» ثم يمدد ما تضمنه القرآن من المعاني المختلفة بالتفصيل وبخاصة إخباره عن الغيب والأمر المستقبل . ومن الجليل في رأيه قوله: «وقد قلت في إعجاز القرآن وجهًا ذهب عنه الناس

وهو صنيعة في القلوب وتأثيره في النفوس فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا مثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ذوي الروعة والمهابة في حال آخر ما يخلص منه إليه . قال تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأته خاشعاً متصدعاً من خشية الله » وقال : « الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم » . ونلاحظ على الخطابي أنه جمع بين أقوال مختلفة قيلت في القرآن ولكن بعضها لا يناقض بعضاً وبدل حجمه إياها على معرفة عميقة بجيال الكلام وبالبلاغة الحقيقية . وفهمه لها قريب مما نفهمه نحن الآن من صفات الأدب الرفيع : معانٍ سامية وأسلوب محكم جميل وعاطفة قوية تؤثر في القلوب . وقد أنقص من صفات هذا الأدب عنصر الخيال وربما كان ينحلّ عنده فيدخل قسم منه في المعنى وقسم منه في الأسلوب فيكون مفهومه عن البلاغة قريباً جداً من الكمال .

٩ - العسكري :

يرى أبو هلال العسكري أن إعجاز القرآن ببلاغته ولذلك ارتأى ضرورة دراستها . قال أبو هلال ( البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها ، الخولي : ص ٢٨ ) : « البلاغة إنما تدرس لأن اغفالها يؤدي إلى عدم وقوع العلم بإعجاز القرآن على وجه استدلائي تعليلي والقول في ذلك بالتقليد غير مقبول عنده ولا لائق لأنه قبيح بالفتية المؤتم به والقاري المهتدي بهديه والمتكلم المشار إليه في حسن مناظرته وتمام آله في مجادلتها وشدة شكيمته في حجاجه وبالعربي الصليب والقوشي الصريح إلا يعرف إعجاز كتاب الله إلا من الجهة التي يعرفها الزنجي والنبطي وأن يستدل عليه بما استدل به الجاهل الغي » .

وكتاب أبي هلال في الحقيقة كتاب أدبي لم يخصص لفكرة الإعجاز وإنما لبيان بعض فنون البلاغة وبيان ما يحتويه القرآن الكريم منها وما يحتويه الشعر

ولهذا لا نرى له رأياً صريحاً عن الإعجاز في هذا الكتاب وإنما ينتج من المقدمة كما قلت أن الإعجاز عنده قائم على البلاغة .

\* \* \*

### تقد وتلخيص :

نلاحظ على مؤلفي هذا العصر (الرابع الهجري) من ذكرت آراءهم في الإعجاز آتفاً أنهم لم يأتوا بجديد في الموضوع وإنما دخل ميدان المعركة فيه والكلام عليه طائفة المفسرين فحدث الطبري عن الفكرة ببساطة وبما يستدعيه فن التفسير من القول وتكلم القمي المفسر كلام المفسر المتأثر بعلم الكلام ثم نرى في هذا العصر ظاهرة جديدة لم تكن واضحة في القرن الثالث وهي أن الأدباء أصبحوا يؤلفون كتباً مستقلة في البلاغة تعنى بالإعجاز وكان مؤلفوها ممن تأثروا قليلاً أو كثيراً بعلم الكلام كالواسطي والرماني والخطابي أو أدباء خُلصاً كالمسكري على حين كان الجاحظ في القرن الثالث أديباً ومعتزلياً .

ثم نرى المتكلمين كالأشعري والتوحيدي وبندار الفارسي قد تأثروا على طرق البحث كأصنافهم من قبل كما نشهد هذا العصر لم يحل من رموا بما نسميه الآن حرية الفكر كالمتنبي الذي لم ينسب إليه فقط عدم اعتقاده بإعجاز القرآن بل رمي في حد ذاته منه بادعاء النبوة ومحاولته معارضة القرآن .

### القرن الخامس الهجري :

يمتاز هذا العصر بوفرة المتكلمين والمؤلفين في مسألة الإعجاز ويمتد بحق عصرها الذهبي ولا عجب فإن هذه المسألة جزء من الحركة الفكرية العامة ومظهر من مظاهرها ، وقد نضجت في هذا العصر العلوم الفلسفية والعقلية بعد أن انتفض دور الترجمة والنقل وانتقل العرب والمسلمون إلى دور الهضم والانتاج كما نضجت العلوم والفنون اللغوية والأدبية . وأشهر من اتهم بالمعارضة فيه قابوس



ابن وشمكير أحد ملوك الديلم، وابن سينا الفيلسوف، وابو العلاء المهرى الأديب المفكر المتفلسف . وأشهر علماء الكلام الذين بحثوا هذه المسألة فيه اثنان من الشيعة هما الشريف المرتضى وداعي الدعاة وثلاثة من رجال السنة هم الباقلاني وكان أديباً أيضاً وابن سراقه وابن حزم الأندلسي . وأشهر الأديباء اثنان من رجال البيان : ابن سنان الخفاجي وعبد القاهر الجرجاني وكان من علماء الكلام في أهل السنة أيضاً . وصنورد كلمة في كل واحد منهم على الترتيب .

### ١ - قابوس بن وشمكير :

قيل بأن قابوس بن وشمكير ( ٤٠٣ ) عارض القرآن وقد ذكره عبد العليم المندي في جملة من اتهموا بالمعارضة ودافع عنهم بما سبق أن ذكرته قبل . ومن ذكر اتهام قابوس بالمعارضة ودافع عنه الرافعي حيث يقول : « وزعم هؤلاء الملحدة أيضاً أن حكم قابوس بن وشمكير وقصصه ( وهو شمس المالبي قابوس ابن وشمكير ، من ملوك الديلم على جرجان وطبرستان ، وكان أديباً مترصلاً ) هي من بعض معارضته القرآن وكأنهم يحسبون أن كل ما فيه أدب وحكمة وتاريخ وأخبار فتلك سبيله وما ندرى لمن كانوا يزعمون مثل هذا . ومثل هذا قولهم : إن القوائد السبع المسماة بالملقات هي عندهم معارضة للقرآن بفصاحتها » . وليس بين أيدينا ما يثبت هذه المعارضة .

### ٢ - ابن سينا :

وقد اتهم في هذا العصر ابن سينا ( ٤٢٨ ) بمعارضة القرآن ولم يصننا ما يستأنس به من نبي ما اتهم به وقد ذكر الرافعي هذا بدون أن يشير إلى مصدره فقال : « ومن أعجب ما رأيناه أن بعضهم اتهم ابن سينا بمعارضة القرآن لأنه زنديق وأن ابن سينا وضع رسالة في دفع هذا الافتراء . قلنا وأين ابن سينا من طور سيناء هذا رجل وهذا جبل (؟) ولكنها عصور الجدل والمكابرة » .

## ٣ - أبو الملاء المعري :

زعم بعضهم أن أبا الملاء المعري (٤٤٩) قد عارض القرآن بكتاب سماه «الفصول والغايات في مجازة السور والآيات» وأنه قيل له ما هذا إلا جيد غير أنه ليس عليه طلاوة القرآن فقال حتى تصقله الألسن في المحارب أربعمائة سنة وعند ذلك انظروا كيف يكون . . . . . وما جاء في كتابه قوله : «أقسم بخالق الليل والريح الهابة بليل بين الشرط ومطالع سهيل إن الكافر لطويل الويل وإن العمر لمكفوف الذيل تعدت مدارج السيل وطالع التوبة من قبيل تنج وما إخالك بناج» . فلفظة ناج هي الغاية وما قبلها فصل مسجوع فيبتدي بالفصل ثم ينتهي الى الغاية وهذا كما ترى عكس الفواصل في القرآن الكريم لأنها تأتي خواتم لآياته .

وينفي الرافي التهمة عن المعري لأنه أبصر بنفسه وبطبقة الكلام الذي يعارضه وأعرف بضعفه فهو يستعمل الكلمات الغريبة ويتمتع في الأسلوب ويراغم اللغة الخ فليس مما يعارض به القرآن ولأن المعري أثبت إعجاز القرآن فيما أنكره في رسالته على ابن الراوندي فقال :

«وأجمع ملحد ومهتدٍ وناكب عن الخجة ومقتدٍ أن هذا الكتاب الذي جاء به محمد (ﷺ) كتاب يهر بالإعجاز ولقي عدوه بالإرجاز ما حذي على مثال ولا أشبه غريب الأمثال ما هو من القصيد الموزون ولا في الرجز من سهل وحزون ولا شاكل خطابة العرب ولا صجع الكهنة ذوي الأرب وإن الآية منه أو بعض الآية لتمترض في أفصح كلم بقدر عليه الخلقون فتكون فيه كالشهاب المتلألئ في جنح غسق والزهرة البادية في جدوب ذات نسق» .

ويقول الرافي إنه لم يجبر أبا الملاء المعري أحد على أن يقول هذا القول في إعجاز القرآن فهو لا يقول إلا ما يرى في نفسه وهو وإن كانت له آراء فيما وراء الطيعة لا تستجيب للدين لكن إدراكه للبلاغة يجعله يقول الحق .

فالرافعي كما ترى يرفض فكرة معارضة المرعي للقرآن من أصلها لأنه ردّ على ابن الراوندي بما سبق ويكذب القائلين بها . وليس من مانع في الحقيقة لأن يكون المرعي فكر في معارضة القرآن وإمكانها في زمن ورأي عدم إمكانها في زمن آخر فالرأي يتغير بتغير الظروف والحالات العقلية والنفسية والمرعي في كثير من المسائل الدينية والفلسفية لا يثبت على رأي واحد لأنه يقف في أكثر الأوقات منها موقف الحائر المتردد وقد يجعل الشك سبيلاً إلى اليقين .

#### ٤ - الشريف المرتضى :

ألّف الشريف المرتضى (٤٣٦) كتاباً في الإعجاز ضاع ويقول عبد العليم المندي (في مقاله السابقة) فيه ما ترجمته : « وضياع كتاب الشريف المرتضى موجب للأسف لأنه اشتهر شهرة عظيمة وقال بنظريته قبله النظام فقط . ولو ظفّرنا به لرأينا أسلوبه في البرهان على مضمونها . وذكر بعض براهينه غيره من المؤلفين ومن حسن الحظ أن جزءاً من مؤلفه اخلاص نفسه في هذا الموضوع لا يزال موجوداً . وكان من عادته أن يجيب على أسئلة تتعلق بالدين والألوهية من يرأسه من الناس ولا تزال مجموعة من رسائله موجودة ( CMS. Berlin Ret. 40 ) وتناقش اثنتان من هذه الرسائل هذه المسألة وتقف بها على آرائه وبراهينه ( MS. Berlin Ret. 40. fol. 4 a - 56 and 926. 94 a ) ويقول في موضع آخر من مقاله : « أما القول بالصرقة فكان له من السيد الشريف المرتضى بطل آخر وربما كان آخر رجل يرى أن معجزة القرآن هي فقط بالصرقة ونحن لا ندرك ما يتصل بأقواله في الموضوع لأن كتبه ضاعت ولكنه يذكر في إحدى رسائله ( MS. Berlin Pet. 40. fo 46 ) أن الحجة الأولى هي أن الفرق بين الأقسام الصغيرة في القرآن وأحسن كتابات العرب ليس واضحاً لكل أحد بالرغم من أن الفرق بين كلام العرب الجيد وكلامهم

الزديء واضح وهكذا يكون الطريق الوحيد للبرهان على إعجاز القرآن هو أن العرب لم يأتوا بمثله أو بتعبير آخر هو أن الله صرفهم عن ذلك . ثم يعلق عبد العليم الهندي على القول بالصرفة فيقول : « وهذا الدليل أي الصرفة يوجد عند المتكلمين من اهل الشيعة أكثر منه عند المتكلمين من أهل السنة - انظر القطب الراوندي ( النصوص العربية ) مما ثبت ارتباط هؤلاء الشيعة النظريين بالمتزلة وبخاصة المتقدمين منهم » .

وقال الرافي من غير إشارة الى المصدر : « وقال المرتضى من الشيعة : ( بل معنى الصرفة أن الله سلبهم العلوم التي يحتاج اليها في المعارضة ليبيثوا يمثل القرآن ) فكأنه يقول إنهم بلغوا بقدرهم على مثل النظم والأصوب ولا يستطيعون ما وراء ذلك مما لبسته ألفاظ القرآن من المعاني إذ لم يكونوا اهل علم ولا كان العلم في زمنهم وهذا رأي بين الخلط كما ترى » ( ص ٤٤٤ ، إعجاز القرآن للرافي ) .

ونلاحظ أن بسط الرافي رأي المرتضى خطأ لأن معنى سلبهم العلوم أنها كانت موجودة فيهم فتكونت الصرفة بسلبهم العلوم والرافي فسره بأنهم لم يكونوا بطبيعتهم عارفين بهذه العلوم فإذن لم يسلبهم الله شيئاً فأين الصرفة إذن ويظهر أن سبب هذا الخطأ أن الرافي فهم من معنى العلوم غير ما يقصده منها المرتضى من أنها العلوم المساعدة على نظم الكلام .

ونلاحظ فرقاً دقيقاً بين رأي النظم في الصرفة ورأي المرتضى فالصرفة عند النظم عند معارضتهم للقرآن مع قدرتهم عليها والصرفة عند المرتضى عدم قدرتهم عليها لأنهم سلبوا مقوماتها وما يساعدهم من المعارف عليها بعد أن كانت متأصلة فيهم وقد لاحظ عبد العليم الهندي أن الشريف المرتضى ربما كان آخر من يقول في إعجاز القرآن بالصرفة وحدها دون سبب آخر وليس ذلك صحيحاً فمن الحق أن أكثر من قال بها بعده قد جمعها مع مسألة النظم كالأصنافي ولكن الحفاجي مثلاً يقول بها فقط .



## هـ - داعي الدعاة :

وفي هذا الزمن نرى معاصراً لأبي العلاء المعري هو داعي الدعاة [ابوالنصر  
 هبة الله الشيرازي الملقب بالموثيد في الدين] يردّ على دعاوى ابن الراوندي  
 في القرآن ويسعى لإبطلها وقد رأينا أن ابن الراوندي لا يرى عجز العرب عن  
 مجارة القرآن حين تحدّاهم النبيّ دليلاً على النبوة وأن الفصاحة إذا ألزمت  
 العرب بالإنعجاز فهي لا تلزم الأعاجم .

ذكر الأستاذ كراوس (في مجلة الأديب ص ٣٢ سنة ١٩٤٣ - ١٩٤٤م)  
 أن داعي الدعاة قال في رده : « إن الكلام ألفاظ مقدّرة على معانٍ ملائمة لها .  
 والكلام كالجسد والمعنى فيه روحه . ومعلوم أن الأجساد من حيث كونها أجساداً  
 لا تتفاوت تفاوتاً كثيراً . فإني وإن رجح بعضها على بعض من حيث استقامة النظم  
 وحسن الهندام فهو أمر قريب ، وليس كذلك التفاوت من جهة النفوس التي هي  
 المعاني . فإن نفساً واحدة تقع بوزان الخلق كأنهم من حيث انتقار النفوس إليها  
 والحاجة إلى الامتياز منها . والقرآن كلام هو بمثابة الجسد . ومعناه روحه  
 الذي كنى الله عنه بالحكمة فلم يذكره في موضع من الكتاب إلا قرنه بالحكمة .  
 وقد قاربت أيها الخصم بالإقرار بكونه معجزاً من حيث لفظه للعرب الذين هم  
 أهل اللسان ثم أردفته بقولك : « فما الحجّة على العجم الذين ليسوا من اللسان  
 في شيء » . فنقول إن في معناه المكنيّ عنه بالحكمة ما تقوم به الحجّة على كل  
 من تفتق بالكلام لسانه على جميع اللغات وسائر العبارات . والحجّة فيه أن  
 ما كان ظاهره الذي هو بمنزلة الجسد الذي لا يتفاوت بعضه عن بعض كثير  
 التفاوت بهذه المثابة من الإنعجاز فما يقال في معناه الذي هو بمنزلة نفس شريفة ؟  
 تفتقر النفوس إليها كلها فأين موقعها من الإنعجاز ؟  
 ونستنتج من هذا النص أن الإنعجاز عند داعي الدعاة قائم على المعنى أكثر

منه على الألفاظ والمعنى عنده هو روح الكتاب الكريم وهو الحكمة فإذا كان القرآن معجزاً للعرب بألفاظه فهو معجز للأعجم بعمانيه التي هي روح تلك الألفاظ وبهذا يردّ علي طمن ابن الراوندي في إعجاز القرآن .

### ٦ - الباقلاني :

ألف القاضي الباقلاني (٤٠٣) كتاباً مشهوراً في الإعجاز ردّاً على الحركة التي قامت في عهده تعاكس فكرة إعجاز القرآن وسدّاً لتواني علماء عصره في هذا البحث . وهو عالم من علماء التوحيد ومن أتباع الأشعري وتلاميذ العباس بن مجاهد الطائي الذي كان تلميذاً لذلك الإمام الكبير . ولم يصلنا من مؤلفاته إلا هذا الكتاب وهو خير الكتب التي ألفت في موضوع الإعجاز الى عصره . فقد تعرض فيه الكاتب للنظريات التي قيلت قبله في الإعجاز وتقدّمها . ثم صور حال أهل عصره من حيث عقيدتهم في الدين وفي إعجاز القرآن وبلاغته بصورة خاصة وحاذر من ضعف الدين وفكرة الإعجاز في النفوس . ولما كان للكتاب شأن كبير في تاريخ الفكرة فإنني أرى حاجة ماسة الى تلخيص الأفكار والآراء المهمة التي وردت فيه لاسيما وأن المؤلفين بعده قد احتذوا في الغالب مثاله في التأليف . ويتلخص ما أورده فيما يلي :

١ - أن القرآن في نفسه حجة للتبوة ومعجزة وأن الذهاب عنها كالذهاب عن الضروريات والشك في المشاهدات ويورد من القرآن ما يؤيده في هذا المعنى . وهي حجة عامة سبقه اليها غيره من المتكلمين .

٢ - يذكر ما حدها على تأليف كتابه من طمن الملاحدة في القرآن وتسويته بالشعر وتقدير العلماء في الدفاع عن الإعجاز بكتب كافية مما جعل الناس يظنون أنه لا مؤيد لهذه الفكرة .

- ٣ - يذكر أن الجاحظ سبق الى وضع كتاب في نظم القرآن ولكنه غير كاف لأنه لم يزد فيه على ما قال المتكلمون قبله ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى . ولكنه لا يذكر كتب الواضحي والرماني والخطابي الذين سبقوه .
- ٤ - كان الرأي السائد في عصره أن القرآن معجز لما صرى النبي من العرب دون سواهم وهو يقول بأنه معجز لكل عصر ويكفي أن تقارنه بغيره من الكلام في كل عصر لتبين فضله في ذلك ( ص ٣ - ٥ من كتابه الإعجاز ) .
- ٥ - يذكر أثر القرآن في نفوس سامعيه ويستشهد بآيات من القرآن في هذا المعنى ويذكر أنه لا تثبت على عدم إيجازه حجة وأن القرآن تحدى العرب بما هو من لسانهم العربي ولم يأت بأعجمي ( ص ٦ من الكتاب المذكور ) .
- ٦ - القرآن وحده معجز ببلاغته من بين الكتب المنزلة لأن نظمها ليس معجزاً وإعجازها من ناحية إخبارها عن الغيوب فقط وإعجاز القرآن بيانه ينوب مناب سماع الكلام من القديم سبحانه والنبي يعلم أن ما يوحى اليه كلام الله على طريق الاستدلال وكذلك نحن نعلم ما نقرؤه من هذا على وجه الاستدلال .
- ٧ - إذا ثبت أن القرآن معجز وأن الخلق لا يقدرّون عليه ثبت أن الذي أتى به غيرهم وأنه إنما يختص بالقدرة عليه من يختص بالقدرة عليهم وأنه صدق وتلتني هذه النقطة مع الأولى ( ص ٩ و ١٠ منه ) .
- ٨ - الدليل على أن العرب لم يأتوا بمثله النقل المتواتر الذي يقع به العلم الضروري ويردّ على من يقولون بأن العرب ربما لم يعلموا أن النبي تحداهم وأن النبي كتم آيات التهدي عنهم ويسمى ليثبت أن النبي قد بلّغهم إياها وأن في القرآن ما يدل على أنهم ردّوا على التهدي بتهمة أن القرآن مخلوق .
- ٩ - يورد آيات يحمل بها أقوال المشركين في القرآن وآيات تدل على أنهم كانوا يجادلون ( ص ١١ ) .

- ١٠ - يجتج بأنه لو كان في استطاعة العرب يومئذ الايمان بمثله لقدموه من أشعارهم وثرهم وقارنوه بالقرآن ولكنهم لم يفعلوا ذلك .
- ١١ - بدرك إعجاز القرآن من كان متاهياً في معرفة وجوه الخطاب وطرق البلاغة وبذكر (ص ١٤) قصة عتبة بن ربيعة حينما سمع النبي يقرأ سورة السجدة وقصة ابي سفيان حين جاء النبي مسلماً .
- ١٢ - يرد على القائلين بالصرفة ويقول لو كان الأمر كذلك لرأينا مثله في نظم أهل الجاهلية أو من بعدهم وإنما إعجازه لشيء فيه من حسن النظم والبلاغة ولو كان الإعجاز بالصرفة لم يكن القرآن معجزاً بل المنع هو الذي يكون معجزاً (ص ١٥) .
- ١٣ - يذكر جملة أقوال لمن شككوا في إعجاز القرآن اوردها صاحب الاتقان وبذكر قول القائلين بأنه لا فرق بين كلام البشر وكلام الله تعالى في هذا الباب وأنه يصح من كل منهما على حد واحد . (ص ١٧ إعجاز القرآن للباقلاني) .
- ١٤ - يذكر أن علة إعجاز القرآن الياني التفاوت العظيم في النظم (ص ١٧) الموجود في اللغة العربية دون غيرها لأنها محتمة لوجوه من التلون في التعبير وفي دلالة الكلمات والترادف لا توجد في غيرها .
- ١٥ - يذكر أن بضمهم قال بمارضة ابن المقفع للقرآن ويقول إن كتابه الدررة البهيمة لبس فيه فضل لابن المقفع والحكم فيه لأسلافه ثم يذكر أنه استحيا لنفسه ومزقها (ص ١٧) .
- ١٦ - يتعرض للإعجاز على طريقة علماء الكلام فيتساءل أكان ذلك لأنه حكاية عن الكلام القديم أو لأنه تعبير (عبارة) عنه أو لأنه قديم في نفسه ويقول في الرد على ذلك : لسنا نقول بأن الحروف قديمة ولا بأنه حكاية عن الكلام القديم . فيكون رأيه إذن أنه تعبير عن الكلام القديم .
- ١٧ - يقول ادعى جماعة أنه شعر ومن الملحدة من زعم أن فيه شعراً ومن أهل الملة من يقول إنه كلام مسجع إلا أنه أفصح مما اعتادوه من أسجاعهم .



ومنهم من يدعي أنه كلام موزون فلا يخرج ذلك عن أصناف ما يتعارفونه من اخطاب .  
 ١٨ - يذكر أن عن ذهب الى ان القرآن غير مميز النظام وعباد بن سليمان  
 وهشاماً الفرزي (ص ١٦) . ونحن نعلم أنهم يقولون بالصرفة لا بعدم إعجازه مطلقاً .  
 ١٩ - البديع ليس صيباً في الإعجاز لأنه كثير في شعر ابي تمام وفي  
 استطاعة البشر ان يحذقوه . (الصفحة والكتاب نفسها) .  
 ٢٠ - يدرك غير العربي إعجاز القرآن باطلاعه على عجز العرب عنه .  
 ونرى الباقلاني يدعو للنظر في نصوص القرآن وغيره من ضروب الكلام في اللغة  
 العربية لمعرفة الفرق بينها وهنا يقول إنه ليس في وسع من لا يعرف العربية  
 ولا من تعلمها ولكن لم يصل فيها الى درجة العلم العميق بالنواحي الدقيقة  
 أن يحكم في هذه المسألة ولكن يجب ان يعتمد على من يستطيع التفريق بين  
 الأسلوب العادي والأسلوب المعجز . ثم يقارن الباقلاني بين القرآن ورسائل  
 النبي لبيّن فرق ما بينهما في البلاغة وأن النبي عاجز عن مثل القرآن، وهذا يثبت  
 أنه من لدن الله ثم يقارن بين أقوال الصحابة وغيرهم من المتقدمين وبين القرآن  
 فيثبت عجزهم عن مثل أسلوبه ثم يبين سخف كلام مسيلة وسجاح ثم يتناول الأشعار  
 ليقارن بينها وبين القرآن وليقول أن الشعر دون النثر في جودة الأسلوب لأنه  
 مقيد بالوزن والقافية وان ليس هناك داع الى مقارنة الشعر بالقرآن لأن أسلوب  
 الشعر دون أسلوب النثر - ونحن نخالفه في هذا الرأي - ثم يذكر أنه إنما لجأ  
 الى مقارنة الشعر بالقرآن لأن قوماً من الجهال يقارنونها .  
 ثم يقارن معلقة امرئ القيس أحسن شعرائهم بالقرآن ويبين ما في الاثنين  
 من جمال وما في المعلقة من عيوب ويترك الحكم في هذا الأمر لكل من كان  
 عنده ذوق من الذوق الفني ثم يقارن شعراء عصره بالقرآن فقد يدعي أحدهم  
 أنه أشعر من امرئ القيس زوراً وبيتاناً . ونحن نخالفه أيضاً في تقديم شعر  
 الأوائل . وقد استغرقت هذه المقارنات نحو نصف الكتاب وينظر بعد ذلك  
 الى أشياء صغيرة تلخص فيما يلي .

١ - هل إعجاز القرآن واضح بنفسه ؟ ٢ - ما هو سبب إعجاز القرآن  
٣ - على أي مند يقوم ؟ ٤ - مسألة التحدي ٥ - المدلول الصحيح لكلمة  
معجز ٦ - لماذا لا يصح أن يقال إن القرآن من تأليف النبي .

ثم يذكر شيئاً آخرى تتعلق بالإعجاز وبأني بقسم منفصل عن البحث يأتي فيه  
بأنواع مختلفة من الكلام وأمثلة لها من القرآن ويقول في جملة ما يقول إن الكتابة  
في هذا الموضوع خطيرة وإنه ليس في مقدور بشر أن يحصر نواحي الجمال الموجود في القرآن .

٢١ - يتعرض لمقدار المعجز من القرآن (ص ١١٧ من كتابه) ويذكر قول  
أبي الحسن الأشعري وعامة أصحابه في أن أقل المعجز أصغر سورة وقول من شرط  
الآيات الكثيرة في القدر المعجز ونراه يوافق على رأي الأشعري في أن مقدار  
المعجز هو أصغر سورة ويقول إن تحدي القرآن بقوله «فليأتوا بحديث مثله» لا يخالف  
هذا لأن الحديث التام لا تحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة  
ولأنه يحتمل أن يكون المراد بحديث مثله القليل دون التفصيل .

٢٢ - تلخص وجوه إعجاز القرآن في رأي الباقلاني في ثلاثة براهين  
وهو مخالف رأي الصرفة . وهذه البراهين الثلاثة هي :

أ - احتواء القرآن على تنبؤات عن المستقبل وهذا خارج عن قدرة البشر .  
ب - كون النبي كان أمياً أصراً مسلماً به وهو لم يطلع على كتب الأقدمين  
وقصصهم وتراجهم ومع هذا فقد ذكر الحوادث الماضية منذ خلق آدم حتى زمنه  
فليس من منصرف عن القول بأنه تلقى كل هذا رأساً من الله عن طريق الوحي .  
ج - القرآن يتجاوز قدرة البشر في النظم والأسلوب والبلاغة .

وهذا ما ذكره من تقدموه ويرجع إليه فضل التفصيل فيه وهو قد اعتنى  
بالنوسع في البرهان الثالث فذكر الأمور الآتية :

١ - أسلوب القرآن على اختلاف أشكاله خارج عن الأساليب المعروفة وخاص به .  
٢ - لم يوجد عند العرب أثر أدبي يجاري القرآن في بلاغته بحيث يحفظ  
فيه جمال الأسلوب ويكون في طوله بقدر القرآن .

- ٣ - عرض القرآن لموضوعات شتى في الحكم والأوامر والنواهي والوعيد والوعيد والقصص وكل ما جاء به حتى لا يقارن به أحسن الأشعار والخطب .  
 وإنما يجيد الشعراء والخطباء في نوع منها وقد أجاد القرآن فيها كلها .
- ٤ - نرى أن أقسام الكلام تتفاوت في كتابة أحسن الأدباء حتى إذا كتبوا في موضوع واحد وبخاصة عندما ينتقلون من فكرة إلى أخرى ونرى القرآن على خلاف ذلك يجمع النواحي المختلفة فيبرزها بطريقة تظهر فيها أنها وحدة منسجمة .
- ٥ - أسلوب القرآن ليس أعلى فقط من أسلوب الإنس بل من أسلوب الجن أيضاً ويقول بهذا الصدد : ربما قال بعض الناس كيف نحكم بهذا فليس إلا مجرد ادعاء لأنه ليس بين أديبنا كلامهم فيقال نحن متأكدون على الأقل من أن أسلوب القرآن أرفع من أسلوب الكلام الذي ينسبه العرب إلى الجن .
- ٦ - أساليب الأداء المختلفة الموجودة في كلام العرب من بسط وإيجاز وجمع وتفريق واستعارة وتصريح موجودة في القرآن وهي في القرآن أعلى من تلك إذا قورنت بها .
- ٧ - تأليف كلام في رأي جديد أصعب من تأليف كلمات في رأي مألوف والقرآن يعبر عن أفكار جديدة بطريقة تفوق قدرة البشر .
- ٨ - تظهر جودة نظم القرآن وسمو بلاغته إذا أخذت كلمة منه واستعملتها في كلام آخر شعر أو نثر وتسترعى انتباه القاري والسامع وقد يدهج البغضاء الجملة من القرآن في كلامهم فتأتي فيه كالجواهر والحلي .
- ٩ - إن حروف الألف باء هي ٢٨ حرفاً والمقاطع التي ابتدئ بها بهذه الحروف في القرآن هي ٢٨ وعدد الحروف المستعملة في هذه البدايات ( ١٤ ) أي نصف عدد هذه المقاطع وقد صنف العلماء الحروف فيما بعد في زمن متأخر إلى حروف حلقيه وغير حلقيه ومهموسة ومجهورة ومطبقة ومنفتحة وشديدة وغير شديدة وعدد الحروف المستعمل في هذه البدايات من كل نوع من هذه الأنواع هو نصف عدد النوع فهذا التصنيف في كل هذه الأصناف دليل على معرفة أمور المستقبل معرفة لا يتأتى صدورها إلا من الله .

١٠ - لغة القرآن سهلة ومدلولاتها تفهم على أيسر وجه ولا تتخللها كلمات أو تراكيب عويصة ومع ذلك فليس في الإمكان مجازاة أسلوبه .  
 وخصّ الباقلائي بقية كتابه بالتوسع في هذه الأمور يوردها منظمة حسنة التسلسل والتنظيم قوية الارتباط والكتاب يمدّ بحثي الحلقة الوسطى في سلسلة الأبحاث التي تسمى لإثبات إعجاز القرآن . والتصانيف الأخرى التي تحمل أفكار سابقية تنتهي إليه ثم تتفرع منه في شمم مختلفة .

وتبين من تلخيصنا له قيمته وشمول بحثه والمأمه بما قيل حتى زمنه وتناوله لأكثر الآراء بالنقد ويظهر لك من مقارنة المؤلف بين ما ينسبه العرب الى الجن من أقوال وبين القرآن ثم من قوله بفكرة التصنيف في حروف أوائل السور أنه يتناول الأمور أحياناً تنازلاً سطحياً لا نوافقه عليه لأنه بعيد عن الروح العلمية التي لا تثبت لها مثل هذه الآراء ، وتدرك أن النظريات الإسلامية في الإعجاز قد أخذت في نهاية القرن الرابع وبداية الخامس نوعاً من الاستقرار سرى على الأعصر التالية فإن علم الكلام كان قد تكامل في هذا الوقت وجهود المتكلمين المتأخرين انتهت الى هذا البناء الذي تم وضعه .

ينتقد الرافي كتاب الباقلائي ( ص ١٥٥ إعجاز القرآن للرافي ) برغم اعترافه بعظم شأنه بما انتقد به الباقلائي الجاحظ فيقول : « على أن كتاب الباقلائي وإن كان فيه الجيد الكثير وكان الرجل قد هدّبه وصفاه وتضع له إلا أنه لم يملك فيه بادرة عابها هو من غيره ولم يتحاش وجهاً من التأليف لم يرضه من سواء وخرج كتابه كما قال هو في كتاب الجاحظ : « فلم يكشف عما يلبس في أكثر هذا المعنى ومرجع الإعجاز فيه الى الكلام والى شيء من المعارضة اليبانية بين جنس وجنس من القول . . . وقد حشر إليه أمثلة من كل قبيل . . . واستراح الى النقل » وهو يذكر أنه لم يقم بما أخذ على نفسه القيام به ولكنه لا ينكر قيمة الكتاب من حيث وفاقه بما قصد إليه من أمهات المسائل .

نسيم الحرهبى

www.alukah.net

( يتبع )



# تاريخ علم الفلك في العراق

وعلاقته بالأقطار الإسلامية والعربية

( في العهود التالية لأيام العباسيين )

من سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م الى سنة ١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م

- ١ -

كلمة

كنت جمعت مذكرات في علم الفلك وما يتعلق به من علوم رياضية وتنجيم ، فتكونت منها مجموعة في تاريخ هذا العلم الا اني لم أقطع بها ، فكانت جولتي الأخيرة في ربيع الشام سنة ١٩٥١ م مصروفة الى تحقيق هذا الفرض والتثبت من درجة اتصال هذا العلم بالفطر الشقيق . والا فلم تكن جولة صائح يدون كل مارأي ، أو ما كانت فيه غرابة . . . بل زرت دمشق المحبوبة بأمل اكمل البحث بقدر المستطاع لينكشف أكثر اتماماً ( للتاريخ العلمي ) الذي كنت أحاول تدوينه . وتختلف نظرتي عن يحاول معرفة المفردات من الكتب وترتيبها على حروف المعجم ، وعن يجمع كل نوع أو صنف من صنوفها دون تنظيم عصورها ، والتعرف لتاريخ تأليفها ووفيات مؤلفيها . . . ولا تعرف هذه العلاقة بما في خزائن الكتب وان كانت المتقى المهم . لذا كان للاتصال المباشر بالأقطار الأثر المحمود . ودمشق عاصمة ثقافية . وتتلوها حلب والقدس الشريف . . . وعلماؤنا متصلون بهذه الثقافة في رحلاتهم ، واجازاتهم العلمية ، وفي تلقيح المعرفة ، فيتيسر من هذه الجولة الاطلاع على نواحي الاتصال المهمة جداً . يضاف الى ما كان عندي ، أو ما هو مقتبس من خزائن العراق ومن فهارس الكتب أو من الجولات الاخرى .

- ٢٩ -

حاولت انتزاع ما أمكن مما يتعلق بالشام خاصة اجابة لرغبة الأستاذ رئيس  
المجمع العلمي العربي ، و عددت من الواجب تلبية رغبته في ( وصف المخطوطات )  
وهي كل التاريخ نظراً للاتصال الوثيق في الأقطار العربية والاسلامية . وفي  
هذه تحقيق الصلات الثقافية بين الشعوب العربية والاسلامية فعزمت أن أعين  
علم الفلك في العراق وعلاقاته المهمة بالشام وغيره مما تيسر لي بحته . لاسيما  
أن هذه الجولة مرتبطة بأصل البحث . وفيها علاقات جمة بل ان ذلك مما يؤكد  
الثقافة المشتركة .

وفي بحثي حاولت أن أتصل بالاتصال العلمي من وجوهه بقدر الامكان .  
ومن ذلك الاجازات . وكتب الفلك ظاهرة من ظواهر الثقافة . ومن الضروري  
التثبت منها . وكانت الخلفات الماضية خير غذاء . وعلى آثارها تجدد النشاط  
في الفلك . والمهم أن علماءنا قاموا بالمهمة ولم يظهر جديد . ولا ريب أن  
الاستيعاب صعب . ونواحي الايضاح مما يكشف نوعاً عن تاريخ المعرفة .  
والامل أن يتزايد الاشتغال .

يعجب المرء أن يرى تقدم هذا العلم في أوائل هذه العهود كما كان في أيام  
العباسيين ، ويشاهد تجواله في الأقطار الاسلامية ثم يرى ركوداً وتدهوراً ،  
فلم يأخذ بما وصل اليه من تقدم في الغرب ولولا أن ( المهندسخانة ) في استنبول ،  
وأخذ الترك العثمانيين بالجدد من هذه العلوم لمات هذا العلم عندنا ولم يبق له  
أثر إلا أنه في تجرده لم ينل تلك العناية المشهودة اليوم في الاستفادة منه للملاحة  
البحرية والطيران وتكون أنواع الرصد لتحقيق سير الكواكب وضبط حركاتها .  
وفي تاريخ هذا العلم أبتعرض المادة العلمية وما فيها من مؤلفات ، والكتب  
التعليمية وما خدمت به لتسهيل الأخذ بهذه الثقافة ، والسبب الوحيد للقضاء  
على هذه الثقافة الفتن والاضطرابات المتوالية المستمرة ، فانها أهدت عن الالتفات

الى تقوية الثقافة • و زال المنشط من الدول ••• فلم تيسر العودة الى الهدوء والطائفة • ولم تنشأ الأرصاد ( المرصد ) ، فينذل لها البذل اللائق • واقتصر المرء على المعرفة ( التعليمية ) دون جدوى • ولم يهتم بتكامل العلم •

حصل في هذه الأيام بعض الانتباه • فظهرت مؤلفات مهمة مثل ( علم الفلك وتاريخه عند العرب ) ولكنه لم يف بما رسم • فلم يصل الى نهاية القرن التاسع الهجري • و ( التراث العلمي عند العرب ) لا يخلو من غمز وان كان من أجل الآثار • و ( قاموس الرياضيات ) لم يكمل • ونقصه ظاهر وان كان أبدى مؤلفه معرفة وافرة ••• و ( آداب اللغة العربية ) لم يتصل بثقافات العصور الموضوعية البحث ••• وخزائن الكتب لم تنظم فهارسها • أو لم يقم بها علماء استكملوا العدة ••• فكل هذه لم تخل من نقص الا أنها بذرت المعرفة • ولها فضل كبير في اعداد الفرض •

كشفت هذه التجربة عن ثقافة عظيمة • فكان اشتغال عمائنا كبيراً • وقد عدت من الشام بصفقة رابحة فيما راجعت • وفيما اقتنيت بما عين الحالة العلمية وما كانت عليه البلاد العربية والاسلامية •

والمهم ألا يهدأ البحث ويستمر في التمليق والاستدراك على ما فات وبذلك تتكامل الثقافة التاريخية • ولا ريب أن مؤلفات علم الفلك نماذج ناطقة بما عرضت • وكما زادت أعلنت عن زيادة في الثقافة • والكتب ضواهر • والعلوم لم تتصل بنا من كل وجه • وانما حصل انقطاع أنسانا التعرف الى كثير منها • ورأيت مؤلفات مختلف الأقطار فكان لمخطوطات الشام علاقة بجميع الأقطار الاسلامية والعربية • ومثلها مخطوطات بغداد • والمخطوطات الأخرى لمختلف خزائن الكتب • والأمل أن يتناول هذا البحث أساندة أفاضل ليوفوه حقه من التوسع والايضاح والتمليق والاستدراك لما فات •

## ٢ - تاريخ علم الفلك في العراق في عهد المغول والتركان

من سنة ٥٦٥٦م - ١٢٥٨م الى سنة ٥٩٤١م - ١٥٣٢م

يصعب كثيراً أن نحيط بالمعرفة الفلكية في هذا العهد . فهي واسعة المدى متأثرة بالثقافة الباصية . وبيّنا الانتاج العلمي والأثر والتأثير أو العلاقة بالأقطار . فقد كان هذا العلم شائعاً في المملكة الاسلامية شيوفاً عظيماً . وقد روعي في (بناء بغداد) الطالع . والخلفاء العباسيون تأثروا بالفلك كثيراً . وكان معروفاً في العراق قبل الاسلام . وعناية الخلفاء العباسيين به كبيرة . والمسيديون اتخذوه عقيدة ومثلهم الاسماعيلية في ايران . وهو من فروع الفلسفة ومن أصول الابطان . ولما هاجم المغول العراق ، وعزموها على فتح بغداد استطلعوا أمر الطالع وما ألم ، فتضاربت الفتاوى العلمية في السعد والنحس وما يمليه علم الاختيارات . وكان في صحبة هولاء في هذا الفتح (حسام الدين المنجم) . أوصاه القاآن الأعظم ألا يخرج عن رأيه في الفلك ، فجمع هولاء بينه وبين الحاجة الطوسي لما رأى من اختلاف بينهما ، فكان البخشية في جانب الطوسي ، فرجع هولاء قولهم ومضى في طريق الفتح ، فتم له في ٥ صفر سنة ٥٦٥٦م - ١٢٥٨م . استعان المغول بملائنا في التنجيم أو علم الاختيارات المسمى بـ (علم الأحكام) وكان استولى هولاء على بلاد الاسماعيلية في قهستان وألموت من ايران سنة ٥٦٥٤م - ١٢٥٢م وغنم منها آلات في الاطرلاب والحلق وذات الكرسي . . . . . وعند فتح بغداد جيء بشهاب الدين سليمان شاه بن برجم من رجال الدولة الباصية . قال له هولاء كو : لك علم بالتنجيم وصير الكواكب والسعد والنحس ، فكيف غاب عنك هذا اليوم الأسود ؟ فأمر بقتله . وهذا يدل على الاتصال بهذا العلم ، ولم ينقطع من الدولة الباصية .

وفي جمادى الأولى سنة ٥٦٥٢م - ١٢٥٩م أمر هولاء كو (ببناء رصد)



في مراغة تولاه اخواجة الطوسي ، وجلب له العلماء من مختلف الأقطار الاسلامية

للاستعانة بهم . ومن العلماء الذين قاموا بهذه المهمة :

- ١ - اخواجة الطوسي نفسه .
- ٢ - الكاتب التزويني . من ايران .
- ٣ - ركن الدين الاسترابادي . من الموصل .
- ٤ - الفخر اخلاطي . من تبليس ( بدليس ) .
- ٥ - المؤيد المرضي . من دمشق .
- ٦ - الفخر المراغي . من الموصل .
- ٧ - محيي الدين المغربي .
- ٨ - قطب الدين الشيرازي .
- ٩ - شمس الدين الشرواني .
- ١٠ - الشيخ كمال الدين الايجي .
- ١١ - حسام الدين الشامي .
- ١٢ - نجم الدين الاسطرلابي .
- ١٣ - صدر الدين علي ابن اخواجة الطوسي .
- ١٤ - نجم الدين الكاتب البغدادي .
- ١٥ - قومنجي ( نوه جي ) الصيني الملقب ( مينك مينك ) أي المعارف .
- ١٦ - ابن الفوطي .
- ١٧ - أصيل الدين حسن ابن اخواجة الطوسي .

وعلماء كثيرون من تلامذة هؤلاء عملوا في الرصد . ولا شك أن هؤلاء  
جمهرة من العلماء قل أن تملك أمة هذا المدد . ولبسوا كل ما نملك . ولكل  
نصيب في هذا العمل . وللاحتكاك العلمي بهذه المجموعة قيمته العظيمة ، فظهرت  
مواهب هؤلاء ومن تبهم فكانت ثروة لا تقدر . جمع اخواجة الطوسي بين معارف

أهل الأقطار ، فحصل التلقيح العلمي بنتيجة هذا الاحتكاك . ومع هذا نرى  
 التي محمد بن زين الدين معروف الراصد المتوفى سنة ٩٩٣ هـ بقول في كتابه  
 ( سدره المنتهى ) : ان الخواجة الطوسي لم يكن رصده بمرآة جيداً لاشتغاله  
 بالوزارة وتسليمه الرصد الى من لا يساويه أو يقاربه في الفضيلة . وأعتقد أن  
 هذا مبالغ فيه بل ليس بصواب لأن لازمن دخلاً في ظهور النقص في الزيج  
 الايلخاني . لاشغره في حينه وانما يظهر بعد مدة طويلة كما ظهر أيام أولوغ بك .  
 وهذا ظهر الخلل فيه أيضاً بعد مدة . وهكذا كان شأن الأزياج الأخرى .  
 فهي في تعديل وتصحيح على الدوام حتى ظهرت الأزياج الجديدة بسبب اتقان  
 آلتها مثل زيج كسيني ثم زيج لالاند . . . .

لم نستفد من العالم الصيني الذي اشترك في الرصد ولا من البنخشيبة أي السحرة  
 والروحانيين من المغول . وانما تكامل بعلمائنا وبما خلفناه من كتب . وكان  
 ابن الفوطي من كتاب الزيج ولا يزال الزيج بخطه في خزانة باريس الوطنية .  
 ولعله أصل الزيج الايلخاني . وكان خازن كتب مراغة . قبرى العلاقة بالعراق  
 واضحة . وان المدارس العلمية ترعى الثقافة . والشام لا تقل عن بغداد .  
 والمؤيد المرضي كان من أكابر علماء الفلك . ولا يزال أثره في الرصد وآلاته  
 وأسباب عمله مشهوداً . ومنه نسخة في خزانة مدرسة السهسالار . ورد ذكرها  
 في ( فهرس دانشكده معقول ومنقول ) وكتب الجزيرة والشام جلبت الى مراغة  
 وأضيفت الى خزانة كتبها . ويقدر المجموع بأربعمائة ألف كتاب . وللأقطار  
 العربية والاسلامية نصيب في الاشتغال في الرصد المذكور .

ونشأ علم الفلك في العراق أوائل الدولة العباسية ، وبنيت أرصاد . وعني بها  
 عناية كبيرة . ومن بغداد انتشر في الأقطار ، فتكونت معاهد علمية ضارعت  
 ما في الدولة العباسية . وزاد نشاطها في ايران وفي مصر والشام في عهد المبيديين .

وفي أيام المغول ازدهر علم الفلك بعد أن أصابته جفوة ، وبني الرصد .  
 وخصص له من ربيع الوقوف ( العشر ) . وظهر في العراق جماعة من علماء الفلك  
 كانوا أقرب الى الاتصال بما جرى في ايران بل ان العراق وايران والمملكة  
 التركية في ما وراء النهر وفي الأناضول متصلات بعضها ببعض ، وحكومتها  
 واحدة . والمطالب العلمية مشتركة لاسيما بغداد وكانت عاصمة الدولة المغولية  
 في الشتاء كما كانت تبريز عاصمة المغول صيفاً . ويعول غذاء العراق على مخلفات  
 أصلافه ، ولم يقفل عن التطور الجديد بفضل المدارس وما فيها من أساتذة .  
 ١ - مشاهير علماء الفلك في العراق أيام المغول والتركان :

١ - الخواجه نصير الدين الطوسي :

هو الخواجه نصير الدين محمد بن محمد الطوسي . كان رأساً في علم الفلك  
 والرياضيات والتنجيم في بلاد الاسماعيلية الزارية ، وفي ايران والعراق . ولد  
 سنة ٥٩٧ هـ - ١٢٠١ م . وقد جمع العلماء من مختلف الأقطار للعمل في الرصد .  
 وقام بنشاط علمي ، فتكاملت الثقافة وأثرت في الأقطار الاسلامية بعد أن  
 كانت في خمود وخمول ، فبعثت مجدداً لها . وهو صدر الوقوف ببغداد ولم ينقطع  
 عن الاتصال بها .

ومن مؤلفاته في الفلك :

١ - مجموعة رسائله . وعدتها ١٦ رسالة . في مجلدين طبعت في مطبعة  
 المعارف العثمانية في عاصمة حيدر آباد الدكن سنة ١٢٥٩ هـ ومنها ما كان كتبه  
 الخواجه ومنها ما كتبه رأساً . ومن هذه الرسائل جملة في خزانة المجلس المالي  
 الايراني . وبينها ما لم يحرر . وعندني بعض المخطوط منها .

٢ - تحرير المجسطي في الهيئة . قدمه الخواجه الى حسام الدين بن حسن السيوامي  
 في بلاد الأناضول عندي نسخة منه . ومنه نسخ في خزانة أياصونيا . والأصل  
 بطلميوست . نقله كثيرون الى اللغة العربية . ومن شروحه :

- (١) شرح شمس الدين السمرقندي . منه نسخة في خزانة المجلس .
- (٢) شرح لبعض المتأخرين لم يتعين مؤلفه . أوله : الحمد لله الأول بلا ابتداء . . . .
- (٣) تلخه ابن أبي الشكر المغربي . ألفه لأبي الفرج ابن العبري صاحب تاريخ مختصر الدول .
- (٤) تفسير التحرير . للنظام الأعرج النيسابوري فرغ من تأليفه سنة ٧٠٤ .
- ٣- تحرير أوقليدس . في الهندسة والحساب . منه نسخة في أياصوفيا وأخرى في خزانة المجلس . وعندني نسخ عديدة منه . نقله الى العربية كثيرون فجاه هذا التحرير مهماً .
- ٤- التذكرة في الهيئة . جامعة لمسائل الفن . ولم يقل الاشتغال بها إلا بعد ظهور (الملخص) للجفميني . ومن شروح التذكرة :
- (١) شرح الشربيني . من العلماء المعاصرين للخواجة .
- (٢) شرح قطب الدين الشيرازي .
- (٣) شرح النظام الأعرج . ويسمى (توضيح التذكرة) . ومنه نسخ في الأزهر وفي المجلس الإيراني . وعندني نسخة أيضاً كتبت سنة ١١٣٨ هـ .
- (٤) شرح الشريف الجرجاني . ومنه نسخ في خزانة الآثار ببيداده وفي برلين وأياصوفيا .
- (٥) شرح البرجندي . منه نسخة في المجلس الإيراني .
- (٦) شرح الخفري . اعتمد شرح الشربيني ونقل منه ومن غيره . وسماه (التكلمة في شرح التذكرة) . منه نسخة في خزانة الآثار ببيداده .
- ٥- الزيج الأيلخاني . اشترك فيه جماعة . كتبه بالفارسية . ونوه بامم جنكزخان وأولاده وصرح باسم السلطان هولاءكو . قال الخواجة : انه من طوس . وصار الى همدان . فأخرجه هولاءكو من هناك ، واختاره لعمل الرصد ، فطلب المعارفين به . وكانت الأزياج قبله كثيرة . والمعروف أو الموجود منها :
- (١) زيج البتاني . ويقال له (زيج الصابي) أو (الزيج الجامع) . طبع



في روما سنة ١٨٩٩ م . وجاء كوشيار فأوضح ما فيه وسماه ( اللامع في أمثلة الزيج الجامع ) .

(٢) الزيج الشامل . للبوزجاني .

(٣) الزيج الحاكي . لابن يونس . منه نسخة في الخزانة الأهلية بباريس .

(٤) زيج حبش . منه نسخة في خزانة برلين . وله ثلاثة أزياج . المحتن

ومنه نسخة في ( بكي جامع ) وفي كبرج ٦ والمأموني على مذهب ( سندهند ) ،

وزيج الشاه . وهو الزيج الصغير .

(٥) زيج الخوارزمي .

(٦) الزيج السنجري . منه نسخة في الفاتيكان . وهو لعبد الرحمن الخازني .

(٧) زيج عمر الخيام . ويقال له ( الزيج الملاكشاهي ) .

(٨) زيج المجريطي .

(٩) زيج أبي القاسم بن محفوظ النجم البغدادي . منه نسخة في خزانة باريس

الأهلية . وقد وهم صاحب ( گاه شماری ) في أنه كان تأليفه سنة ٦٨٣ هـ -

٦٨٤ هـ . فان هذا التاريخ يشير الى زمن نسخه .

وهناك أزياج أخرى ذكرها صاحب ( علم الفلك وتاريخه عند العرب ) ،

وصاحب ( التراث العلمي ) ، وصاحب ( گاه شماری ) وصاحب ( كشف الظنون ) .

كان من آخرها ( الزيج الشاهي ) والظاهر أنه كتبه لإمام الاسماعيلية في الموت

ركن الدين ( خورشاه ) . اختصره نجم الدين ابن اللبودي . وسماه ( الزيج

الزاهي ) . وله أيضاً ( الزيج المقرب المبني على الرصد المحرب ) .

هذا والزيج الايلخاني منه نسخ عديدة . منها نسخة رأيتها عند الأستاذ

أحمد عبيد صاحب المكتبة المعروفة بدمشق . ومنه نسخة في الظاهرية ، وفي

كبرج ٦ وفي الخزانة الوطنية بباريس وهي بخط أصيل الدين حسن ابن الخواجة

الطوسي . وعلى هذا الزيج نظرات علمية عديدة لما أحرز من مكانة .

(١) شرحه حسين بن محمد النيسابوري القمي المعروف بـ (نظام) وسماه (كشف الحقائق) .

(٢) شرحه حسن بن حسين شاه السعدي سنة ٧٩٦ هـ ومنه نسخة في خزانة لندن .

(٣) لخصه علي شاه بن محمد بن القاسم المعروف بـ (علاء النجوم) الخوارزمي . وسماه (عمدة الايلخانية) .

(٤) زيج الوايكني . كتب زيجه على أساس الزيج الايلخاني . وسماه (الزيج المحقق السلطاني على أصول الرصد الايلخاني) منه نسخة في اياصوفيا . وينسب الى القطب الشيرازي .

ومن الأزياج :

١- الزيج الاشرفي . فارسي منه نسخة في الخزانة الوطنية بباريس . ألفه

سنة ٥٧٠٢ هـ .

٢- الزيج الخاقاني في تكميل الزيج الايلخاني . فارسي . لفيث الدين جمشيد الكاشي . عندي نسختان منه احدهما تنقص الورقة الأولى . والأخرى كاملة . وهذه الأزياج والشروح جاءت مكملة وموضحة أو مختصرة للزيج الايلخاني ولم ينسخ الزيج الايلخاني الا بالزيج الأولوغ بيكي علي ما يأتي في عمله .

٦- الزبدة في الهيئة . من مؤلفات الخواجه . فارسية . طبعت . ومنها نسخة خطية في المجلس الايراني .

٧- يست باب . فارسي في الاضطراب . عندي مخطوطة منه . ومنه في اياصوفيا وخزان كتب عديدة . ومن شروحه :

(١) شرح البرجندي . ومنه نسخة في خزانة المجلس .

(٢) لخصه البهاء العاملي ولم يشر الى ذلك . ونقل الداغستاني الى العربية

رسالة البهاء ولم يصرح باسمه .

وفي المجمع العلمي في بطرسبورج آلة اضطراب تعزى الى الخواجه الطوسي

وأنه كان يعمل بها . واذا صح فهي من غنائم الموت من الاسماعيلية هناك كانت  
 بما غنمه منهم عطا ملك الجويني حين فتح هولاء كو بلادهم سنة ٦٥٤ هـ .  
 ٨- الرسالة الميمنية في الهيئة . وتسمى بـ ( المفيد ) . ونسخه في المجلس  
 الايراني وغيره . وطبعت في ايران .

٩- رسالة حلّ ما لا ينتحل . في توضيح الرسالة الميمنية . طبعت أيضاً .  
 ١٠- كتاب الثمرة . ترجمه الى الفارسية باشارة من صاحب بهاء الدين  
 محمد الجويني . وان احمد بن يوسف الطولوني المهندس شرحه بالغة العربية .  
 ١١- مي فصل . فارسي في الهيئة والتقويم . وشرحه :  
 (١) بدر الدين الطبري سنة ٨٢٤ هـ .

(٢) ميرزا محمدرضا المستوفي المعاصر للشاه عباس الأول . الفه سنة ١٠٦٩ هـ  
 منه نسخة في خزانة المجلس .

(٣) كتاب ربيع النجمين . فارسي منه نسخة في المجلس الايراني .  
 ١٢- المختصر في علم التنجيم ومعرفة التقويم . منه نسخة خطية بالغة العربية  
 لم يعرف شارحها في خزانة برلين .  
 ١٣- رسالة مختصرة في الاسطرلاب . فارسية تحتوي على ١٥ فصلاً .  
 عندي مخطوطة منها ضمن مجموعة .

هذه أشهر مؤلفات الخواجه الطوسي . وبعد من أكابر المشتغلين بالفلك  
 والرياضيات من فروع الفلسفة الأفلاطونية . قطع الاسماعيلية بصحة هذه العلوم  
 واعتبروها عقيدة فلم ينفك منها الطوسي . والفرض المعرفة العلمية . وهي حاصلة .  
 وكان هولاء كو يعتقد بصحة التنجيم مثلهم . ولذا قر به هولاء كوخان . وتظهر  
 قيمة مؤلفاته من عناية كثير من العلماء بها . واذا كانت فقدت هذه العلوم  
 مكاتبتها العلمية بعض الشيء فانها لم تفقد مكاتبتها التاريخية . ولا صلتها بالعقائد  
 الغالية . وعلاقة الخواجه الطوسي بالعراق تبدأ من أيام اكنساح هولاء كو

العراق ودامت متصلة ، فنال منصب صدر الوقوف بعد الأستاذ صفى الدين الأرموي . ورد العراق مراراً وأخذ كتبها خزانه رصد مراغة .

٣ - رضي الدين بن طاووس :

لم تكن الرغبة في التنجيم بسبب المغول . وكذلك الأمر في علم الفلك . وإنما تمكنت من أوائل الدولة العباسية أيام اخليفة ابي جعفر المنصور . ولم تكن عقيدة بل ساق الى قبولها الدافع العلمي ، وضارت تعتبر عقيدة عند الباطنية أمثال الاسماعيلية في الموت وفي رجالهم الآخريين . وهكذا كان شأنها في أيام المغول ، فلم يخرجوا عن أحكام النجوم وما يوحيه التنجيم .

ومما كان الاتجاه عيباً أو مذهيباً فلم ينقطع هذا الاتجاه بالتنجيم حتى أواخر الدولة العباسية وجاء المغول فزادوا العناية به . والعراق لم يخل من أمثال هؤلاء من اشتركوا في بناء الرصد . ومن ذكرت له المعرفة بالتنجيم الموفق ابن الفوطي . ومال الى ذلك كثير من العلماء . ولعله مقرون بالفلك ملازم له . ومن هؤلاء ( رضي الدين علي بن طاووس ) .

كان من العلماء المعروفين . وله اشتغال بالتنجيم وتاريخه . ذكرته في تاريخ العراق بين احتلالين . ومن مؤلفاته :

١ - فرج المهموم في أحكام النجوم . فيه فوائد تاريخية . وطبع في النجف إلا ان طبعته مغلوبة .

٢ - الملاحم والفتن .

وفي الدررمة جاء ذكر مؤلفاته في مختلف مجلداتها . توفي سنة ٦٦٤ هـ عن نحو ٧٣ عاماً (١) .

٣ - أبو الحسن البشكري :

هو علاء الدين ابو الحسن علي بن محمود بن حسن بن نيهان بن سند البشكري

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٢٦١ .



- الربيعي البغدادي الأصل البصري المولد • كان منجماً وشاعراً • ولد سنة ٥٧٥ هـ •
- وكانت له اليد الطولى في الفلك وحلّ التقاويم مع النظم وحسن الخط •
- توفي سنة ٦٨٠ هـ بدمشق (١) •

٤- ابراهيم بن ممدود الجلاد الموصلّي :

- أستاذ في الفلك • عثرنا على تقريره له لكتاب ( منهج الطلاب في العمل بالاسطرلاب ) • وهذا الكتاب للملك الأشرف عمر بن الملك المظفر بوصف من سلاطين الدولة الرسولية • قرظه المترجم سنة ٦٩٢ هـ وقبلها ، فقال :
- « شهدت له بالجودة في الصناعة ووضعت له خطي هذا شاهداً على صحة ذلك •
- وأجزت له أن يعمل ما شاء من الاسطرلابات • فهو عندي صحيح العمل لما وثقت من جودة معرفته وذكائه وفطنته واختباري له من ذلك •» (٢) •
- ومنه نسخة في خزنة المجلس الإيراني ، وأخرى في خزنة الأستاذ أحمد تيمور باشا رحمه الله • ومن قرظه حسن بن علي الفهري المظفري نسبة إلى الملك المظفر
- والد المؤلف (٣) •

٥- نور الدين الساعاتي :

- هو علي بن تغلب الساعاتي • والد صاحب مجمع البحرين في الفقه الحنفي ( أحمد ابن الساعاتي ) • كان يتولى تدبير الساعات في المستنصرية • ولد سنة ٦٠١ هـ •
- وعمل الساعات المشهورة على باب المستنصرية ببغداد • وكان مشتهراً في الهيئة والنجوم وعمل الساعات •

• وجاء وصف هذه الساعات في الكتاب المنسوب إلى ابن الفوطي بما نصه :

« وصور فيها - في المستنصرية - صورة الفلك ، وجعل فيها طاقات لطافاً ،

(١) فوات الوفيات ج ٢ ص ١٠٧ والسلك لفتريزي ج ١ ص ٧٠٥ وتاريخ المراق ج ١ ص ٣٠٣ •

(١) خزنة المجلس الإيراني ج ٢ ص ٨١ •

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ٢٧ ص ٥٢ وهناك تفصيل •

لها أبواب لطيفة . وفي الدائرة بازان من ذهب في طاستين من ذهب ، ووراءهما بندقتان ، وكل ماسقطت بندقة افتتح باب من أبواب تلك الطاقات . والباب من ذهب ، فيصير حينئذ مفضضاً . واذ وقعت البندقتان في الطاستين تذهبان الى مواضعهما ، ثم تطلع أمار من ذهب في سماء ازوردية في ذلك الفلك مع طلوع الشمس الحقيقية وتدور مع دورانها ، وتغيب مع غيوبتها . فاذا جاء الليل فهناك أمار طالعة من ضوء خلفها . كلما تكملت ساعة تكامل ذلك الضوء في دائرة القمر . ثم يتدلى في الدائرة الأخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس ، فيعلم بذلك أوقات الصلاة . ونظم الشعراء بذلك أشعاراً « ٠٠٠ » هـ<sup>(١)</sup> .

٦ - ظهير الدين الكازروني :

عالم بغدادي مؤرخ كاتب له عناية كبيرة بالعلوم الرياضية لاسيما الحساب . وهو الشيخ ظهير الدين علي بن محمد الكازروني . كان حسبياً . وعرفت له مزايَا علمية وأدبية وتاريخية ومن مؤلفاته في الرياضيات :

١ - كنز الحساب . في مجلد واحد . جاء ذكره في كشف الظنون بامم ( وكر الحساب في الحساب ) . والأصل هو المعروف . وأعتقد أن الثاني تصحيفه . توفي سنة ٦٩٧ هـ - ١٢٦٧ م<sup>(٢)</sup> .

٧ - أصيل الدين ابن الخواجة الطوسي :

من الأفاضل . كان له اطلاع كبير في ( الاختيارات ) أو ( الأحكام ) . فهو من أهل التنجيم البارزين . تلقى من والده ، وسكن العراق أمداً طويلاً . وتوفي سنة ٧١٥ هـ<sup>(٣)</sup> .

(١) التاريخ المنصور للفوطي ص ٨٣ وفي رحمة ابن جبير وصف مثل هذه الساعة .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٢٨٠ وطبقات السبكي ج ٦ ص ٢٤٢

والدرر الكامنة ج ٣ ص ١١٩ .

(٣) عند الجمان والشذرات ج ٦ ص ٣٥ وتاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٤٢٧ .

## ٨ - ركن الدين الاسترآبادي :

تلميذ الطوسي • أبو الفضائل • كان يعيد دروس النصير في الحكمة •  
 واشترك في الرصد • وبعد من أكابر رجال الفلك المعدودين • وفي الثدرات  
 ان الطوسي جعله رئيس أصحابه بمراغة • ويعيد دروس الحكمة • ثم انتقل الى  
 الموصل • ودرس بالنورية • وذكر وفاته في سنة ٧١٥ هـ وفي حوادث سنة ٧١٨ هـ •  
 وفي ( الفلاكه والمفلوكون ) يتن هذا التاريخ <sup>(١)</sup> •

## ٩ - الخطائي البغدادي :

العلامة الحكيم علاء الدين علي بن تبان بن مختار البغدادي • ويعرف بالخطائي •  
 كان فاضلاً في العلوم الرياضية والطب • مسكن حماة وقرأ عليه ملكها المؤيد  
 اسماعيل بن علي كتاب ( التذكرة ) في الهيئة للخواجه الطوسي <sup>(٢)</sup> • وله :  
 ١ - تقويم الكواكب السيارة • ورد في خزانه جامع الأزهر ( الخطائي ) •  
 وصوابه الخطائي • أوله : الحمد لله تعالى • اعلم ان طريق التقويم من هذه  
 الجداول ... والمعتمد ان مما يتمه ( جداول اتصالات الكواكب السيارة ) •  
 ومنه نسخة في الجامع الأزهر أيضاً •  
 ١٠ - ابن الخوام البغدادي :

طبيب ورياضي فلكي • وهو من أكابر العلماء في الرياضيات • ولم يذكر  
 في التراث العلمي • وإنما نعته بالبغدادي ولم يكن من عصر الخواجه الطوسي •  
 ومن مؤلفاته :

## ١ - كتاب الفوائد البهائية في القواعد الحسابية • وشرحه :

( ١ ) كمال الدين حسين الفارسي وسماه ( أساس القواعد في أصول الفوائد ) •

(١) الثدرات ج ٦ وتاريخ المراق بين احتلاين ج ١ ص ٤٣٦ والفلاكه والمفلوكون  
 ص ١١١ وتاريخ المبر للذهبي •  
 (١) تاريخ المراق بين احتلاين ج ١ ص ٤٥٩ عن عقد الجمال ج ٢٢ •

- ٢ ( عبد العلي البرجندي • فرغ منه سنة ٥٨٩١ •  
 ٣ ( يحيى بن احمد الكاشي وصماه ( ايضاح المقاصد في الفرائد الفوائد )<sup>(١)</sup> •  
 ١١ - ابن الفوطي :  
 من اكابر المؤرخين • اشتغل مع الطوسي ٦ وتولى ادارة خزانة مراغة •  
 وخطه كتب زيجاً عربياً • ونسخته في الخزانة الوطنية بباريس الا أنه لم يعرف  
 واضعه أو مؤلفه • ولم تقف على اشتغاله في الفلك • وجاء في الشذرات أنه  
 أسر في واقعة بغداد • وخلصه اخو اجداد الطوسي وأخذ عنه علوم الأوتل • برع  
 في الفلسفة وغيرها وأمدّه بكتابة الزيج وغيره من علوم النجوم<sup>(٢)</sup> •  
 وهكذا ينقطع الاتصال بالفلك أيام المفلح حتى انقرضهم • ومن ظواهر هذا العهد:  
 ١ - رغبت الدولة في الميل الى التنجيم مع أنه مما ينكره غالب العلماء ٦  
 فتوسع الاتصال به •  
 ٢ - بني الرصد في مراغة ٦ فصار يندل في سبيل اكماله بالفتح طائلة وخصص  
 له من غلة الأوقاف العشر •  
 ٣ - وضع الزيج الابلخاني • وكان من نتائج عمل الرصد • ونال عناية  
 من بعض العلماء •  
 ٤ - ظهرت مؤلفات عديدة في الفلك وتجت مواهب لا تحصى من جراء  
 الجهود المتعاضدة الجمجمة •  
 ٥ - وضع ( التاريخ الابلخاني ) أيام السلطاني محمود غازان • وهذا التاريخ  
 ابتداء السنة الأولى من ١٣ رجب سنة ٥٧٠١ - ١٣٠٠ م ٦ وصار يعتبر السنة  
 الأولى • وجرى العمل به في الأمور المالية • وكانت حاولت الدولة الباصية  
 جعل ماسته بـ ( السنة الخراجية ) متصلة بالمجرية بطريق الازدلاق أو الازدلاف  
 في كل ٣٣ سنة واخرى مثلها • ثم في ٣٤ سنة أي كل مائة سنة ثلاث سنوات •

(١) ترات العرب العلمي وكشف الظنون .

(٢) التصريف بالمؤرخين . لكانب للقال لايزال مخطوطاً وشذرات الذمب ج ٦ ص ٦٠



وهكذا الأمر في ( الأيام المستترقة ) بسبب بمض الأيام الكبيسة وغيرها . وهو من نوع ( الزحف ) للموظفين باصطلاح هذه اليهود الا أن هذا لم ينجح في معاملات الناس . وكانت التواريخ قبله بالسنة اليزدجردية ، وبالسنة الجلالية أو الملك شاهية نسبة الى جلال الدين ملكشاه السلجوقي . وجرى العمل على التوفيق بين السنين الهجرية والشمسية في العهد العثماني . ولم يعترف بالسنة الابلخانية وكانت تسمى بالسنة المالية . ويقال للازدلاق عندهم ( سيويش ) فلم تنجح في الاتصال بهذه السنين فحصل التفاوت بينها وبين السنين الهجرية بسبب اهمال هذا الازدلاق حتى قررت قبول ( السنة الافرنجية ) او ( السنة الميلادية ) مع السنة الهجرية للأعياد والمواصم الدينية .

ومثلها ايران قبلت السنة ( الهجرية الشمسية ) . وفي الأقطار العربية جرى الأمر على التاريخ الميلادي والهجري معاً . ويطول البحث في تاريخ السنين الشمسية والتوفيق بينها وبين السنين الهجرية . وللإيرانيين كما لليهود والقبط والغريبيين أيضاً طرق خاصة في هذا الباب وانفصل بين التاريخين أسهل وأبسط الا ان استعمال السنة الميلادية فيه نظر . وكان الأولى أن يستعمل التاريخ الهجري القمري على حدة والشمسي الهجري على حدة .

٦ - ضربت النقود في أيام السلطان أبي سعيد من سلاطين المغول على السنين الابلخانية في السنة الثالثة والثلاثين منها . وفي السنة الرابعة والثلاثين . وهذه الأخيرة قبلت بالهجرية . ولم نجد من ضرب بعدها مراعيًا التاريخ الابلخاني . وهو على السنين الشمسية . فلم ينجح .

٧ - ظهرت مؤلفات عديدة في الفلك باللغة الفارسية . وكان الغالب اللغة العربية وهي لسان العلم الا أنه لم ينقطع الاشتغال باللغة العربية والاتصال بمؤلفاتها . ثم تلتها المدونات باللغة التركية بعد هذا العهد . وفي هذا لم يتبدل المصطلح باللغة العربية . ( يتبع )

عباس الزاوي

www.alukah.net

# أقدم تأليف في الحديث النبوي صيفه همام بن منبه ومكانها في تاريخ علم الحديث

محمّد

لا يعرف قدر الشيء إلا مالكة . وغير المسلمين لا يقدرّون الحديث النبوي  
وما يتعلق به من أصول الرواية والدراية حتى قدره . لأنهم لم يفتوا بأحاديث  
أنبيائهم كما عني المسلمون بحديث نبينهم لذلك كان أكبر همهم عدم العناية  
بالحديث الاسلامي والظمن في صحته جهلاً وحسداً .

وليس عجباً أن العرب لم يفتوا في جاهليتهم بالتدوين والكتابة بخلاف عنايتهم  
بها بعد أن أسلموا وآمنوا بالله وحده ؛ ولكن الذي يدعو الى العجب أن الأمد  
الذي اتقضى بين جاهليتهم وبين اعتنائهم بأصناف العلوم كان من أقصر ما عرفه  
التاريخ الإنساني لمثل هذا التطور السريع حتى إن ذلك ليدعش المؤرخ .  
فلم يكن في مكة ، لما بعث النبي ﷺ ، إلا بضعة عشر رجلاً يقرأون ويكتبون .  
وعدددهم في المدينة المنورة أقل من ذلك . وصارت العربية من أغزر لغات العالم  
علماً وأدباً منذ القرن الثاني للهجرة . فكيف كان هذا ؟

بدأت الحكومة الإسلامية في السنة الأولى للهجرة ولم تشمل حينئذ إلا  
جزءاً من المدينة المنورة ؛ أما سائرها فكان في أيدي اليهود أو العرب المشركين .  
وكان في جزيرة العرب مئات من القبائل ، أي مئات من «الدول المستقلة»  
لا تخضع واحدة لأخرى . ولم تشمل الحكومة الإسلامية قبل هجرة المدينة  
في أواخر السنة السادسة للهجرة إلا على بضع مئات من الأميال المربعة من الأرض .

ولكن هذه الدولة الاسلامية كانت قد امتدت عند وفاة النبي ﷺ ، بعد خمس سنوات ، الى مساحة تنيف على مليون من الأميال . وما انقضت بعد ذلك خمس عشرة سنة حتى دخل الجند الاسلامي في خلافة سيدنا عثمان ( سنة ٢٦ هـ ) الأندلس من جهة على ماروى الطبري <sup>(١)</sup> ، بعد أن اخضعوا جميع شمالي إفريقيا وتجاوز جيحون الى ما وراء النهر من جهة ثانية <sup>(٢)</sup> ؛ أما في الجنوب فقد بلغت هذه الجنود ، منذ خلافة سيدنا عمر الفاروق على ماروى البلاذري <sup>(٣)</sup> ، موانئ تانه ( بياي ) ودبيل ( كراشي ) ، وفي الشمال أرمينية وما وراءها <sup>(٤)</sup> .

ولم يكن عند العرب حينئذ عدد ولا عدة كما كان عند من ناوشوهم من الروم والفرس وصائر العجم . وكذلك لم يعرفوا فنون الحرب والقتال المعروفة عند أعدائهم . وفوق هذا كله ، لم يخرجوا من بيوتهم وأخبيتهم لمجرد النهب والغارات الجاهلية ، بل لتكون كلمة الله هي العليا . فعاداتهم الطبيعية وتربيتهم الإسلامية هي التي ساعدتهم على الوصول إلى غايتهم . ففتوحات السيف وفتوحات القلم ليست لديهم إلا مظهر أمر واحد وداع واحد .

ولسنا بصدد الكلام على سياسة السيف وكيفية نشأتها وارتقائها ؛ فلنقتصر الكلام على سياسة القلم والعلم في فجر الاسلام .

### اهتمام النبي بنشر التعليم :

من المعروف أن نبي الاسلام كان أمياً ، وقد شهد بذلك القرآن فقال : « ما كنت تحطه يمينك إذا لارتاب المبطلون » . وأول وحي أوحى إليه اشتمل على أمر الله أن : « اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ »

(١) تاريخ الطبري ، ص ٢٨١٧ وما بعد ( طبع اوربا ) .

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ( طبع اوربا ) ص ٤٠٨ ، ووافقه تواريخ أهل الصين .

(٣) فتوح البلدان ص ٣٤٨ .

(٤) تاريخ الطبري ، ص ٢٨٢٧ ( في السنة ١٩ ) .

م (٧)

وربك الأكرم الذي علّم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم» • فالأمر بالقراءة  
وتمجيد أوصاف القلم والكتابة • هذا ما شرع به الاسلام لتبجيده • فكان سيدنا  
محمد « في الأمين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة  
ويزكّيهم » • فينور أذهانهم كما يصفي أخلاقهم في الوقت نفسه • وكذلك كان  
بأمر بكتابة آيات القرآن وصوره المنزلة الى ذلك الزمان •

فلم يسمعه إلا قليل من أهل بلده • وبدأوا يؤذونه ومن تبعه في الله •  
فلما بلغ سيل المحن الزبّي • هاجر مع من استطاع الى المدينة ووضع هناك أساس  
دولة • فنزلت سورة البقرة في أول ما نزل بعد الهجرة • ونزل فيها آية  
المداينة المعروفة :

« يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ••• واستشهدوا  
شهيدين من رجالكم فان لم يَكُونَا رجلين فرجل وامرأتان ••• ذلكم أقسط  
عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا » الآية •  
فلم يزد إلا اعتناء بالكتابة والعلم •

وأول ما بدأ به الرسول من العمل كان بناء المسجد النبوي وجعل في هذا  
المسجد صُفّة ليقوم فيها طلاب العلم • وعين أساتذة يعلمون فيها الكتابة  
والقراءة ومائل الدين الى غير ذلك فكان عبد الله بن سعيد بن العاص يعلمهم  
الخط<sup>(١)</sup> • وكذلك روي عن سيدنا عبادة بن الصامت أنه أمره النبي ﷺ أن  
يعلم الناس الكتابة ويقرّهم القرآن في الصفة<sup>(٢)</sup> •

ولم يمض على ذلك سنة حتى كانت وقعة بدر : زاد عدد المسلمين فيها ثلاثة  
أضفاف عدد المدوّ • وأسرّوا عدداً كثيراً منهم • ومن غريب ما عومل به

(١) استيعاب ابن عبد البر ٣٩٣٢ • التراتيب الادارية للكتاني ٤٨/١ • وقال :  
« وكان كاتباً محناً » • راجع أيضاً الاصابة ترجمة الحكيم بن سعيد بن العاص •  
(٢) الكتاني ٤٨/١ عن سنن أبي داود •



الأمري أنه أذن لمن كان منهم كاتباً ان يعلم كل واحد منهم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة والقراءة ، فداءً لنفسه <sup>(١)</sup> وقد يوبّ بعض قدماء المحدثين هذه الواقعة فمنونها «جواز المهلم المشرك» . وحقّ له . ولم يكن هذا حادث حدث ، بل كان مطابقاً لسياسة مستمرة في نشر التعليم . وكثيراً ما كان يقول النبي «بعثت معلماً» <sup>(٢)</sup> . وكان يأمر الصبيان أن يتعلموا من جيرانهم <sup>(٣)</sup> وأن يتدارسوا في مسجد حارتهم <sup>(٤)</sup> . وذكر البلاذري <sup>(٥)</sup> «أنه كان بالمدينة تسعة مساجد فكانوا يصلون فيها ويجمعون مع رسول الله» . ويروي أن أهل جوثا (في منطقة عمان والبحرين) بنوا مسجداً فكان أول مسجد بعد ما كان في المدينة . وكان قد كتب إليهم أن «خطوا المساجد كذا وكذا وإلا غزوتكم» <sup>(٦)</sup> . وكذلك لما بعث عمرو بن حزم رضي الله عنه عاملاً الى اليمن ، كتب له أوامره وفيها أوامر لنشر التعليم <sup>(٧)</sup> . وذكر الطبري <sup>(٨)</sup> في أحوال سنة ١١ أن النبي ﷺ كان قد بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه الى اليمن ناظراً للتعليم فكان ينتقل من عمالة الى عمالة ويراقب المدارس .

ولم يكتف بتعليم الرجال ، بل اعتنى بالنساء كما اعتنى بالرجال . فأمر المؤمنين حفصة بنت عمر كانت كاتبة في حياة النبي علي مارواه ابو داود . ولا نحتاج الى تفصيل طويل لهذه الناحية سوى أنه كان من نتائج هذه السياسة في شأن تعليم

(١) طبقات ابن سعد ١/٢ ، ص ٤ ، روض الانف للسيبلي ٩٢/٢ ، مسند ابن

حنبل ٢٤٧/١ .

(٢) ابن ماجه ، باب فضل العلماء : مختصر بيان العلم لابن عبد البر ، ص ٢٥ .

(٣) الكتاني ٤١/١ عن الاصابة وجمع الزوائد .

(٤) ابن عبد البر ، ص ١٤ .

(٥) أنساب الاشراف (مخطوطة القاهرة) ٤٢٠/١ .

(٦) راجع كتابي الوثائق السياسية رقم ٧٧ .

(٧) الوثائق السياسية ، رقم ١٠٥ ، عن ابن هشام والطبري .

(٨) تاريخ الطبري (طبم اوربا) ص ١٨٥٢ — ١٨٥٣ ، ١٨٥٣ ، ١٩٨٣ .

النساء أن المسلمات أصبحن فيما بعد يبارين الرجال في ميادين شتى من العلم . ويرى القارىء أن بين السماعات التي توجد على المخطوطة الدمشقية من صحيفة همام ابن منبه ، التي نحن بصددنا ، سماعة على معلمة وهي ام الفضل كريمة بنت ابي الفراس نجم الدين القرشية الزبيرية . بمنزلها وكذلك كتاب الأموال لأبي عبيد ، الذي هو في الأمور المالية الدقيقة من موارد الدولة ومصارفها ، يبتدىء بعد البسطة ، بهذه الكلمات : « قرئ على الشيخة الصالحة الكاتبة فخر النساء شهدة بنت أبي نصر احمد بن الفرج بن عمر الأيبري الدينوري بمنزلها ببغداد » . ولا نحتاج للقرون الابتدائية إلا أن نرجع الى أسانيد الرواة من كتب الحديث للصحاحيات والتابعيات ومن تبمن .

### تدوين الحديث :

فهذه نماذج من أثر السياسة النبوية في أمر العلم عامة . أما الحديث فهو ما يهنا خاصة . ومرادي بالحديث حديث الرسول ، وهو يحتوي على أقواله كما يحتوي على ذكر ما فعله بنفسه او قرر ما فعله غيره من أصحابه فلم يغيره ، فهذا التقرير والتصديق ، له مكانة قانونية ، كأنه فعله الذي قرره . والأمر الوحيد الذي يشغلنا هنا هو مسألة الثقة بكتب الحديث ، لا غير . فان الكتاب الذي نشره اليوم ، أعنى صحيفة همام بن منبه ، هو أيضاً تأليف جمع فيه أحاديث النبي ﷺ .

من المستحيل البديهي أن يكتب وبدون جميع ما قال النبي أو فعله أو قرره ، فهذا من وظائف الملائك « كما كاتبين يعلمون ما تفعلون » . وكذلك لن يصح القول أنهم لم يكتبوا شيئاً ، فان الحقائق على خلافه . وعلى كل مادونه هذه الأمة الأمية وما كتبه من أحاديث نبينا يفوق بكثير ما كتبت أمم أخرى عن أنبيائهم ، كما فاقت عليها ، في إبان أمرها ، في أمر فتوح البلدان ونشر الدين في القارات .

ولا بأس أن نشكك تشكيك سائل ورتاب في هذا الأمر فلا تقرر إلا  
ملا مجال لنا لإنكاره . فماذا كتبوا من الأحاديث في أول أمرهم ؟

### الحديث المكتوب في العهد النبوي :

(أ) لما هاجر المسلمون من أهل مكة إلى المدينة ، أقاموا هناك أساساً  
مملكة ودولة مدينة ( Cité - Etat ) وكان يشار النبي ﷺ أهلها  
وسكانها من المهاجرين والأنصار واليهود وسائر من لم يسلم حينئذ من عرب  
المدينة ، فسجل دستور دولة - وهو أول دستور مملكة كتب ودون في العالم  
بأجمعه<sup>(١)</sup> - وذكر فيه حقوق الحاكم والمحكوم عليه وواجباتهما . فبدأ :  
« هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش  
وأهل بئر من تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم . وإنهم أمة واحدة من دون  
الناس . . . » الخ<sup>(٢)</sup> .

فيقول « هذا الكتاب » ، ولا بد أن يكون مكتوباً محرراً . وكرر  
خمس مرات في نفس الدستور كلمة « أهل هذه الصحيفة » . وقال كذلك  
« لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم » . وقال « إن بئر حرام جوفها  
لأهل هذه الصحيفة » ؛ ولكن يفصل حدود الحرم اليثربي . قال ابن حنبل  
في مسنده<sup>(٣)</sup> : « عن رافع بن خديج . أن المدينة حرم حرمة رسول الله  
ﷺ وهو مكتوب عندنا في أديم خولاني » . وكان من واجب السياسة أن  
يحدد حدود المملكة وأرض دولتها فأرسل من بيني أعلام الحدود كما روى  
المطرزي في « ما أنست الهجره من معالم دار الهجرة »<sup>(٤)</sup> فقال : « عن كعب

(١) الوثائق السياسية ، رقم ١ ، عن ابن هشام وأبي عبيد وغيرهما . راجع مقالتي  
« أول دستور سجل في العالم » في تقريرات مؤتمر دائرة المعارف بجيدر آباد .

(٢) الوثائق السياسية رقم ١ .

(٣) ج ٤ ، ص ١٤١ ، رقم الحديث ١٠ .

(٤) مخطوطة مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت .

ابن مالك قال : بعثني رسول الله ﷺ أعلم على أشرف مخيض وعلى الحفيا وعلى ذي العشرة وعلى نيم « الخ .

(ب) وكذلك أمر النبي ﷺ في أوائل الهجرة بإحصاء المسلمين . فقد روى البخاري في صحيحه<sup>(١)</sup> أن النبي عليه السلام قال : « اكتبوا لي من تلفظ بالاسلام من الناس فكتبنا له ألفاً وخمس مائة رجل » ذكرانهم وإناهم وصغارهم وكبارهم . فكان إحصاء النفوس هذا أيضاً مكتوباً . والعدد الذي بلغ يدل أنه كان من السنة الاولى للهجرة .

(ج) بدأت الوثائق السياسية والمعاهدات الرسمية من قبل الهجرة ولا يهنا ههنا اعطاء هبرون لتميم الدارمي قبل الهجرة ولا كتاب أمان لسراقة بن مالك المولجي أثناء سفر الهجرة . ويظهر<sup>(٢)</sup> أنه كان قد عاهد قبيلة جبينة في السنة الأولى للهجرة ولكن لم يصل إلينا نصه . أما معاهدة بني ضمرة ، فقد عقدت في صفر سنة ٢ فيما رواه السهيلي<sup>(٣)</sup> ، ونصها : « هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة » الخ . ومثلها تسلسلت ودامت باقي حياته ﷺ . ومن المعروف كتاب المراضة<sup>(٤)</sup> زمن الخندق ( سنة ٥ ) مع بني فزارة وغطفان ، والتجاجج والخلاف على كتابة بعض الكلمات والشرايط في هدنة الحديبية<sup>(٥)</sup> وكيف أمر النبي عليه السلام الكاتب ، وهو علي بن أبي طالب ، أن يمجو بعض ما كتب . وذكر المؤرخون<sup>(٦)</sup> في غزوة تبوك أن أكيدر الحيري ،

(١) باب كتابة الامام الناس .

(٢) سرية حمزة إلى سيف البحر عند ابن هشام وغيره : « فجز بينهم مجدي بن عمر

الجهني وكان موادعا للفريقين » .

(٣) الوثائق السياسية ، رقم ١٥٩ .

(٤) الوثائق السياسية رقم ٨ .

(٥) انظر للمراجع ، الوثائق السياسية رقم ١١ .

(٦) الوثائق السياسية . رقم ١٩٠ .



صاحب دومة الجندل ، تعاهد مع المسلمين وكان النبي عليه السلام ، لما كتب عهده « ختمه بظفره »<sup>(١)</sup> . وكان من تقاليد أهل الحيرة ، واكيدر منهم ، أن يعضوا معاهداتهم بظفرهم - لا بأظفارهم - فكانوا يختمون بظفرهم فيظهر خط مثل شكل هلال صغير . ونجد هذه المادة هناك من قديم الزمان فبقي أثرها وذكرها في معاهداتهم التي كتبت زمن الجاهلية ، على لبنات الطين وعثرت عليها في الأزمنة الحديثة<sup>(٢)</sup> .

( د ) وكذلك كتبه التبليغية الى قيصر وكسرى والمقوقس والنجاشي وغيرهم لا يعقل الا أن تكون محررة مكتوبة . وقد بقي بعضها الى هذا الزمان مثل كتابه الى المقوقس والنجاشي والمنذر بن ساوى<sup>(٣)</sup> (بحث فيها في مقالات خاصة<sup>(٤)</sup>) . وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق<sup>(٥)</sup> أن أبا العباس عبد الله بن محمد كان قد اشترى معاهدة أبله من أهلها بثلاث مائة دينار كأثر مبارك من الآثار النبوية . ( هـ ) وكثيراً ما احتاج النبي عليه السلام أن يكتب عماله في أنحاء جزيرة العرب ، يلغهم أوامرهم . وكذلك كتبوا اليه وسألوه أشياء في معضلات الحوادث فأجابهم بالكتابة . وقد تواتر الذكر في كتب الحديث أن النبي عليه السلام كتب<sup>(٦)</sup> مسائل الزكاة الى عماله ، وتوفي قبل أن تنفذ اليهم ، فعمل بها الخلفاء بعده .

(١) طبقات ابن سعد ١/٢ ، ص ١٢٠ . ونقله الكتاني (١٧٩/١) . أيضاً عن الاسابة في ترجمتي وهب بن اكيدر ، واكيدر بن عبد الملك .

(٢) Meissner, Babylonien u. Assyrien, I, 179; O. Krückmann, Neue Babylonische Recht - u. Verwaltungstexte, 37/28; Ch. Edwards, The Hammurabi Code, p. II .

(٣) بالهندية في تأليني « رسول أكرم كى سياسى زندكى » . الباب « مكتوبات نبوى كى دو اصول » والباب « مكتوب نبوى بنام نجاشى » .

(٤) الطبعة الجديدة ٤٢٢/١٢ (تحقيق المنجد) .

(٥) سنن الدارقطنى وابى داود والطبرانى والدارمي وكنز العمال وغير ذلك .

والفرض من هذه الأمثلة أنه لا بد أن يكون قد كتب مثل هذه الأحاديث  
و الوثائق الرسمية ) في حياته عليه السلام فإن المطلوب منه لا يحصل الا بالكتابة .  
قد جمعت ما وجدته في الكتب ، في تأليني ( الوثائق السياسية في العهد النبوي  
للخلافة الراشدة ) وفيه أكثر من مائتين وخمسين للعهد النبوي خاصة . وقد  
خفت اليها أربعين أخرى تقريباً للنشرة الثانية التي تحت الطبع . وهناك أمثلة  
خرى من كتابة الحديث .

### الكتابة الاتفاقية :

روى البخاري في صحيحه أن النبي عليه السلام خطب خطبة في مكة عام الفتح في  
حقوق الانسان : « فجاه رجل من أهل اليمن - وهو ابو شاه - فقال : اكتب  
لي يا رسول الله . فقال : اكتبوا لأبي فلان . . . قال : كتب له هذه الخطبة » .  
( باب كتابة العلم ) .

وروي عن عنبان بن مالك الأنصاري أنه سمع يوماً كلاماً للنبي عليه السلام  
فأعجبه . فكتبه يحفظه <sup>(١)</sup> .

نعم هذه حوادث اتفاقية وليس بجميع ما روي مثلها في التاريخ للعهد النبوي .

### الكتابة بالجد والاهتمام :

(١) روى الترمذي <sup>(٢)</sup> أن صحابياً من الأنصار حضر الى النبي عليه السلام  
وشكا سوء حفظه ، وتأسف وتحير كيف يعمل في المواعظ والحكم التي يسمعا  
كل يوم منه . فقال له : « استعن يمينك » ، أي اكتب . فلا بد أن يكون  
قد كتب بعد ذلك . ولكن لا نعرف تفاصيل أخرى لهذا .

(١) نقله الأستاذ محمد زبير الصديقي ، كأنه عن الاصابة .

(٢) في كتاب العلم كما ذكره زبير الصديقي .

(ب) روي <sup>(١)</sup> مثله عن عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي . فلما أمره النبي ﷺ أن يكتب ما يشاء ، تعجب وقال : « أكتب كل ما أسمع منك ؟ » قال : نعم . قلت : في الرضا والغضب ؟ قال : نعم فأني لا أقول في ذلك كله إلا حقاً . وفي البخاري <sup>(٢)</sup> عن وهب بن منبه عن أخيه - وهو همام ، صاحبنا - قال : « سمعت أبا هريرة يقول : ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب . تابعه ممر عن همام عن أبي هريرة » . وكان عبد الله بن عمرو مني مجموعته هذه « الصحيفة الصادقة » . ويقال إن فيها ألفاً من الأحاديث <sup>(٣)</sup> . وبقيت في عائلته فكان حفيده عمرو بن شبيب يحدث على أساسها ويروي أحاديثها <sup>(٤)</sup> . ورحم الله ابن حنبل فانا نجد هذه الصحيفة محفوظة في ضمن مسنده الجليل ، فصانها من إتلاف الحدائق .

(ج) وكان أبو رافع ، مولى رسول الله وخادمه ، استأذنه أن يكتب أحاديثه فأذن له <sup>(٥)</sup> .

(د) وأهم من هذا كله أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه . وكان أبواه قد أمراه حين الهجرة ، أن يخدم النبي ﷺ في بيته فبقي لم يفارقه ليلاً ولا نهراً إلى أن توفاه الله بعد عشر سنوات ؛ وعاش أنس بعده طويلاً . وكان رأى وسمع ما لا يتيسر لغيره . وروي الدارمي أن أنساً كان دائماً يعظ بنيه : « يا بني قيّدوا هذا العلم » . وروي الدارمي أيضاً : « رأيت أبان يكتب عند أنس » .

(١) ابن سعد ، ابن حنبل ، ترمذي وآخرون .

(٢) باب كتابة العلم .

(٣) زبير الصديقي عن اسد الغابة .

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر ٤٨/٨ - ٥٥ ، رقم ٨٠ .

(٥) زبير الصديقي عن تهذيب التهذيب ٤٤٠/٣ أبو رافع أو رافع .

كيف لا وقد عني هو بنفسه ان يكتب الحديث أكثر من غيره . فقد روى جماعة مثل الحاكم في المستدرک وغيره ، عن صعيد بن هلال :  
 « قال : اذا أكثرنا على أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه فأخرج إلينا محالاً عنده ، فقال : هذه سمعتها من النبي ﷺ فكتبتها وعرضتها عليه » .  
 فكان لا يكتبني أن يكتب ما سمع أو رأى ، بل كان أيضاً بمرضه على صاحبه وينصح اذا مست الحاجة .

فهذه من الحوادث التي نقلت عن الصحابة وهي تدل على أنهم كانوا يكتبون لأنفسهم الحديث النبوي في حياة نبيهم .

### تأليف كتاب على يد صحابي :

من المعلوم أن عمرو بن حزم رضي الله عنه أرسله النبي عليه السلام عاملاً إلى اليمن وكتب له وثيقة عهد فيها عهده وأمره فيها أمره . فحفظ عمرو بن حزم هذه الوثيقة فلم يتلفها ثم جمع واحداً وعشرين كتاباً آخر كتبها النبي ﷺ ليهود بني عاديا وبني عريض ، لثميم الدارمي ، لخبيزة وجذام وطبي ، وثقيف وغيرهم . فضمها في تأليف فكان أول مجموعة للوثائق السياسية الإسلامية للعهد النبوي . وقد رواها عنه أبو جعفر الديلمي ( الباكستاني ) من محدثي القرن الثالث للهجرة . ونقله ابن طولون ذيلاً لتأليفه « إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين » ( مخطوطة من يد المؤلف في خزنة المجمع العلمي بدمشق ، وقد طبع بعد ) .

### تدوين الحديث في عهد الصحابة :

وفي المصادر روايات كثيرة عن الصحابة تدل على أنهم كتبوا الأحاديث بأيديهم أو أمروها على تلامذتهم . ولو أن هذا حدث بعد وفاة النبي فإن شاهدي الوقائع أنفسهم لا يحول جيل بينهم وبين تدوين ما دعوا وما حفظوا .



(أ) فروى الامام مسلم<sup>(١)</sup> في صحيحه أن جابراً رضي الله عنه ألف كتاباً في الحج - لعله اشتمل على ذكر حجة الوداع وأحاديث أخرى وردت في مسائل الحج - وكانت له حلقة درس في المسجد النبوي ، فكتب وهب بن منبه ، صاحب التصانيف التاريخية ، أحاديثه من أملائه<sup>(٢)</sup> . وروى البخاري<sup>(٣)</sup> عن قتادة ، التابعي الشهير أنه قال : «لأنا بصحيفة جابر أحفظ مني من سورة البقرة» . وكذلك يروى عن تلميذ آخر له ، وهو سلمان بن قيس البشكري ، أنه كتب ما روى جابر من الأحاديث<sup>(٤)</sup> . وقد درس على جابر آخرون وكتبوا عنه صحيفته ورووا عنه<sup>(٥)</sup> .

(ب) كانت أم المؤمنين عائشة تقرأ ولا تكتب . وروى أن ابن اختها (عمرو بن الزبير) صنف ما قد حوى روايات عائشة وغيرها وقد ضاع كتابه زمن فتنة الحرة فكان يقول فيما بعد : «لوددت أن كنت قديتها بأهلي ومالي»<sup>(٦)</sup> . ولعائشة الصديقة تلامذة آخرون . منهم عمرة بنت عبد الرحمن ، كانت قد ربها من طفولتها فمن لا يعرف هل كتبت عمرة شيئاً بيدها أم لا ، ولكن كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز الى عامله في المدينة ابي بكر بن محمد بن عمر بن حزم - وكان ابن اخت عمرة - «أن يكتب له من العلم ما عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بن محمد»<sup>(٧)</sup> . وكان القاسم هذا ، ابن أخي عائشة الصديقة ، وكان نبياً فحضنته وربته وكان من كبار العلماء . «وعن أبي عيينة : كان أعلم الناس بحديث عائشة : عمرو وعمرة والقاسم»<sup>(٨)</sup> .

- (١) نقله الاستاذ مناظر احسن كيلاني «تدوين حديث» ١٠١/١ .
- (٢) تهذيب التهذيب ، ترجمة وهب .
- (٣) التاريخ الكبير للبخاري ١٨٢/٤ .
- (٤) تهذيب التهذيب ٢١٥/٤ ، رقم ٣٦٩ .
- (٥) المصدر السابق ، وايضا مناظر احسن ١٠١/١ .
- (٦) تهذيب التهذيب ١٨٣/٧ ، رقم ٣٠١ .
- (٧) نقله مناظر احسن عن ابن حجر والبخاري .
- (٨) تهذيب التهذيب ١٨٢/٧ .

(ج) ويروي أن ابا بكر الصديق رضي الله عنه جمع أحاديث النبي عليه السلام في كتاب وقد بلغ عددها خمسمائة حديث . ثم أتلفه خشية أن يكون كتب شيئاً لم يكن حفظه تماماً<sup>(١)</sup> .

(د) سأل ابو جهمية علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : « قلت لعلي : هل عندكم كتاب ؟ قال : لا إلا كتاب الله أو فقيهم أعطيه رجل مسلم وما في هذه الصحيفة . قال : قلت : فما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل ، وفكك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر »<sup>(٢)</sup> . يريد بالعقل ، المعامل والديات . ولعله أراد دستور المدينة الذي كتبه النبي عليه السلام في السنة الأولى للهجرة<sup>(٣)</sup> ، وأكثره يتعلق بالمعقل . والله أعلم .

(هـ) أما عبد الله بن ابي أوفى رضي الله عنه فكان أيضاً يكتب الأحاديث . ويظهر أنه كان بدرس بالمكاتب كما نرى في عدة أبواب من صحيح البخاري : فقد روي عن موسى بن عقبة ، صاحب المغازي الشهيرة ، « عن سالم أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله ، وكان كاتباً له ، أن عبد الله بن ابي أوفى كتب فقرأته - وفي رواية : كتب اليه عبد الله بن ابي أوفى حين خرج الى الحرورية فقرأته فاذا فيه - أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو ، انتظر حتى مات الشمس . ثم قام في الناس فقال : أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو ، وصلوا الله العافية . فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف . ثم قال : اللهم منزل الكتاب ، ومجري السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم »<sup>(٤)</sup> .

(و) وكان سميرة بن جندب رضي الله عنه جمع أحاديث فورثه ابنه

(١) نقله زبير الصديق عن طبقات الحفاظ ، ٥/٢ .

(٢) صحيح البخاري باب كتابة العلم ، وباب فكك الأسير .

(٣) الوثائق السياسية رقم ١ .

(٤) صحيح البخاري باب لا تمنوا لقاء العدو ، وباب اذا لم يقاتل أول النهار ، وباب

الصبر عند القتال .

سليمان بن سمرة . وفي لفظ ابن حجر : « روى عن أبيه نسخة كبيرة » (١) .  
« وقال ابن سيرين : في رسالة سمرة إلى بنيه علم كثير » (٢) .  
( ز ) أما سعد بن عبادة الأنصاري ، فكان « كاملاً » من كتاب أهل  
الجاهلية (٣) . وكان عنده صحيفة جمع فيها الأحاديث النبوية . وكان ابنه  
يروى منها (٤) .

( ح ) لا ندري اذا كان ابن عمر رضي الله عنهما كتب الأحاديث بنفسه  
ولكن نجد رواية سلمان بن موسى في طبقات ابن سعد « أنه رأى نافعاً مولى  
ابن عمر يبلي عليه ويكتب بين يديه » . إن نافعاً كان من كبار العلماء وأرشد  
تلاميذ ابن عمر ، الذي صحبه ثلاثين سنة . ولا بد أن يكون قد حوى جميع  
علم استاذة الجليل فقد كان ابن عمر يقول : « لقد من الله علينا بنافع » (٥) .  
( ط ) أما ابن عباس رضي الله عنه ، فهو أشهر من ان نحتاج الى تفصيل  
حياته العلمية . فقد تواتر عنه أنه لما توفي ، ترك حمل بعير من تصانيفه .  
وروى الترمذي (٦) عنه عن مولاة وتلميذه عكرمة « أن قرأ قدموا على ابن عباس  
من أهل الطائف يكتب من كتبه فجعل يقرأ عليهم » . وروى الدارمي وابن سعد  
وغيرهما عن تلميذ آخر له - وهو سعيد بن جبير - أنه كان يكتب ما يبلي عليه  
ابن عباس رضي الله عنهما من الأحاديث . فاذا نقد القرطاس احياناً أثناء كتابته ،  
كتب على لباسه ونعله حتى على كفه ، ثم نقله في الصحف اذا رجع الى بيته .  
فلما توفي سيدنا ابن عباس ، ورث كتبه ابنه علي ، فبقي علمه بعده وتسلل .

(١) تهذيب التهذيب ٤/١٩٨ .

(٢) تهذيب التهذيب ٤/٢٣٦ ، رقم ٤٠١ .

(٣) تهذيب التهذيب ٣/٤٧٥ ، رقم ٨٨٣ .

(٤) الترمذي في كتاب الاحكام ، ذكره مناظر أحسن .

(٥) تهذيب التهذيب ١٠/٤١٣ ، رقم ٧٤٢ .

(٦) في كتاب الملل ، ذكره مناظر أحسن .

## صحابة آخرون :

(ي) كتب الاستاذ عبد الصمد صادم في تأليفه بالهندية « عرض الأنوار المعروف بتاريخ القرآن » ( طبع دهلي ١٣٥٩ هـ ) بعض ما يتعلق ببعضنا (١) .  
 فنقل عن الجامع الصغير أن الأحاديث التي كان جمعها عبد الله بن مسعود كانت عند ابنه ؛ ورأى ذكر كتاب صمد بن عباد في مسند ابن حنبل ؛ ونقل عن أسد الغاية أن صمد بن الربيع بن عمرو بن ابي زهير الأنصاري جمع بعض الأحاديث ؛ وعن تهذيب التهذيب لعبد الله بن ربيعة بن مرثد ؛ وعن البيهقي أن النبي ﷺ كتب لسيدنا ابي بكر الصديق احكام الحج ( كأنه في السنة التاسعة للهجرة ) ؛  
 الى غير ذلك .

## أبو هريرة :

(ك) أما أبو هريرة الدؤمي البني رضي الله عنه ، « فقال البخاري : روى عنه نحو ثمانمائة رجل او أكثر من اهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم » (٢)  
 ويقال إنه سمي أبا هريرة لجودة حفظه كما أن المرة لا تنسى ما عرفت من الأمكنة .  
 وروى البخاري في صحيحه (٣) : « عن ابي هريرة ، قال : إن الناس يقولون : أكثر أبو هريرة ، ولولا آبتان في كتاب الله ، ما حدثت حديثاً . ثم يتلو :  
 ( إن الذين يكتمون ما أنزلنا من اليبينات ) إلى قوله ( الرحيم ) . إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأصواق ؛ وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم الصل في أموالهم ؛ وإن ابا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشعب بطنه يحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون » .

(١) راجع ص ١٧٣ وما بعده . مع الاسف لم اجد فرصة كي أرجع إلى الاصول التي ذكرها واحقق رقم الجلد والصفحات .

(٢) تهذيب التهذيب ١٢ / ٢٦٥ ، رقم ١٢١٦ .

(٣) باب حفظ العلم .



فما روي من جودة حفظه أن مروان بن الحكم امتحنه مرة فطلبه فجاء .  
 وكان مروان امر كاتباً له أن يجلس وراء الستر . فطفق مروان يسأل ابا هريرة ،  
 فيحدث عما علم . ويقول الكاتب : « فجعل يسأل وأنا اكتب حديثاً كثيراً .  
 ولم يشعر ابو هريرة رضي الله عنه ما وقع وراء الستر ؛ فراح . ثم طلبه مروان  
 مرة اخرى . ويقول الكاتب : « فتركه سنة ثم ارسل في طلبه وأجلستني وراء  
 الستر فجعل يسأل وأنا انظر في الكتاب . فما زاد ولا نقص » (١) . فيدل هذا  
 لاعلى جودة حفظ ابي هريرة ، بل على أن عدداً من رواياته كانت قد كتبت  
 وقوبلت عليها بأمر مروان .

وروي أن ابا هريرة اري ابن وهب مرة كتبه (٢) . وروي الدارمي تدويناً  
 آخر لروايات ابي هريرة فقال : « عن بشير بن شيك ، قال : كنت اكتب ما اسمع  
 من ابي هريرة . فلما اردت ان أفارقه ، اتيت به بكتابه ، فقرأته عليه وقلت له :  
 هذا ما سمعت منك . قال : نعم » .

وروي ابن عبد البر ما يكاد يتعلق بأواخر عمر ابي هريرة ، فروى عن ابن  
 لمروين أمية الضمري ، قال :

« تحدثت عند ابي هريرة بحديث . فأنكر . فقلت : إني قد سمعته منك .  
 فقال : إن كنت سمعته مني فهو مكتوب عندي . فأخذ يدي الى بيته فأرانا  
 كتاباً كثيرة من حديث رسول الله ﷺ فوجد ذلك الحديث . فقال : قد أخبرتك :  
 إن كنت حدثتك به فهو مكتوب عندي » . (جامع بيان العلم / ١ / ٧٤) .  
 ولأبي هريرة رضي الله عنه تلامذة آخرون . منهم همام بن منبه صاحب الصحيفة  
 التي نحن بصددنا . وهي من أقدم ما دون في الحديث ، وحفظته لنا خزائن الكتب .

(١) كتاب الكنى للبخاري ص ٣٣ ، ذكره مناظر احسن .

(٢) فتح الباري ١ / ١٨٤ ، ذكره زبير الصديقي .

همام بن منبه :

قال ابن حجر في تهذيب التهذيب <sup>(١)</sup> ما نصه : همام بن منبه بن كامل بن شيخ اليماني ابو عقبة الصنعاني الأبنادي - والأبناء هم أهل فارس توطنوا قبل الاسلام في بلاد اليمن بعدما فتحها كسرى - روى عن ابي هريرة ، ومعاوية ، وابن عباس ، وابن عمر ، والزبير ، وعنه اخوه وهب بن منبه ، وابن اخيه عقيل ابن معقل بن منبه ، وعلي بن الحسن بن آتش ، ومعمربن راشد . قال اسحاق ابن منصور عن ابن معين : ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات . وقال الميوني عن احمد : كان يفزو ، وكان يشتري الكتب لأخيه وهب . فجالس ابا هريرة فسمع منه احاديث وهي نحو من اربعين ومائة حديث بإسناد واحد . وأدرکه معمرب ، وقد كبر وسقط حاجباه على عينيه ، فقرأ عليه همام ، حتى اذا مل ، أخذ معمرب فقرأ الباقي . وكان عبد الرزاق لا يعرف ما قرئ عليه مما قرأ هو . قال ابن سعد : مات احدى وثلاثين - (أي بعد المائة) - وقال البخاري : قال علي : سألت رجلاً قد لقي همام بن منبه : متى مات همام ؟ فقال : مات سنة اثنتين . قال ، وقال ابن عيينة : كنت أتوقع قدوم همام عشر سنين . قلت : وقال ابن سعد <sup>(٢)</sup> ، والخليفة وابن حبان : مات سنة إحدى أو اثنتين وثلاثين . وقال العجلي : يماني ، تابعي ، ثقة . انتهى ما قال ابن حجر العسقلاني .

وقال صاحب كشف الظنون : « الصحيفة الصحيحة لشيخ همام بن منبه الصنعاني المتوفى سنة ١٣١ . وهي التي كتبها عن ابي هريرة » .

فكان همام قد جالس ابا هريرة مدة ، وسمع منه احاديث وكتبها في مجموعة سماها « الصحيفة الصحيحة » ، على ما روى في كشف الظنون ، كأن هذا على

(١) (١) ٦٧/١١ ، رقم ١٠٦ ( راجع أيضا ١/٥٧٤ ) .

(٢) راجع طبقات ابن سعد ٥/٣٩٦ .

مثال «الصحيفة الصادقة» لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما . فصحيفة همام ، رواها تلميذه معمر عنه . ثم عبد الرزاق عن معمر . ثم هلم جرا . وعلى هذا تكون هذه الصحيفة قد دونت في اواسط القرن الأول للهجرة ، لأن اباهريرة توفي سنة ٥٥٨ .

وقد نقلها ابن حنبل في مسنده ( ج ٢ ص ٣١٢ - ٣١٩ ) بتامها . ونقل البخاري عدداً كثيراً من احاديثها في صحيحه ، في أبواب شتى <sup>(١)</sup> . سوى ما تواتر روايته هذه الصحيفة على حدة نسلاً بعد نسل . وقد عثرنا على مخطوطتين منها ، تحتويان على إسنادين مختلفين . منفصل ذكرهما فيما سيأتي :

لا يمكن مقابلة الصحيفة بما نقل منها البخاري في صحيحه فانه فرّق احاديثها في أبواب متفرقة . أما ابن حنبل فنقلها بمرمتها كما هي . فاذا قابلنا الباب المتعلق من مسند ابن حنبل مع المخطوطتين لدينا ، وجدنا الفروق الآتية :

(١) يتفق المسند مع المخطوطتين ولا يختلف في ترتيب الاحاديث الا مرتين أو ثلاث . وهذا بلا زيادة كلمات ولا نقصانها . (راجع الصحيفة في الاحاديث رقم ١٣٦٤٩٣ ، ١٢٦ ، ١٣٨ ) .

(٢) نجد في مسند ابن حنبل حديثاً واحداً لا نجده في المخطوطتين لدينا (راجع رقم ١٤/ب) . ومن المعروف أن في النسخة المطبوعة من المسند أغلاط طبع كثيرة . ولا يذكر ابن حنبل حديثاً (رقم ٥) نجده في كتنا المخطوطتين .

(٣) تكرر كلمة «وسمي الحرب خدعة» في حديثين في مخطوطتي الصحيفة (رقم ٤٠٤٢٩) أما ابن حنبل فلا يذكره إلا مرة واحدة (٤٠) .

(٤) تغير بين المصدرين بعض عوارض الرواية مثل «عز وجل» بدل «تعالى» بعد ذكر اسم الله ؛ أو «الني» و «أبو القاسم» بدل «رسول الله» ؛ أو اثنائه

(١) جلد اول ، ص ٣٤ ، ٣٩ ، ٥٦ ، ٦٤ ، ٩١ . جلد رابع ٥٦ ، ٦٣ ، ٨٦ .

ما يوجد مثلها عادة بين مخطوطتين من كتاب واحد • وقد أثبتناها في الحواشي •  
 وليس فيها ما يبدل المفهوم أو يغير المراد •  
 فإذا لم يتغير تأليف همام بن منبه المتوفى سنة ١٣١ الى زماننا هذا (سنة ١٣٧١)  
 بعد كثرة ما تناولته الأيدي ونقله الناقلون والرواة والمؤلفون ، فلا مجال لانكار  
 صحة ما مضى قبل همام من لدن النبي ﷺ الى أن رواه ابو هريرة • وليذكر  
 أن الأحاديث المذكورة في صحيفة همام ، قد رواها غيره ايضاً كما وجدناها في  
 مسند ابن حنبل والبخاري وصائر كتب الحديث المتداولة ، بعضها عن ابي هريرة  
 وبعضها عن غيره من الصحابة •

### وصف المخطوطتين :

ان مخطوطة برلين ، رقمها ( 1384 We 1797 ) وكانت في مكتبة الدولة  
 Staatsbibliothek في عاصمة المانيا • ( وهذه المخطوطات محفوظة في هذا الزمان  
 في مدينة تيوبنغن Tübingen ) • فهذه المخطوطة في مجموعة رسائل ، تبتدى  
 صحيفة همام بن منبه فيها من الورقة ( ٥٤ ) وتنتهي بالورقة ( ٦١ ) وتنقص في  
 أثنائها ورتتان • حجمها ١٢٥٥ X ١٢٥٥ سنتيمراً • وفي كل صفحة ( ١٩ ) سطراً •  
 ويبدأ كل حديث فيها بكلمة « وقال » بالمداد الأحمر • أنا كنت نقلتها بخطي ،  
 وهذا ما أثبت في آخر نقلي : « نقله لفظاً لفظاً من الأصل المحفوظ في خزانة  
 الحكومة البروساوية في برلين يوم عرفة ويوماً قبله سنة ١٣٧١ من الهجرة وقابله  
 من الأصل المنقول عنه بحسب الاستطاعة ، محمد حميد الله » • وهذه النسخة من  
 أوائل القرن الثاني عشر للهجرة •

فلما رجعنا الى بروكلمان ، أصفنا لما وجدنا فيها من الأغلاط الفاحشة • فلا  
 يذكر بروكلمان هذه الصحيفة تحت اسم همام بن منبه فلما أطلنا البحث ، عثرنا  
 عليها بالمصادفة ، فانه ينسبها الى « عبد الوهاب بن محمد بن اسحاق بن منده المتوفى



١٠٨٢/٤٧٣» . ثم يقول : « من تأليفه صحيفة همّام بن منده ( كذا ) المتوفى ٧٤٨/١٥١ ( كذا ) عن ابي هريرة المتوفى ٦٧٨/٥٨ » . وليس هذا في الطبعة الأولى ، بل في ضميحة الكتاب وفي ضميحة الضميحة للجلد الأول . فقال « همّام بن منده » ، ولم يرد إلا « همّام بن منبه » . وكذا صها في تاريخ وفاته ( الصحيح أنه ١٣١ ، لا ١٥١ ) ، كما صها سهواً فاحشاً في عزوه الى عبد الوهاب ابن منده ، وليس هناك إلا راو في عصر من العصور .

### مخطوطة دمشق :

أما مخطوطة دمشق فهي تفوق اختها تفوق نور الشمس على ضوء القمر المستعار . وهي محفوظة في خزانة الكتب الظاهرية . وداني عليها الأستاذ محمد زبير الصديقي ( من جامعة كلكتة ) . وأما صورتها الشمسية فقد حصلت عليها من الأستاذ صلاح الدين المنجد . وكلاهما يتحققان شكري وشكر من سيستفيد من قراءة هذه الصحيفة .

وهي ايضاً ضمن مجموعة رسائل : تمتاز بأنها كاملة وأقدم المخطوطتين كتابة . فهي من القرن السادس من الهجرة . وكذلك هي أصل النسخة التي استعملت للدرس والسماع وثبت الاجازات مراراً عديدة . وقد درس فيها ابن عساكر ، صاحب تاريخ دمشق فبين درس . وخطها جميل ، غير أن الناصخ أهمل تقط الحروف في أكثر الأحيان . وصورها في كل صفحة إما ٢١ او ٢٢ او ٢٣ . وحجم صورتها الشمسية كحجم النسخة الألمانية . وهذه النسخة المكتوبة بدمشق ، من زمن حروب الصليبيين . ونرى في صماعتها ما كانت من عادات الدرس الاسلامي وأدابه عند المحدثين في تلك الأزمنة من الحروب والفتن . ولنا بمددها الآن . وفي كلتا المخطوطتين كتب الناصخ بعض اختلافات الرواية على الهامش فقال إما « أؤخر » أو « أؤخر » ؛ وكذلك « تركتكم : تركتم » ، « يجيتونك :

يحيونك» ، «فزادوا: فزادوه» ، «بطمامكم : بطمامه» ، «حين : حينئذ» .  
ونرى بعض هذه الاختلافات ، التي لا تغير مفهوم الحديث البتة ، في مسند  
ابن حنبل أيضاً . ولعلها من زمن معمر ، وهو لم يسمها تماماً من همام ، كما نقلنا  
فيما مضى عن ابن حجر ، بل قرأها هو عليه حين كانت همام قد ملّت وتعبت .  
والدرس الشفاهي كان أعظم وسيلة لصحة ما كتب .

فالحديث النبوي مبني على عمودين : الكتابة والسماع ، كل واحد منهما  
يعاضد الآخر . فلو قابل أحد هذا الحزم والاحتياط في حفظ الحديث الحمدي  
وصحته مع ما وقع لحديث أنبياء آخرين قبل الإسلام ، وكذلك مع ما هو حال  
«التاريخ» في عصرنا الحاضر من أكاذيب الصحف وتدليسات الوثائق الرسمية ،  
وفكر تفكيراً سليماً ، لوضح له فضل الحديث ، وما فاق به المحدثون من لدن  
عصر الصحابة إلى العصور المتأخرة التي أبقى الدهر من آثارها الأصلية . والفرق  
بين حديث المسلمين وحديث غيرهم مثل ما بين السماء والأرض ، وشئان ما بينهما ،  
لا يشوبه أكاذيب الأعداء ولا جهل الأصدقاء .

وهاكم فيما يلي «الصحيفة الصحيحة» لهام بن منبه رحمه الله تعالى . وقد أضفنا  
إليها الأرقام على الأحاديث لتسهيل المراجعة :

محمد حميد الله

( يتبع )

www.alukah.net

## شيخ الإسلام ابن تيمية

- ٤ -

### علاوة ثالثة

ترجيحه لمذهب السلف في أمر المعتقد

مترجم

يظن بعض الناس أن دعاة الإصلاح والتجديد ، لأمر الدين والتوحيد ، على أساس الكتاب والسنة ، وما كان عليه سلف هذه الأمة ، إنما يحاولون إحياء الدين وإماتة ما عداه من علوم السلف وحضارتهم ، أو عدم الانفعال بما تدعو إليه الحاجة من مخترعات الغربيين ومدنيتهم ، إن تعجب فعجب هذا الزعم الباطل ! إن سلفنا الصالح الذين نهتدي بهديهم ، وتقفوا أثرهم ، قد جعلهم الله هداة للناس في الدين والدنيا ، وأورثهم أرض كثير من الأمم القديمة وما عليها من علوم وآداب وصناعة وعمران ، ونحن نتلو أخبارهم ، وتقفوا آثارهم ، وإن لم نبلغ شأوهم ، ونستفيد من مستحدثات الأمم المماصرة ، كما استفاد سلفنا من مزايا الشعوب والأمم الفائرة .

أنا نحاول أن نكون أمة ذات مدنية عربية اسلامية ، لا شرقية ولا غربية ، أساسها الأخلاق والفضائل ، وميزانها إقامة العدل بين الخلائق ، وهذا الطراز الممتاز من المدنية تقبسه من نور العصور الذهبية للإسلام . ولقد ذاق الناس من ظلم المدنية الحديثة ما جعل أشد الناس إيماناً بها من قبل ، أشدهم بغضاً لها ، وكراهية للمبتدئين الظالمين من أهلها .

- ١١٧ -

واقدر كان شيخ الإسلام ابن نعيم ينصر مذهب السلف الصالح بأدلة عقلية  
ونقلية ، ويجادل إرجاع الناس إليه بكل الوسائل ، ويرى رأي إمام دار الهجرة  
مالك بن أنس من أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، وهو رأي  
كل حكيم علم بداء الأمة ودوائها قديماً وحديثاً ، وقد ألف كتباً كثيرة  
كان معظمها يحوم حول هذه القضية ، وعقدت له عدة مناظرات في مصر والشام  
من أجلها ، وقد أثرتنا بعضها من قبل . وله رحمه الله في باب التوحيد الخالص ،  
المجرد عن شوائب الوثنية والبدع والزوائد ، كتب ورسائل ، بعضها طبع وبعضها  
لمّا يطبع ، وتقتصر الآن على ذكر ثلاثة منها مطبوعة : (١) كتاب الاستغاثة  
المعروف بالرد على البكري ، وهو علي بن يعقوب بن جبريل البكري الشافعي  
المصري (٦٧٣ - ٧٢٤) وترجمته في الشذرات (ج ٦ ص ٦٤) وهو ردّ على  
مسألة الاستغاثة بالخلوقين ، وقد خصه ابن كثير في تاريخه . (٢) كتاب الرد  
على الاخنائي المسمى بقاضي القضاة علم الدين بن شمس الدين (٦٦٤ - ٧٣٢)  
وترجمته في الشذرات أيضاً (ج ٦ ص ١٠٣) واسمه الرد على الاخنائي واستجاب  
زيارة خير البرية ، الزيارة الشرعية ، وهما مطبوعان معاً بمصر سنة ١٣٤٦ .  
(٣) قاعدة جليّة في التوسل والوسيلة ، وهو مطبوع بمصر أيضاً سنة ١٣٢٧ هـ .  
وفي طلائع الكتاب الأول مباحث جليّة في مدوني التفسير والحديث والسير  
والتاريخ ، والجرح والتعديل ، وذكر طائفة من الكتب المعتمدة ، وبيان ما اتسع  
فيه الكذب من فضائل الأعمال والأشخاص والأماكن والزمان ، وما سمعه  
شيخ الإسلام من جهالات بعض القضاة والمفتين والمدرسين وما رآه منهم . وقد  
حقق فيه أن لفظ (الاستغاثة في الكتاب والسنة وكلام العرب ، إنما هو مستعمل  
بمعنى الطلب من المستغاث به ، وأكثر ما يقال : يا غياث المستغيثين ، ومعناه  
المدرّك عباده في الشدائد إذا دعوه ، وصريحهم ومخلصهم ، فلا يجوز للإنسان  
الاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله . (قال) : ولو كانت الاستغاثة



بعد الموت ثابتة ثبوتها في الحياة لطلب من النبي (ﷺ) أن يقوم بالإمامة في الصلاة ، والإمامة في الفزوة ، وإرسال البعوث ، وعقد الألوية ، والشعائر في الحرب ، وإقامة الحدود ، وإيصال الحقوق ، وقسم الموارث والفنائم ، والفيء والصدقات ، وتعليمهم ما يؤمرون به مما في القلوب من المعارف والأحوال ، أو ما يقوم بالأبدان من الأقوال والأعمال ، وإفتائهم فيما ينوبهم من المسائل ، والحكم بينهم فيما يتنازعون فيه من القضايا . . . فهذه الأمور التي كان مأموراً بها أمر إيجاب أو استحباب ، وكانت حقاً عليه للخلق انتهت بموته فلم يبق عليه منها شيء ، كما انتهى حق الله الذي أمره به (١) .

وأقول تأييداً لما ذكره شيخ الإسلام : ان الصحابة الكرام ، قد تناظروا بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام ، في أمر الخلافة ، وفي جمع القرآن ، وفي المارك الدائمة كوقعة الجمل وصفين والنهروان ؛ وتناظر الشيخان في قتال مانعي الزكاة ، وفي إرسال جيش أسامة ، ولم يستغيثوا به في هذه الشدائد ، ولا استفتوه في شيء منها ، وكل هذا معلوم من الدين والتاريخ بالضرورة ، ومن العقل والحس والوجدان بالبدهة ، فيجب رد ما يتجدد من الوقائع والحوادث الى الوحي المنزل ، وما عرف من صنن الصدر الأول للإسلام . ولو كان ترك وسائل النصر والظفر ، والاستنصار بغيره تعالى مفيداً لنا في شيء ، لكننا اليوم أسعد الأمم حالاً ، وأنعمها بالآ ، وأوفرها عزة وثروة وقوة ، ولكن تلك الخطة المعارضة للشرع والطبع والحس التي سلكها أولئك الناس لم تزد الأمة إلا نكالاً ووبالاً ، « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه ، فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً ، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ويخشون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذوراً » (٢) .

(١) ملغصه من ص ٨٣ و ٩١ و ١١٠ منه .

(٢) الاسراء : ( ٥٦ و ٥٧ ) .

ثم إن هذا المؤلف (البكري) قد جرى على عرف بعض العلماء المتأخرين الذين جعلوا الاستغاثة به (ﷺ) وبغيره في معنى التوصل الى الله تعالى بجاهه وبحقه ، كالسبي في شفاء السقام ، والقسطلاني في المواهب ، والسهمودي في خلاصة الوفا ، وابن حجر المكي في الجوهر المنظم وغيرهم . والمراد أنهم يسألون الله تعالى بحقه وجاهه أن تقضى حوائجهم ، وسيأتي بحث ذلك . أما الاستغاثة بأهل القبور أنفسهم بمعنى طلب الفوت منهم - أي زوال الشدة ، وتفريج الهم والكرب ، وفضاء سائر الحوائج ، فهذه استغاثة شركية ، لا تدخل في دائرة الأسباب والمسببات بحال ، بل هي توصل الغلاة والجهال في الحضرة والسفر ، والبر والبحر ، والعسر والبسر ، والفرج والشدة ، ونحن نجل أهل العلم والعقل والإيمان ، عن الوقوع في مثل هذا الطغيان والهديان .

وفي الكتاب الثاني لشيخ الإسلام (قاعدة جلية في التوصل والوسيلة) ما ملخصه: لفظ التوصل يراد به ثلاثة معان (أحدها) التوصل بطاعته (ﷺ) فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به . (والثاني) التوصل بدعائه وشفاعته ، وهذا كان في حياته ، ويكون يوم القيامة . (والثالث) التوصل به بمعنى الإقسام على الله بذاته ، والسؤال بذاته ، فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه ، لا في حياته ولا بعد مماته ، لا عند قبره ولا غير قبره ، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم ، وهذا هو الذي قال أبو حنيفة وأصحابه انه لا يجوز ، ونهوا عنه حيث قالوا: لا يسأل بمخلوق<sup>(١)</sup> .

أقول إن التوصل في لغة الصحابة هو عبارة عن أقوال وأفعال وأحوال لم تجر سنة الله في صدورنا عن غير الأحياء بين أظهر الناس ، كتوصل عمر بالعباس في الاستسقاء ، فهو طلب للسقيا والدعاء والصلاة على طريقة معهودة في الشرع ، معروفة في كتب الحديث والفقهاء ، ومنها أن يخرج المتوصل به الى المصلى

(١) ص ١٢ و ٥٣ و ٥٥ و ٥٧ و ١٧٦ منه .

ويخرج الناس معه ، فيستقي ويدعو مستقبلاً القبله ، ويجول رداءه ويصلي ركعتين ، ويخطب خطبتين ، أو نحوها من الهيئات الثابتة ، كما يعلم ذلك من سبب الأحاديث الصحيحة الواردة في الاستسقاء ، والتوصل به للسقيا على تلك الهيئة أو نحوها لا يمكن أن يكون من غير الأحياء .

ثم هنا مسألة مهمة وهي أن حقوق الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وصالح الصالحين ، ليست من أعمال السائل التي يستحق عليها الجزاء ، ولا رابطة بينها وبين إجابة سؤاله ، فإذا قال الداعي : أسألك بحق فلان الصالح أن تقضي حاجتي فمعنى ذلك : اقض حاجتي لكون فلان صالحاً ، فأبي مناسبة بين قضاء حاجتك وصلاحه ؟ وإذا قلت بجاء فلان اغفر لي ، كان المعنى : طلب المغفرة لكون فلان ذا جاه ، وأي مناسبة بين جاهه ومغفرة ذنبك ؟ فصلاحه أو جاهه ليس منفيًا عنه لا في حياته ولا عند ربه ، ولا هو محل نزاع ، ولكن ليس من عملك الذي تستفيد أنت منه ، وتستحق الجزاء عليه ، وإنما العامل هو الذي يجني ثمرة عمله في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

ولو كان التوصل بعمل الصالحين يفيد المتفاعلين عن العمل لكان الأمر علينا معشر المسلمين ، إذ كان يمكننا أن نقول مثلاً : اللهم أزل ضعفنا ، وأمن خوفنا ، وانصرنا على عدونا بجاء سلفنا الصالح الذين جاهدوا في سبيلك لإعلاء كلمتك ، ففتحت لهم فتحاً ميبئاً ، ونصرتهم نصراً عزيزاً ، ربنا هب لنا من الملك والسلطان ، والعلم والعرفان ، والحضارة والعمران مثل ما وهبت لهم ، أقترى أنه تنفيذنا هذه التوسلات بجاء أسلافنا وقوتهم ، وسعة سلطانهم ، واستبجار عمرانهم ، ونحن قد تداعت علينا الأمم فجعلتنا مغنماً ، ونهباً مقسماً ! لا لا ، وإنما ننهض ونجدد إذا اهتدينا بهديهم وكان لنا مثل عملهم .

قال الامام ابن القيم رحمه الله : « وقد رتب الله سبحانه حصول الخيرات في

الدنيا والآخرة ، وحصول الشر في الدنيا والآخرة في كتابه على الأعمال ترتيب  
الجزء على الشرط ، والمعامل على العلة ، والمسبب على السبب ، وهذا في القرآن  
يزيد على ألف موضع . وقال أيضاً : وهكذا شأن التوصل الديني الأخروي .  
وهكذا من وقفه الله وألمه رشده يدفع قدر العقوبة الأخروية بقدر التوبة  
والإيمان والأعمال الصالحة ، قرب الدارين واحد ، وحكته واحدة ، لا يناقض  
بعضها بعضاً ، ولا يبطل بعضها بعضاً ا ه .

قلت : ويشهد له قوله تعالى : « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا  
مع الشاهدين » فهو توصل الى الله تعالى بالإيمان والاتباع . ومن أفضل أنواع  
التوصل ما جعله الله تعالى دعاء للمؤمنين ، ورتب عليه غفران الذنوب ، وتكفير  
السيئات ، والرفاة مع الأبرار ، فقال عز من قائل : « ربنا اننا سمعنا منادياً  
ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا ،  
وتوفنا مع الأبرار » وقال جل حكته : « الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر  
لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار » فهذه الآيات الكريمة قد أرشدتنا الى التوصل اليه  
تعالى بما شرعه من الإخلاص في الدعاء له وحده ، والإيمان بما أنزل من عنده ،  
واتباع الرسول على الوجه الذي جاء به من عند ربه ، فتأمل كيف جعل ذلك  
سبباً لمغفرة الذنوب ، والوقاية من النار ، والنظم في سلك الأبرار ، وأين هذا  
التعليم الإلهي ، والتوصل الشرعي ، من المعامل التوسلية التي أنشأها المتدعة  
لأنفسهم ولغيرهم ، وهم يصدرون منها كل حين من التوصلات المتدعة أنواعاً متنوعة  
ما أنزل الله بها من سلطان « قل أنتم أعلم أم الله » ؟

وأما الكتاب الثالث - وهو الرد على الإخنائي - المسمى بقاضي القضاة ،  
فسببه أن الإمام ابن تيمية قد أرسل اليه بعض أصحابه جزءاً أخبر أنه صنفه بعض  
القضاة ، قد تكلم في المسألة التي انتشر الكلام فيها وهي السفر الى غير المساجد  
الثلاثة كالسفر الى ( مجرد ) زيارة القبور هل هو حرام أو مباح أو مستحب ،



« وهي المسألة التي أجيبت فيها من مدة بضعة عشرة سنة بالقاهرة ، فأظهرها بعض الناس في هذا الوقت ظناً أن الذي فيها خلاف الإجماع ، وأن السفر مجرد قبور الانبياء والصالحين هو مثل السفر المستحب بلا نزاع ، وهو السفر إلى مسجد نبينا محمد (ﷺ) المتضمن لما شرعه الله من السفر إلى مسجده والصلاة فيه ، والسلام عليه ومحبة وتعظيمه ، وغير ذلك من حقوقه (ﷺ) في مسجده المؤسس على التقوى » اهـ .

أرسل إليه بعض أصحابه هذا الجزء وأقسم عليه ليكتب شيئاً يظهر فيه جهل مثل هؤلاء الذين يتكلمون في الدين بغير علم ، وليس في الفتوى القديمة التي اطلع عليها القاضي (وهي منشورة في هذا الرد) تحريم زيارة قبور الأنبياء ولا غيرهم ، ولا كان السؤال عن هذا ، وإنما فيه الجواب عن السفر إلى القبور ، وكتب الشيخ وفتاويه مشحونة باستحباب الزيارة ، وفي جميع مناسكه يذكر استحباب الزيارة . قال ابن نبيية : وأما من كان قصده السفر إلى مسجده وقبره معاً فهذا قد قصد مستحباً مشروعاً بالإجماع « . . . والجواب في السؤال كان عن سافر لا يقصد إلا زيارة القبور ، لا يقصد سفرًا شرعيًا كالسفر إلى مكة (أي المسجد الحرام) وإلى مسجد النبي (ﷺ) والمسجد الأقصى .

أقول : إن هذا الموضوع بأقسامه الثلاثة : الزيارة ، وشد الرحال ، والتوصل ، قد شغل الناس قرونًا طويلة ، وملا مئات المصنفات وألوف الصفحات ، وكنتم قدتم اقتراحاً إلى مؤتمر العالم الإسلامي الذي انعقد بمكة ( ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦ م ) قربت فيه بين المذاهب المختلفة في المسائل الثلاث ، ووافق عليه الأعضاء المؤتمرون جميعاً ، وخلاصته :

١ - أن الزيارة الشرعية للأموات من دون شد الرحال ، ليس فيها مطعن ولا مقال ، وقد كان النبي يزور سكان البقيع ، وشهداء أحد ، ثم قلت : إن هذا المضمر عصر تأمر ملل ، واتفاق دول ، تخالف مصالحتنا معشر العرب

والمسلمين ، وإن كثيراً من العوام والغلاة ، كما أعوزهم كشف البلاء ، أو تخفيف  
الرجاء ، تركوا ما أمر الله به من إعداد القوة ، والأخذ بوسائل الدفاع ،  
ولجؤوا إلى قبور بعض الصالحين ، يستنجدون بهم للدفاع عنهم ، وبذلك قضى  
على كثير من بلاد المسلمين ، قدره آلهه المفاصد الدينية والدينية ، نوضح للناس  
أن دعاء غير الله بكشف الضر ، يعدُّ عبادة لذلك الغير « فلا تدعوا مع الله  
أحدًا » وفي الحديث ( إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله )  
فيستفاد من ذلك أن ليس في الإسلام إلا الأخذ بالأصناف المشروعة في جميع  
المهمات ، والاستعداد لجميع الطوارئ والحادثات بقدر الاستطاعة .

٢ - إن مسألة شد الرحال إلى المساجد الثلاثة مفروغ منها ، وإن السفر  
إلى ما عداها من المساجد ، أو مجرد زيارة القبور ، لم يعهد في الصدر الأول ،  
ولم يقع من الأئمة الهداة ، وهل زيارة قبر النبي مشروعة وحدها فتشد الرحال  
إليها كأداء العبادة في مسجده ؟ أم هي مشروعة تبعاً لأداء العبادة في المسجد ؟  
في المسألة قولان ، ويوفق بينها بأن الصلاة في مسجد النبي وزيارته متلازمان ،  
بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر ، كمسألة الفقير والمسكين والإيمان والإسلام  
عند الفقهاء فلا يذكر أحدهما إلا ويراد معه الآخر ، وأن تكون النية موجهة  
عند شد الرحال إلى أداء العبادة في المسجد ، ومعها زيارته ﷺ .

٣ - إن من استقرأ النصوص ، وصبر غورها ، ظهر له منها أن التوصل إليه  
تعالى بالكلم الطيب ، والعمل الصالح هو المشروع ، وأنه هو الذي تنال به  
خيرات الدنيا والآخرة ، قرب الدارين واحد ، وحكته فيهما واحدة كما قال  
ابن القيم ، وفي طبعته كتابه : ( الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي )  
تحقيق بديع لهذا البحث ، وقد أورد له القواعد والشواهد الشرعية من القرآن  
العظيم الذي أيد العقل والحس والفطرة وطبيعة البشر في ذلك ، ولما كان بعض  
ظواهر النصوص يوم شمول التوصل بالذات والجاه أيضاً ، كانت المسألة خلافية ،

وكان فيها قولان لمثل الإمام أحمد بن حنبل ، وقد ورد : « اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممثاي هذا » رواه احمد وابن ماجه ، وفي سنده عطية العوفي ، وهو ضعيف كما قالوا ، ولكن مناه صحيح ، فحق السائلين عليه الإجابة ، وحق الماشين الى المساجد الإجابة ، « وقال ربكم : ادعوني استجب لكم » فالسائلون يسألونه تعالى تحقيق ما وعدهم به ، وقد تفضل فجملة حقاً لهم عليه ، وتحقيق وعده هو من صفاته تعالى الفعلية ، وليس ذلك من محل النزاع في شيء .  
ومن المؤسف جداً عدم الاهتمام بهدي الأنبياء والصالحين ، والاكتفاء بتشييد القبور ، وجعلها كلقصور والقلاع ، والصلاة عندها ، والطواف حولها ، ونذر النذور لسدنتها ، ويرحم الله حافظاً القائل :

أحيائنا لا يرزقون بدرهم وبألف ألف ترزق الأموات  
من لي بحظ النائمين بحجرة قامت على أحجارها الصلوات

والواجب يتقاضى علماء الدين الخالص ، والعاملين للمدينة الصحيحة ، أن يتعاونوا على إنشاء معاهد علمية ، في الأقطار الشرقية والغربية ، تدعو الى الله على بصيرة ، ونصح العقائد والموائد ، وتزبل المهالك والمفاسد ، وتميد عهد الأئمة ، وتجدد معالم الأمة .

ومنصل البحث بما حققه شيوخ الإسلام : من وحدة الأديان ، وأخوة الرسل الكرام ، إن شاء الله .

محمد بهجة البيطار

( يتبع )



## التعريف والنقد

### حركة الفتح الاسلامي في القرن الأول

شكري فيصل : دكتور في الآداب

مطابع دار الكتاب العربي بمصر ١٣٧١ - ١٩٥٢

يرى الدكتور شكري فيصل ان كل دراسة للمجتمع الإسلامي في نشأته ونموه يجب أن تقوم قبل كل شيء على دراسة الفتوحات ورصد معالمها الظاهرة والباطنة . من هذه الزاوية نظر في حركة الفتح الإسلامي وعلى هدى منها عمل كتابه الذي عني فيه بالفتوح من الوجه الآتي : من حيث أنها سبب في نشأة المجتمعات الجديدة وطريق للتعرف الى معالم هذه المجتمعات وسبيل بعد ذلك الى دراسة اللغة والأدب دراسةً لا تحيا جذورها على السطح الأعلى من الأرض ولكنها تنفذ ما استطاعت البمد العميق .

أجتزئ في هذه السطور بالدلالة على روح الكتاب أما خصائصه فلا يتيسر الوقوف عليها إلا بعد مطالعته .

لقد مشى بنا الدكتور شكري فيصل في الفتح الإسلامي مشياً وئيداً فجعل فتوح الشام والعراق ومصر قسماً وجعل ما وراء مصر قسماً وما وراء العراق قسماً فكان لنا بعد الانتهاء من كل فصل من هذه الفصول صورة واضحة لحركة الجيوش وتماتها وأمدادها ولما تمكنت منه وما ارتدت عنه ولغلبتها واستقرارها في خاتمة الأمر .

ليس من الضروري بعد هذا كله أن تقف على فتح كل قطر على حدة لأن غايتنا التعريف بالكتاب لا التحليل ولا التركيب ، ولكن لا نجد لنا مندوحة



عن الإشادة بالنهج العلمي الذي نهجه المؤلف فيه ، انا ترى الفكر الرياضي مفقوداً في أكثر كتبنا وأعني بهذا الفكر الرياضي تسلسل المباحث وربط بعضها ببعض ربطاً منطقياً حتى لا يركب بعضها بعضاً واذا كان الفكر الرياضي مفقوداً في أكثر كتبنا فان كتاب الدكتور شكري فيصل ينعم به نعمة كبيرة وحسب صاحبه هذا الفضل .

لقد حاول أكثر المؤرخين في مؤلفاتهم أن يأخذوا بأيدينا في مسالك الجيوش فوقفنا على حركات الجيوش وسكناتها واطلعنا على عددها وعددها ورأينا بأعيننا هزيمها وانهزامها وشهدنا أكثر من ذلك الروح الخفية التي تدفعها الى الفتح والتوسع في الآفاق والخلاصة رأينا المثل الأعلى الذي يمضي بها وقد دلنا على هذا المثل الأعلى عبد الله بن الزبير في خطبة من خطبه في فتح افرريقية اذ قال : فبتنا وباتوا ، وللمسلمين دوي بالقرآن كدوي النحل ، وبات المشركون في خمورهم وملاعبهم ، فهذا الدوي بالقرآن هو الذي دفع المسلمين الى فتوحاتهم فكان لهم أملان : أمل في الدنيا وأمل في الآخرة .

هذا كله اهتدى اليه المؤرخون ولكن الشيء الذي لا تزال نبجل أكثره أو أقله انما هو حالة بلاد العدو النفسية في تلك الفتوح ، فنحن نعلم في هذا العصر ان للحالات النفسية أثراً كبيراً في الحروب ، في الهزم والانهزام فالعدو وحدها لا تفسر لنا هذا الهزم وهذا الانهزام فلا بد من الوصول الى أعماق النفوس حتى نعلم حالاتها في مثل هذه الحروب فكيف كانت حالات بلاد العدو النفسية في فتوح المسلمين ، لاشك في أن جيوش المسلمين انتفعت بضعف هذه الحالات بقدر انتفاعها بقوة رجالها وشدة ايمانهم فالنارح لا يزال غامضاً في هذا المعنى فهو لم يفسر لنا الحالات النفسية في الجيوش المنهزمة وفي بلادها وهذا عنصر ذو شأن في عصرنا هذا في تحليلات الحروب .

واذا كان يجدر بنا الإشادة بكتاب الدكتور شكري فيصل : حركة الفتح الإسلامي فانا نشيد به لأنه لم يهمل في بعضه هذا العنصر العظيم .

www.alukah.net

## المجتمعات الإسلامية في القرن الأول

شكري فيصل

مطابع دار الكتاب العربي، عصر ١٣٧١ - ١٩٥٢

خرج التاريخ على مختلف أشكاله عن أن يكون مجرد حكايات وروايات وإنما هو إحياء لصور ماضية ، صور حروب ، صور جماعات ، صور مجتمعات وما شابه ذلك ، وإذا لم يشمل التاريخ على مثل هذا الإحياء كان جامداً ، فإذا روى لنا الفتوحات فإنا لا نكتفي برؤية جيش يزحف إلى جيش أو جند يفلبون جنداً وإنما نريد أن نرى العوامل النفسية في الغلبة والانكسار حتى نرى بأعيننا صوراً ناطقة بلحمها ودمها وروحها ، فالشيء الذي تشد الحاجة إلى معرفته في عصرنا هذا ، عصر التحليل والتركيب ، إنما هو صورة المجتمعات الإسلامية بعد فتوحات الإسلام ، كيف كانت الطبقات في البلاد التي استولى عليها المسلمون ، كيف كانت لغاتهم ، كيف امتزج المسلمون بهذه الطبقات أو كيف امتزجت الطبقات بالمسلمين ، وما هو أثر التفاعل في هذا الامتزاج ، كيف خالط لغة العرب اللغات الجديدة في البلاد التي غلب عليها العرب ، ما الذي استفادت من هذه اللغات أو ما الذي استفادت اللغات منها ، هذا ونظيره هو الذي يعيننا أمره في عصرنا هذا ، أنا نريد أن نرى جماعات ناطقة تشهد حياتها ونسمع كلامها ، نريد أن بنفض المؤلف التاريخ من مدافنه حتى نعيش مع أهله في مجتمعاتهم ونسمع كلامهم .

هذا ما بذل مجهوده فيه الدكتور شكري فيصل في كتابه : المجتمعات الإسلامية في القرن الأول .

في كتابه : حركة الفتح الإسلامي درس هذه الحركة حتى يصل إلى معرفة نتائجها في المجتمعات الإسلامية وفي اللغة والأدب .

وفي كتاب : المجتمعات الاسلامية أحيانا لنا هذه النتائج فيبين كيف أدت  
فتوح المسلمين الى انشاء مجتمعات جديدة وما هي الأطوار الجديدة التي دخلت  
فيها لغة العرب وأديبهم بعد الفتح .

وإذا شئنا أن نعرف شيئاً من مظاهر هذا الكتاب فانا نكتفي بأن نقول  
ان المتعارف ان مجتمعات الجاهلية كانت عبارة عن عصابات متناحرة تقوم على  
خلاف القبائل واتقسامها وان هذه القبائل كانت وكأنما كل واحدة منها أمة  
مستقلة الا أن الدكتور شكري فيصل لم يذهب هذا المذهب فقد قرأ ان  
مجتمعات الجاهلية لم تكن على هذه الصورة من الجمود والثنت ولم تكن القبائل  
نعيش في هذا التباعد وانما كانت هناك حركة تسوق القبائل وتقرب بينها .  
من الصعب أن نحيط في هذه الكلمة المختصرة بروح كتاب الدكتور فيصل  
من مجامع نواحيه ، من الصعب أن نحيط بآثار الفتوح الإسلامية في المجتمعات  
واللغة والأدب ، انا نعرف ، أن اللغة العربية بعد أن خرجت من بيتها لم تكن  
ملك العرب وحدهم كما يقول « دوزي » في محله وانما أصبحت ملك الولايات  
التي استولى عليها العرب فامتزج العرب بأهل تلك الولايات فكان لهذا الامتزاج  
أثر في العرب أنفسهم وفي لغتهم فاقتبس العرب عن المغلوبين من أهل الشام وفارس  
والقبط والبربر والاسبانيين والترك طائفة عظيمة من المفردات ، انتقل العرب من  
البدو الى عالم كانت آفاقه جديدة فاتصلوا بمدن ورثت أشياء كثيرة من الحضارات  
القديمة كحضارة الرومانيين . وحضارة الفرس فأثر هذا الانتقال في ثقافتهم فدرسوا  
فنون المغلوبين وعلومهم وأدت هذه الدراسة الى انقلاب في أفكارهم وأخلاقهم  
ولغتهم ذاتها .

وضح الدكتور فيصل في كتابه آثار هذا الانقلاب في مجتمعات المسلمين  
ولغتهم وأديبهم ففي كل عصر كان ناس يحرصون على مجتمعاتهم القديمة ولغتهم  
القديمة وناس يذهبون مذاهب جديدة ، ففي القرن الأول من الاسلام حاول

م (٩)

بعض الشعراء أن يحرصوا على الروح الجاهلية في شعرهم كما حاول بعد ذلك علماء اللغة أن يحرصوا على وحدة لغتهم إلا أن الفتوحات أثرت في الأدب وفي اللغة وليس بقليل أن نشهد عواقب هذه الآثار فترى كيف استفاض اللحن في كلام الناس .  
لقد استطاع الدكتور أن يصور لنا في مؤلفه العظيم هذا العالم الجديد الذي تصارعت فيه بعد الفتوحات الإسلامية لغة العرب ولغات ثانية ومجتمع العرب ومجتمعات ثانية حتى كدنا نرى آثار هذا التنازع بأعيننا فكأننا عشنا بين ظهراني الإماء والعميد والزنوج والأنباط الذين خالطوا العرب فتعلموا لغتهم وجمعوا بينها وبين عجمتهم ، ولكن لغة العرب بعد الفتوح غلبت على كل اللغات التي صرّت بها فلم تستطع لغة واحدة منها أن تتأصل العربية .

أفلا يحق لنا بعد هذه الصور الناطقة التي ازدحمت في كتاب : المجتمعات الإسلامية في القرن الأول أن نشي على صاحبه أجمل الثناء وأن نشيد بفضلته ومجهوده .

سفيان هبري

مخطوطات

## مخطوطات يمانية

في خزانة كتب الإمام يحيى

أهدى الى خزانة المجمع العلمي العربي حضرة الأمير سيف الإسلام عبد الله (مجلداً من فهرس كتب المكتبة العامة بجامعة صنعاء) وقد رأينا أن ننشر هنا طائفة من أسماء مخطوطات نراها قيمة بالذكر . جديدة بالنشر . ونعتمد في أكثر ما نذكره من المخطوطات على ما عثرنا عليه في مجاميع الفهرس .  
مجموع (رقم ٩) فيه رسائل مخطوطة للعلامة الأمير محمد بن اسماعيل (المتوفى سنة ١١٨٢هـ) كتبت في حياته منها :

رسالة في تحقيق مدة الحمل وأقوال العلماء في ذلك .

بحث في جواز الضرب على التهمة .



مجموع (رقم ١١) فيه رسائل مخطوطة للسيوطي منها :

- طي اللسان عن ذم الطيلسان
- إعلام الأريب بحدوث بدعة المحارب
- رسالة التبري من معرة الممرّي
- رسالة الطرطوث في البرغوث<sup>(١)</sup>
- اتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء
- الباحة في السباحة
- نزهة العمر في التفضيل بين البيض والسُمر
- الأوج في خبر عوج

مجموع (رقم ١٢) فيه رسائل مخطوطة لمحمد بن عبد القادر الأهدل منها ثلاث رسائل في موضوع الصندوق الناطق • اثنتان منها للأهدل والأخيرة للهندي الشافعي :

- (١) غاية الانتصار لكون الصندوق الناطق ليس من الأسفار
- (٢) أنوار الهدى في حكم صندوق الصدا
- (٣) فتاوى الفلاح على ما في فتوى حيلّ الصندوق والاسترواح
- (٤) رسالة للأهدل تتضمن جواب سؤال في مسألة الحواويل<sup>(٢)</sup> التجارية
- مجموع مخطوط (رقم ١٧) فيه مقصورة ابن دريد الصفرى ؟
- مجموع مخطوط (رقم ٢٨) فيه غاية النفع في نشر فضائل الزرع لشهاب الدين الرميلي
- مجموع مخطوط (رقم ٣٢) فيه كتاب التعاليق في علم النجوم

(١) الطرطوث أهمته للمحام فلمل صوابه الطرثوث بالثناء وهو نبت يؤكل كذاني اللسان .  
( المغربي )

(٢) المراد بالحواويل التعاويل وهي الحوالات التجارية للمروفة بين التجار أما الصندوق الذي ألفت فيه الرسائل الثلاث فالمراد به ما يسميه العامة ( صندوق المعجيب ) وهو معروف وكاد ينسخ استعماله أو المراد به صندوق الاذاعة ( الراديو ) المعروف في عصرنا هذا . والمخطوط الذي فيه هذه الرسائل قديم فيكون ( الأهدل والهندي ) قديمين . واسرة الأهدل مشهورة بالشرف في بلاد اليمن وقد ترجم صاحب خلاصة الأثر لعدة رجال منها منهم ( محمد بن عمر بن عبد القادر الأهدل ) توفي سنة ١٠٣٢ هـ فلمله مؤلف الرسائلين .

( المغربي )

- مجموع مخطوط (رقم ٣٥) فيه نبذة في علم الصياغة رواها احمد بن يوسف الأموي عن بني أعماس .
- مجموع مخطوط فيه (فلك القاموس في اللغة) وهو شبه مقدمة للقاموس المحيط تأليف السيد عبد القادر بن احمد .
- مجموع مخطوط (رقم ٥٠) فيه : بحث في الرعد والسحاب للسيد محمد الأمير .
- وجواب سؤال في بيع النساء له وسؤال في ملك الكمار على المسلمين له .
- مجموع مخطوط (رقم ٦١) فيه : قصيدة خالد بن صفوان التي سمتها العرب العروس مع شرحها الرسالة الحاتمية في ما أخذه المتنبئ من كلام الحكماء وأدخله في شعره .
- مجموع مخطوط (رقم ٨٤) فيه : كتاب الإعلام بوفيات الأعلام للذهبي .
- مجموع مخطوط (رقم ٨٨) فيه : رسالة صفة حل الزئبق ونحوه .
- قراءة الذهب في الأدب المنتخب .
- المستقصى من الأمثال للزمخشري تاريخ نقله سنة ٩٦٧ .
- أنوار المباني المنتظمة بيدائع المماني . الملتقطة من شرح ابن جنبي لديوان المتنبئ .
- مجموع مخطوط (رقم ٩١) وفيه : عجالة الجواب في الرد على شيعة معاوية الكلاب للسيد صلاح الأخصش .
- شرح قصيدة صاحب ابن عباد التي مستهلها :
- « قالت أبا القاسم استخفت بالفضل » الخ . للقاضي جعفر بن احمد بن عبد السلام .
- مناظرة المأمون في أمير المؤمنين علي عليه السلام منقولة ( من الصوارم المنتزعة في المناقب المرتضاة ) .
- هذا ما استحسننا ذكره من رسائل المجاميع المخطوطة وباقي الرسائل بل سائر ما في مجلدة الفهرس كلها كتب دينية في الحديث والفقه والعقائد والمناظرات التي يظهر من اسمها أنها مهاترات لا فائدة ترجى من وراء نشرها سوى تكرار القول وترديد الجدل . هذا في مخطوطات الفهرس أما مطبوعاته ففيها النفائس ولكن
- لا حاجة لنا في ذكرها كما لا يخفى .

المقربي

www.alukah.net

## التعريف بابن خلدون

ورحلته غرباً وشرقاً

تأليف عبد الرحمن بن خلدون عارضه بأصوله وعلق حواشيه السيد محمد بن تابوت الطنجي وهو بنحو (٤٥٩) صفحة من قطع الوسط ، نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة سنة ١٩٥١ .

أجمع العلماء على إجلال ابن خلدون وأنه أحد أفراد قلائل من بين علماء الأمة ولذا عني العلماء بسيرته كما عنوا بأبحاثه وآرائه ليصوروا للناس شخصيته . وهذا ما زين للسيد الطنجي العناية بهذا الفصل من تاريخ ابن خلدون ونشره في كتاب مستقل بعد أن عارضه بأصوله وعلق حواشيه . وهذا الفصل من كتاب العبر هو أبعد من أن يعرفنا بابن خلدون لأن التعريف يشمل سيرته الفذة وتحليل شخصيته بصفته عالماً ولا نجد هنا إلا نبذاً من حياته ورحلاته .

كان لابن خلدون قدرة فائقة بالحكم على الأشياء فلم يكتف كغيره بالنقل عن المتقدمين بل جمع ما أخذ منهم وكون من ذلك كله رأيه ، وأراد ابن خلدون أن يقدم للناس سيرته مجردة من كل تعليق ليترك لغيره حسب مذهبه رأيه عن أخلاقه وشخصيته ، والناس قلما يركنون للتراجم التي يصنفها أصحابها لأنفسهم ، وهم أحد رجلين إما يحب بنفسه فيبالغ بقدره أو متواضع فينقص من شأنه . وأما ابن خلدون فقد اعتمد الصدق والبساطة فيما كتبه من سيرته وسجل بها على نفسه بعض هنات خلقية قد يعاب بها ويؤخذ عليها ولولا اعترافه لما اكتشفت للناس وسلم من لسانهم .

ونشكر ناشر هذا التعريف على عنايته بتحقيقه ووضع حواشيه ونشره على الصورة التي يريد مؤلفه أن يكون .

•••••

## دولة بني قلاوون في مصر

الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجه خاص ، تأليف الدكتور محمد جمال الدين مرور مدرس التاريخ الاسلامي بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، جاء في نحو (٤٠٠) صفحة من القطع الوسط ، نشرته دار الفكر العربي في عام ١٩٤٧ عرفنا شغف مؤلف هذا الكتاب باستقصاء تاريخ مصر الاسلامية من مجته السابق عن عصر الظاهر بيبرس الذي كشف به عن صفحة لا تخلو من أسباب العظمة والمجد ، وعزز ولمه بدراسة ثانية عن مصر في عهد أسرة قلاوون ولا تقل هذه الدراسة عن الأولى شأناً ، فقد استعرض المؤلف في كتابه شؤون مصر الداخلية والخارجية والاقتصادية في عهد هذه الامرة وأشاد في مناقبها دون أن يبدي رأيه في مساوي حكمها . ولو أراد منصف أن يحاسب هذه الأسرة بحسب الوقائع التي بسطها المؤلف والحوادث التي سردها في كتابه خلقت موازبتها وتضامات معها جميع حسناتها . ولا يجد القارئ في سيرتها الا سلسلة من الغدر والمؤامرات والاعتيالات والتنافس على الحكم واستباحة الأموال وهتك الأعراض وإهمال شؤون الدفاع عن البلاد حتى طمعت بها أضعف الدويلات والامارات ، ولولا انشغال أوروبا وقتئذ بحروب المئة سنة لكانت مصر وبلاد الشام لقمة سائفة للأعداء .

وقد عثرت على بعض أخطاء مطبعية لم يشر اليها المؤلف في جدول التصحيحات رأيت التنبيه اليها ومنها :

صفحة	خطأ	صواب
١٠٥	مثالث المشركين	مثالب المشركين
١٣٣	الى الجليل الأحمر	الى الجبل الأحمر
١٣٥	بمديتين	بمديتين



صواب	خطأ	صفحة
الوق خان او الوغ خان	الجخان	١٣٩
وليكف أكف العادية	وليكف الكف العادية	١٨٣
قدمه في عنقه	قدمه في عنقه	١٨٥
سنة ١٣٠٣	سنة ١٣٠٥	٢٠٣
سراي وتسمى أيضاً بفتح سراي (راجع حوادث سنة ٧٣٠ من تاريخ ابن كثير) .	سراي	٢٢١
اذنة أو اذنة	اذنه	٢٢٩
ويقتلون منه أمراً	ويقتلون منه أمراً	٣١٦

وكان على المؤلف أن يذكر أسماء الأعلام الافرنجية بالحروف العربية أيضاً وأن يعرب أسماء الكتب التي نقل عنها لأن أكثر القراء لا يعرفون اللغات الفرية ولا الحروف اللاتينية .

وحبذا لو اقتدى مؤرخو بقية الأقطار العربية بمؤلف هذا الكتاب وأفردوا لكل عهد دراسة مستقلة لأنه يتمذر على الفرد أن يحيط بدقائق تاريخ أمة في جميع عهودها وبمعالجتها معالجةً عصرية .

جعفر الحسني

www.alukah.net

## تاريخ السلالة الحمدانية في سورية والجزيرة

تأليف ماريو كاتار (الجزء الأول)

منشورات كلية الآداب بالجزائر سنة ١٩٥١ ، في ٨٦٢ صفحة

*Histoire de la Dynastie des H'amdaniides de Jazîra et de Syrie-tome Premier Publications de la Faculté des lettres d'Alger, Alger 1951, 862 Pages.*

نشر الأستاذ ماريو كاتار هذا الكتاب إثر جهود طويّلة آتت أكلها اليوم بعد دراسة عشرين عاماً في الموضوع؛ سافر لأجلها المستشرق فتعرف إلى الأرض والتربة والكتب والمخطوطات والخرائب، وأكب فيها على تفهم العصر الحمداني من نواحيه المختلفة؛ فجمع له ما يستطيع الدارس جمعه من مصادر ومراجع ووثائق. وقد بدأ بجمع المصادر العربية المتعلقة بالعصر الحمداني فوفق إلى اصطفايد مخطوطاته ومطبوعاته ونشرها على الناس سنة ١٩٣٤ في كتاب قيم عنوانه: «نخب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار الأمير سيف الدولة الحمداني». وهو ما يزال مرجعاً لكل باحث عن حياة الأمير وعصره في مختلف نواحيه السياسية والتاريخية والأدبية.

ثم عكف بعد ذلك على دراسة النصوص اليونانية والأجنبية الأخرى التي عاصرت الأمير أو جاءت بعده فتحدثت عن حروب العرب ضد الروم والبلغار والروس والأرمن، ووصفت المعارك ورسمت حياة العرب وأسهمت في ذكر المواقع والأماكن والقصور والآثار. وهذا ثمين كذلك لا يقل فائدة عن المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة؛ وقد صدر في أجزاء ثلاثة في اللغة الفرنسية بالاشتراك مع غيره من الباحثين والمؤرخين بعنوان «العرب والروم». وهذا الكتاب

بمعرض علينا آراء الطرفين المتحاربين والأمتين المتنازعتين ، ومناقشة هذه الآراء  
تجلي الحقيقة التاريخية .

ولما تقدم الى الجامعة برسالة الدكتوراه منذ عامين جعل من النصوص الأولى  
والنصوص الأخرى ميداناً لبحثه ودرسه فكانت الرسالة في جزئين ، صدر منها  
الجزء الأول وهو في قرابة تسعمائة صفحة ، خصه بدراسة الناحية الجغرافية  
والتاريخية للأقاليم التي كانت مسرحاً لحوادث الحمدانيين ، وجعل الثاني لرسم  
الحياة السياسية والادارية والاقتصادية والأدبية في المملكة الحمدانية ؛ وهذا لم  
يصدر بعد .

أما الأول فقد بدأه بتعريف المصادر العربية التي تحدثت عن العصر والحمدانيين  
تعريفاً دقيقاً جامعاً لم تند عنه مخطوطة أو صحيفة أو نقش على حجر ، حتى لم يترك  
فيه قولاً لقائل ، وتعريفه أقرب الى تحليل الكتاب كله وبيان فائدته وأسلوبه  
وطريقة بحثه . ثم عقب على ذلك بتحليل المصادر الأجنبية التاريخية والأدبية  
قربها من القارئ وعرفه بقيمتها ونفعها .

وبعد تحليل المصادر شرع في رسم الأقاليم فوصف الجزيرة وأقسامها وقراها  
ومدنها وأنهاها في تفصيل وإيضاح ؛ ثم تطرق الى العراق وانتقل الى الثغور والعوامم  
كما تحدثت عنها العرب لهدم والروم لزمانهم ، وذلك كله في قرابة ثلاثمائة  
صفحة . ووقف بعد ذلك عند الحمدانيين يبين تاريخ أمرتهم ونشأتهم وما كان  
لهم من ثورة وأجناد في بغداد والموصل وما وقع لهم من طموح في الاستيلاء على  
أرمينية وبلاد الروم ، الى أن بلغ بهم حلب فتصدى لحكمهم فيها وحروبهم ضد  
المصريين أو ضد القبائل المغيرة ، ولم يقف عند سيف الدولة بل جعل كتابه  
في الحديث عن الأمرة الحمدانية كلها ، فبحث في سمد الدولة ثم في ابنه سعيد الدولة ،  
فنقل لنا حوادث مئة وخمسين عاماً من تاريخ هذه السلالة الى ان انقضى حكمهم .  
وذلك في قرابة أربعمائة صفحة .

وختم كتابه في تفصيل الحروب التي دارت بين الحمدانيين والروم فنظر فيها من جانبيين وعرض لها من ناحيتين ووقف بينها وقفة المؤرخ العالم فاستغرق قرابة مئتي صفحة ختم بها الجزء الأول .

ولمنا بهذا التحليل السريع رمحنا هيكل الكتاب ولم نعرض للتفصيل والمنافسة فذلك لا نكفيه صفحات النقد والتقرير وإنما يجوزنا الى كتاب في الموضوع ، فصدور هذا البحث يمدُّ عند المؤرخين من علماء المشرقيات حدثاً في الكشف عن عصر تلاحم فيه الشرق والغرب قبل الحروب الصليبية فكان تمهيداً لها وتجربة في جس النبض - كما يقولون - :

ونحب أن نشهد بفضل الأستاذ ماريوس كانار على الحمدانيين فقد بسط السبيل للباحثين ليمتدوا على المصوّرات والوثائق والمخطوطات التي جعلها بين أيديهم عربية كانت أو أجنبية يفيدون منها حين يبسطون القلم في الحديث عن عصر الحمدانيين سواء فيهم الأدباء والمؤرخون ، فقد عرض المؤلف للدواوين والكتب والأحجار فنأش ما تقدمه من عون وما تسديه من يد في إيضاح العصر والتعريف به . فالكتاب جدير بالدرس والتقدير ، جدير بالترجمة والنقل ، وهو من دعائم الكتب التي صدرت في السنوات الأخيرة عن تاريخ بلادنا وجغرافية أرضنا وفائدة دواويننا وأدبنا ، وهو يضيف يداً الى أيادي المخلصين من المستعربين الذين يريدون من بحوثهم وجه الله والحقيقة في حياض علمي وثبت مدرمي . فللأستاذ ماريوس كانار أوفر الشكر على ما قدم وبقدم في صيبل الفكر والتاريخ .

الدكتور سامي الرفان

دمشق :

www.alukah.net



## اكسير المحققين في القرن العشرين

تأليف : المحامي موسى نجيب برونس - بيروت

**الكتاب :** يقع هذا الكتاب في سبعين ومئتي صفحة من القطع المتوسط يضاف إليها ما يقرب من مئة صفحة استغرقها اهداء الكتاب ثم التعريف به مع عدة مقدمات كتبها بعض رجال القانون والطب الشرعي في بيروت الى جانب ترجمات لها باللغة الايطالية أو بها وبالفرنسية .

والنسخة التي نكتب عنها تحمل تاريخ ٢٧ ايلول ١٩٥١ تحت جملة « طبعة استثنائية » صادرة عن مطابع الدنيا في بيروت بحرف صغير وعلى ورق جيد .

**المؤلف :** كاتب أدب واسع الاطلاع ، ولا أشك أنه خطيب ، أو يجيد المرافعة أمام القضاة . وهو يقدم اليوم كتابه الأول الى الخزانة الحقوقية بعد أن قدم الى الخزانة الأدبية عام ١٩٤٨ كتيباً باسم « جولة في ربوع أدونيس » قدم له ميخائيل نعيمة .

**الموضوع :** موضوع الكتاب جزء من بحث عظيم الشأن جديد في اللغة العربية ، رغم أن الفكرة فيه تطرق اليها فقهاء المسلمين وأولوها عنايتهم وبحوثها بحثاً مستفيضاً أخذوه من العقل والشرع ، وهذه الفكرة هي « صحة الاقرار » ، أما هذا الكتاب فيدور على « انتزاع الاقرار » وقد قسمه المؤلف الى ثلاثة أبواب : بحث في الأول منها عن « مدى سلطة المحقق في الحصول على اقرار الظنين » وعن « قيمة الاقرار في الدعاوى الجزائية » وفي الباب الثاني بحث عن « التعميق الجزائي من الناحية العلمية » وفي الباب الثالث بحث عن المخدر المسمي « مصل الحقيقة » فأطلق عليه بالنسبة لرجال التعميق الجنائي اسم « الاكسير » هذه اللفظة

التي تدل على « ماء الحياة » او على تلك المادة السحرية التي حلم بالحصول عليها  
قدماء الفلاسفة ورجال الكيمياء .

بمرض المؤلف لعصور الارهاب والتعذيب التي مر بها العالم ويقول : ( وظل  
التعذيب في الغرب احدى الوسائل التي كانوا يلجأون اليها في حمل المتهم على  
الافرار ، ومنذ عهد الثورة أخذ تنظيم التحقيق يتطور بفضل الوعي العام وانتشار  
الثقافة ، فوجد في العالم من أهل الفقه والمعرفة من جعلوا المتهم أمانة في عنق  
المحقق وأوصوا به خيراً كما كان هناك من حاول فتح الباب في وجهه ، فاستهان  
بالخافي لدى الشدة ) .

ثم يستر المؤلف في حديثه عن الارهاب والتعذيب وكيف تطور مع المدنية  
الحديثة فأخذت صور العنف والاكراه المادي تختفي وراء الأساليب العصرية التي  
هي - على حد تعبيره - ذات صبغة شيطانية توصلت البشرية معها الى مشاهدة  
ما هناك من المآسي المروعة التي ارتكبت في أحضان ما يعرف اليوم باسم  
« جنون الاتهام الذاتي » حتى لكأن الانسان قد أمسى وهو أشد ما يكون فرحاً  
ومروراً لرؤيته نفسه يحفر قبره بظلمه .

ويحدثنا المؤلف مطولاً عن تلك الأساليب قاتلاً : ( لقد راحت الكيمياء  
والكهرباء وعلم الجراحة تقوم مقام رجل التحري صاحب الزنود المنقولة والسياط  
المجدولة ) الى أن يقول : ( وهكذا انتقلنا من الضرب بالسياط الى الصدمة  
الكهربائية ، من عذاب الوقوف أياماً والأأيادي مكبلة بالأصفاد الى الاغراق  
في المغاطس الثلجية ) الى أن يحدثنا عن الدكتور جاك لي الطيب الذي اعترف بأنه  
قد وفق بفضل البضع الى استئصال فكرة الاجرام من المجرمين ، فيواجه بمنف  
وجميع القائلين بنظريات مكافحة الاجرام بالعمليات الجراحية مستشهداً بقول أحد  
القضاة البلجيكيين : ( اننا اذا لم نرد البضع الى مكانه فنحن صائرون على شفا الهاوية ) .

ثم يحدّثنا المؤلف عن المتحضرات الكيماوية الحديثة « التي تذل العنقوان البشري » و « تفض من قناة الحرية الفكرية » و « تفقد الانسان سيادته حتى على ضميره » فيحدّثنا مثلاً عن « الاكتودرون » و « المورفين » و « المسكالين » و « السكوبولامين » و « الباتوتال » وكلها من أنواع المخدرات التي استعملت في الغرب في سبيل أخذ اقرار المتهمين وهم فاقدوا الارادة بتأثيرها .

والمؤلف وهو يذكر آخر المتحضرات المعروف باسم - مصّل الحقيقة - يسميه باكبر المحققين - الاسم الذي توج به كتابه - وهو ينادي بوجود تحريم استعمال هذا المخدر لا لأنه ، من الوجهة الانسانية أشدّ وقعاً على الكرامة الذاتية من التعذيب المادي ، بل لأنه من الوجهة العلمية لا يمكن الركون الى نتائجه ، لأن الباطن الانساني - كما يقول - عبارة عن بيئة يرتفع فيها جنباً الى جنب كثير الحقائق واخيلات فلا يمكن الوثوق عند فقدان الارادة من كون الحقائق وحدها هي التي تجري على لسانهم .

ويتهم المؤلف بنفر من العلماء يدعون بان « التحليل بالمخدر » انما هو أسلوب لمعرفة الحقائق بدون تعذيب يتم به أسلوب « التحليل النفسي » الذي تمت له السيادة في علم الاجرام الحديث ، ويرد عليهم قائلاً بأن التحليل النفسي يرمي الى معرفة المركبات العاطفية المكبوتة منذ عهد الطفولة ، بينما التحليل بالمخدر هو انتهاك حرمة الضمير الانساني ، ويؤيد المؤلف رأيه بأراء كثير من العلماء والفلاسفة ويستشهد بالأستاذ كولينتون البلجيكي اذ خطب في مؤتمر لياج فقال :  
( كفى ! كفى ! ان لني تصرف المحققين انتهاكاً فاضحاً لحرمة الباطن المقدس !  
قفوا أيها المحققون عند العتبة من هيكل الاقداس ، ولا تدنوا من كعبة الانسانية الحرام . . . ! ان اقتحامكم باطن هذا المقدس الرهيب ، اعني به هذا الكائن المعبر عنه بلفظ « انا » هو جريمة أشدّ هواناً مما تدعون التفتيش عنه ) .

ثم يجتزم المؤلف كتابه بفدلكة يعرض فيها رأيه صريحاً واضحاً ويقول في الرد على بعض المجددين الذين يرون في استخدام «التخدير» لكشف الجرائم خدمة للمجتمع : ( كلا ! بل الف كلا ! ان واجب كل منا ان يحول دون تطبيق مثل هذه الأساليب الجائرة حتى ولو اتهمنا بالرجعية والتأخر ، لأن هناك معارضة مقدسة تقاوم كل تقدم جائر ورفي مزيف ) .

نقد الكتاب : لا يمكن تصنيف هذا الكتاب - على جلال موضوعه - بين الكتب العلمية ، ولا هو من كتب القانون ، وأقرب الأوصاف له - على ما نرى - انه من كتب الأدب القانوني ، كذكرات رجال القانون وكتب المرافعات والقضايا الشهيرة والصور القضائية ، والذي نظنه ان المؤلف استوحى كتابه من صرافة عددها للدفاع عن متهم سبق اقراره بالجريمة فاستطاع بما أوتيته من حجة وسعة اطلاع الى انقاذ موكله ، مما جملة بفكر في الدفاع عن كل المتهمين الذين ينتزع الاقرار منهم انتزاعاً ، فصد الى تأليف هذا الكتاب يهاجم فيه الأساليب المختلفة لانتزاع الاقرار ، وفي مقدمتها أساليب التخدير الحديثة ، فكان كتابه - رغم التقسيم الذي فرضه على نفسه - مجموعة مرافعات منسجمة في أسلوبها متحدة في هدفها وقد صيغت كلها صياغة أدبية تعتمد على أسلوب الخطابة في التكرار والاعادة حيناً وفي التهميل والتخدير أحياناً كثيرة .

ان أسلوب الكتاب في جملة حسن رغم ما فيه من تكرار واصهاب في كثير من مقاطعه ، ورغم بعض التعابير الضعيفة ، او التشابه غير الدقيقة التي يحويها مثل : « كأنما بغرف من بحر الدعاية غرف المعدم الجائع » أو « نوع من البراز » . ولغة الكتاب تكاد تكون عالية لولا ما يشوبها من أغلاط شائعة كقول المؤلف : « الغير مشروع » و « تبرئة الغير مسؤولين » .  
وبما لا تقرأ المؤلف عليه اتباعه نسخاً قديماً في تصوير الأسماء الأعجمية يمددا عن لفظها الأصلي وعمما الف الناس كتابته في العصر الحديث كقوله : « جونيف »



و « لياج » و « غرينبارغ » و « امبريار » و « فييار » و « البنالين » .  
 وبما أخذناه على المؤلف أنه في الفصل الذي عرض فيه آراء بعض علماء الغرب  
 في ضرورة قبول مبدأ شرعية استعمال المخدر ضمن قيود وشروط تمنع الافتئات  
 على كرامة الانسان ، كاد يضمف ايمانه بوجود تحريم جميع الأساليب التي تمكن  
 الانسان من السيطرة على ضمير أخيه الانسان رغم ارادته ، اذ رأيناه وكأنه  
 اساق مع أولئك العلماء في إمكان التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة المجموع ،  
 ولكن المؤلف يعود الى حماسه وايمانه في نهاية كتابه ليعلم ضرورة تحريم استعمال  
 المخدر في جميع الحالات وهو يبيب بالشرق ورجاله الى التساند في الدفاع عن  
 كرامة الانسان والوقوف في وجه الأساليب التي أخذ رجال الغرب ومفكره  
 في الشكوى منها وذلك قبل أن يتشوه وجه الشرق اذا أخذ بها .

هرنان القطيب

•••••

### تاريخ مدينة دمشق

تصنيف الحافظ علي بن الحسن المعروف بابن عساكر المتوفى سنة ( ٥٧١ )  
 مطبوعات المجمع العلمي العربي ( المجلدة الأولى ) بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد  
 في نحو ٩٠٠ صفحة

بعد تاريخ ابن عساكر أكبر تاريخ في العربية . وموضوعه تاريخ مدينة دمشق  
 وتراجم من دخلها أو سكنها أو اجتاز بها أو باحدى ضواحيها .  
 ودمشق أول عاصمة للدولة العربية متوسطة بين بلاد المغرب : أندلس وتونس  
 وسراکش ومصر ، وبين بلاد المشرق : العراق وايران وما الى ذلك من أقطار  
 الإسلام . كما يعد مسجدها ( الجامع الأموي ) أحد عجائب الدنيا . لذلك  
 كانت مراكزاً مهماً يبرها أو يقصد زيارتها أكبر عدد من أعلام العرب والمسلمين .  
 ترجم ابن عساكر لهؤلاء وجمع فيهم أكبر نصوص موثوق بها فكان تاريخه  
 أعظم مجموعة تاريخية أثارت اعجاب العلماء واكبارهم .

وحيثما جرى الحديث في هذا التاريخ واستعظامه بحضور علامة مصر ومحدثها «الحافظ المنذري» أخرج مجلداً وأراه للحاضرين وقال في مؤلفه: ما أظن هذا الرجل الا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه وشرع في الجمع من ذلك الوقت ، والا فالعمر يقصر عن أن يجمع فيه الانسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتنه .

• وعلق القاضي ابن خلكان على كلام أستاذه المنذري بقوله: ولقد قال الحق . ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول . ومتى يتسع للانسان الوقت حتى يصنع مثله . وهذا الذي ظهر هو الذي اختاره وما صح له هذا الا بعد مسودات ما كاد يحصرها المد .

يحمل هذا التاريخ نحو عشرة آلاف ترجمة لشاهير الاسلام وفيه السيرة النبوية مفصلة وسيرة اخلفاء الراشدين ممن دخلوا دمشق أو بعض أعمالها في الجاهلية أو الاسلام وفيه تراجم اخلفاء الأمويين وقوادهم وثلثتهم وتراجم غيرهم من المراقبين والحجازيين واليمنيين ممن ضمتهم صنفين وفيه نصوص مشبعة عن العهد الأموي والبلاد الأندلسية وفتوحها وادارتها وقوادها مما يندر وجود مثله في غيره . وقد ترجم لأشهر خلفاء بني العباس كهارون الرشيد والمأمون والمعتصم والمتوكل وأشهر علماء ذلك العصر كالأوزاعي والشافعي وابن حنبل واصحاب الكتب الستة وترجم للجاحظ وأمثاله ، وأشهر قواد ذلك العصر كأبي مسلم الخراساني وطاهر ابن الحسين واحمد بن طولون وولده خماروبه وكبار الشعراء كأبي نواس والبحتري وابي تمام وغيرهم .

وبأقي في تراجم هؤلاء وأمثالهم بنصوص تتعلق بهم وذلك عن مصادر أصحبت مفقودة يصلح كثير منها أن يكون كتاباً مستقلاً لفزارتها وكثرة مادتها . وفي سنة (١٣٢٩هـ) قصد أستاذنا المرحوم الشيخ عبد القادر بدران طبع هذا التاريخ فاصطدم بعقبات حمة أعظمها كثرة الخطأ في النسختين المخطوطتين بالمشكاة الظاهرية بدمشق فعمد الى اختصاره وتهذيبه ليتمد عن الخطأ الذي

فيها ويحذف ما لم يظهر له معناه ولم يهتد الى صوابه . ومع ذلك فلم يسلم ما طبعه منه من الخطأ الكثير والتعريف . وقد طبع من هذا المختصر سبعة أجزاء كانت سبباً لتعريف العلماء والباحثين قيمة هذا التاريخ .

وظل العلماء ينتظرون طبعه طبعة علمية تجملهم بثقون بما فيه من نصوص . وكانوا ينتظرون أن يقوم بهذا العمل المجمع العلمي العربي لأن اسم الكتاب : « تاريخ مدينة دمشق » وقد حقق المجمع العلمي حسن ظن العلماء به فألف لجنة من علماء دمشق وأدبائها لتحقيقه وأتى بأجزاء كثيرة مصورة من هذا الكتاب من خارج دمشق وعهد بتحقيق الجزء الأول منه الى الأستاذ صلاح الدين النجد فقام بتحقيق ما أسند اليه خير قيام ، وبذل جهداً كبيراً في معرفة اصطلاحات المؤلف وشيوخه ورجال أصانده التي يسوقها في أول الخبر أو الحديث . وذلك صعباً حمة يفيد منها كل من سيقى بعمده في هذا التاريخ . وقد وضع في أوله مقدمة تبلغ ستين صفحة ضرب بها مثلاً حياً للمحققين والناشرين وضع فيها ترجمة حافلة للمؤلف على الطرق الحديثة ضمنها كل ما يتعلق بالمؤلف كما ضمنها شجرة نسب بني عساكر ومخططاً للعالم الاسلامي أشار الى المدن التي رحل اليها المؤلف لطلب العلم وسماع الحديث ثم ترجم للتاريخ نفسه فخلله تحليلاً دقيقاً وقارن بينه وبين تاريخ بغداد للخطيب . وبين مواطن النقد في كلا التاريخين ثم ذكر مختصرات تاريخ ابن عساكر والذبول التي وضعت عليه وأماكن النسخ المعروفة منها في خزائن العالم ثم وضع فهرس في آخر الكتاب .

وبعد هذا كله فقد توج هذا الجزء في أوله بكلمة ومقدمة للأستاذ الجليل رئيس المجمع العلمي العربي فزادته رونقاً وكالاً .

فالى المجمع العلمي العربي ، والى الأستاذ النجد نرف تهنيتنا على النجاح الذي أصابه هذا العمل العلمي الكبير وقد ظهر ذلك في أول جزء منه . والرجاء أن يطرد العمل في اخراج بقية الأجزاء .

محمد أحمد دهمان

م (١٠)

www.alukah.net

# آراء وأنباء

## أعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م

- |    |  |           |    |                                       |      |
|----|--|-----------|----|---------------------------------------|------|
| ٢١ | الاستاذ عمر ابوريثة                              | حلب       | ١  | الأستاذ محمد كردعلي (رئيس المجمع)     | دمشق |
| ٢٢ | الشيخ محمد زين العابدين                          | =         | ٢  | الدكتور اصعد الحكيم                   | =    |
| ٢٣ | الطبريزي كمار اغناطيوس افرام حمص                 | =         | ٣  | الأمر جعفر الحسني                     | =    |
| ٢٤ | الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) اللاذقية | =         | ٤  | الدكتور جميل صليبا                    | =    |
| ٢٥ | الشيخ سعيد العرفي                                | دير الزور | ٥  | حسني سبح                              | =    |
| ٢٦ | الاستاذ أنيس المقدمي                             | بيروت     | ٦  | الاستاذ خليل مردم بك                  | =    |
| ٢٧ | بشارة الخوري                                     | =         | ٧  | سليم الجندي                           | =    |
| ٢٨ | الدكتور صبحي الحمصاني                            | =         | ٨  | شفيق جبيري                            | =    |
| ٢٩ | عمر فروخ   | =         | ٩  | عارف النكدي                           | =    |
| ٣٠ | الشيخ فؤاد الخطيب                                | =         | ١٠ | الشيخ عبدالقادر المغربي (نائب الرئيس) | =    |
| ٣١ | الفيكونت فيليب دي طرازي                          | =         | ١١ | الاستاذ عن الدين التتوخي              | =    |
| ٣٢ | الدكتور نقولا فياض                               | =         | ١٢ | فارس الخوري                           | =    |
| ٣٣ | الأستاذ عيسى اسكندر الطوف زحلة                   | =         | ١٣ | محمد البزم                            | =    |
| ٣٤ | الشيخ احمد رضا                                   | جبل عامل  | ١٤ | الشيخ محمد بهجة البيطار               | =    |
| ٣٥ | الشيخ سليمان ظاهر                                | =         | ١٥ | الدكتور مرشد خاطر                     | =    |
| ٣٦ | الأب اس. مرموجي الدومسكي القدس                   | =         | ١٦ | الأمر مصطفى الشهابي                   | =    |
| ٣٧ | الاستاذ محمد الشربقي                             | عمان      | ١٧ | الدكتور منير العجلاني                 | =    |
| ٣٨ | الشيخ رضا الشيبلي                                | بغداد     | ١٨ | الاستاذ هنري لاوست                    | =    |
| ٣٩ | الاستاذ طه الهاشمي                               | =         | ١٩ | الشيخ عبد الحميد الكبيالي             | حلب  |
| ٤٠ | عباس العزاوي                                     | =         | ٢٠ | الدكتور عبد الرحمن الكبيالي           | =    |



٦٥	الاستاذ عباس إقبال	طهران	٤١	الشيخ كاظم الدجيلي	بغداد
٦٦	عبدالمعز الميني الراجكوتي	عليك	٤٢	محمد بهجة الاثري	=
٦٧	أ. كي	فرنسا	٤٣	الدكتور مصطفى جواد	=
٦٨	مامه	باريس	٤٤	الاستاذ احمد حامد الصراف	=
٦٩	دوسو	=	٤٥	كور كيس عواد	=
٧٠	كولان	=	٤٦	الدكتور داود الجلي	الموصل
٧١	مامينيون	=	٤٧	الاستاذ احمد امين	القاهرة
٧٢	هيس	سويسرا - زورنيخ	٤٨	احمد حسن الزيات	=
٧٣	كرينكو	كبرديج	٤٩	الدكتور احمد زكي	=
٧٤	ج. ا. اريري	=	٥٠	الاستاذ احمد لطفي البيد	=
٧٥	م. ا. ر. جيب	(او كفوردي)	٥١	خليل ثابت	=
٧٦	الفرد غليوم	لندن	٥٢	خير الدين الزركي	=
٧٧	اميليو غارسيما غومز	مدريد	٥٣	الدكتور طه حسين	=
٧٨	فرنسيكو جبرآلي	روما	٥٤	الاستاذ عباس محمود العقاد	=
٧٩	بروكن	المانية	٥٥	الدكتور عبد الوهاب عنان	=
٨٠	هارتمان (ريشار)	برلين	٥٦	الشيخ محمد الخضر حسين	=
٨١	ر. ه. ريتز	فرنكفورت	٥٧	الاستاذ محمد لطفي جمعة	=
٨٢	سترتين السويد	اوبسالا	٥٨	الأمير يوسف كمال	=
٨٣	استروب كوينهاغ	الدانبارك	٥٩	الأستاذ عبد الحميد البادي	الاسكندرية
٨٤	بدرسن	=	٦٠	حمد الجاسر	الرياض
٨٥	موجيك	فيينا	٦١	حسن حسني عبد الوهاب	تونس
٨٦	ماهلر	بودابست	٦٢	مارسه	=
٨٧	بكرسيكو كانفازولو	فنلاندة	٦٣	عبد الحمي الكتاني	فاس
٨٨	فيليب حني اميركة	پرنستون	٦٤	محمد الحجوي	مراكش
٨٩	سميدابو جمره سانباولو	البرازيل			

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

٢٦	الاستاذ حسن بيهم	دمشق	١	الشيخ طاهر الجزائري
٢٧	الأب لويس شينجو	≈	٢	≈ سليم البخاري
٢٨	الشيخ عبد الله البستاني	≈	٣	الاستاذ مسعود الكواكبي
٢٩	الاستاذ جبر ضووط	≈	٤	≈ الياس قديمي
٣٠	≈ عبد الباسط فتح الله	≈	٥	≈ أنيس سلوم
٣١	الشيخ عبد الرحمن سلام	≈	٦	≈ جميل العظم
٣٢	≈ مصطفى الغلاييني	≈	٧	≈ مالتجو
٣٣	الاستاذ عمر الفاخوري	≈	٨	≈ سليم عنخوري
٣٤	≈ بولص الخولي	≈	٩	≈ عبد الله رعد
٣٥	≈ امين الريحاني	≈	١٠	≈ رشيد بقدونس
٣٦	الامير شكيب ارسلان	≈	١١	≈ اديب التقي
٣٧	الشيخ ابراهيم منذر	≈	١٢	الشيخ عبد القادر المبارك
٣٨	الاستاذ جرجي بني	≈	١٣	السيد محسن الأمين
٣٩	≈ نخلة زريق	≈	١٤	الاستاذ معروف الأرناؤوط
٤٠	الشيخ خليل الخالدي	حلب	١٥	الأب جرجس شلحت
٤١	الاستاذ عبد الله مخلص	≈	١٦	≈ جرجس منش
٤٢	≈ محمد اصعاف الناشيبي	≈	١٧	الاستاذ قسطنطين الحمصي
٤٣	الشيخ سعيد الكرمي	≈	١٨	الشيخ كامل الفزي
٤٤	الاستاذ محمود شكري الآلومي	≈	١٩	الاستاذ ميخائيل الصقال
٤٥	≈ جميل صدقي الزهاوي	≈	٢٠	الشيخ بدر الدين النصافي
٤٦	≈ معروف الرصافي	≈	٢١	≈ راغب الطباخ
٤٧	≈ طه الراوي	≈	٢٢	≈ عبد الحميد الجابري
٤٨	الاب انستاس ماري الكرملي	حماة	٢٣	الدكتور صالح قنباز
٤٩	الشيخ احمد الاسكندري	اللاذقية	٢٤	الشيخ سليمان احمد
		≈	٢٥	الاستاذ ادوار مرقصي

باريس	٧٦	الاستاذ فران	القاهرة	٥٠	الاستاذ احمد زكي
=	٧٧	كليمان هوار	=	٥١	= احمد شوقي
=	٧٨	بوفا	=	٥٢	= حافظ ابراهيم
ايطاليا	٧٩	جويدي	=	٥٣	= اسعد خليل داغر
=	٨٠	نلينو	=	٥٤	= السيد محمد رشيد رضا
المانيا	٨١	هومل	=	٥٥	= الاستاذ مصطفى صادق الرافعي
=	٨٢	ساخاو	=	٥٦	= احمد كمال
=	٨٣	هوروفيتز	=	٥٧	= احمد تيمور
=	٨٤	مارتين هارتمان	=	٥٨	= مصطفى لطفي المنفلوطي
=	٨٥	ميتفوخ	=	٥٩	= الدكتور يعقوب صروف
سويسرا	٨٦	مونه	=	٦٠	= الاستاذ اوجينيو غريفييني
هولاندة	٨٧	صنوك هوغرينيه	=	٦١	= رفيق العظم
=	٨٨	اراندونك	=	٦٢	= داود يركات
=	٨٩	هوتسما	=	٦٣	= الدكتور امين المعلوف
انكلترا	٩٠	مرجليوث	=	٦٤	= الشيخ عبد العزيز البشري
=	٩١	بفن	=	٦٥	= الدكتور احمد عيسى
=	٩٢	يراون	=	٦٦	= الشيخ مصطفى عبد الرازق
كوبنهاغ-الدانمارك	٩٣	بوهل	=	٦٧	= الاستاذ انطون الجميل
» اغناطيوس غولدسبير بودابست	٩٤	» اغناطيوس غولدسبير	=	٦٨	= خليل مطران
الشيخ ابو عبد الله الزنجاني زنجان	٩٥	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	=	٦٩	= ابراهيم عبد القادر المازني
الاستاذ ماكدونالد اميركا	٩٦	الاستاذ ماكدونالد	=	٧٠	= الأمير عمر طوسون الاسكندرية
=	٩٧	هرزفلد	=	٧١	= الشيخ محمد بن ابي شنب الجزائر
» آسين بلاسيوس (بحرط) اسبانيا	٩٨	» آسين بلاسيوس	=	٧٢	= الاستاذ رينه بامه
لوييس (لشوتنه) البرتغال	٩٩	لوييس	=	٧٣	= ميشو بلير
تشكوسلواكية	١٠٠	موزل	طنجة	٧٤	= زكي مقاض
بولونية	١٠١	كوفالسي	الاستانة	٧٥	= الحكيم محمد اجل خان الهند
لبنغراد	١٠٢	كراتشكوفسي			

## تراكيب ومفردات غير فصيحة

من يستمع الى اذاعات المذيع وبتلو صحف الأخبار يسقط كل يوم على الفاظ وتراكيب تكاد تكون جديدة لم يسبق للقدماء استعمالها ولا عرفتها العربية فيما وصل الينا من دواوينها ومجتمعاتها وشعرها ونثرها . كلمات وتراكيب يستعملها بعض الكتاب وهي مرتجلة أو معربة عن اللغات الافرنجية تعريباً صعباً فلا تلبث الصحف أن تناقلها ، وربما صرت الى أقلام من كانوا على شيء من الفصاحة من دون أن ينتبهوا من أين أتتهم ، يستعملونها وهم لا يعرفون الا أن فلاناً من الصحافيين استعملها وهم لا يلزمون أن يبحثوا في أصلها لأن ذلك ليس من شأنهم . وما كثر استعماله : « وجهة نظر » تركيب افرنجي محض ترجمة : Son point de vue و« نظروا المسألة على ضوء ما لديهم من المعلومات » وهذا الضوء أيضاً مما سرى من لغة الافرنج ، وكذلك « مشبع بالاتفاق » . وما كثر ترده بأخرة « الامكانيات » ولعلها ترجمة Les possibilités الفرنسية كثرت كثرة زائدة كما كثرت منذ مدة لفظة « الهيل والهيلان » وهذه وان كانت عربية لكن الأذواق مجتهدا لكثرة ما استعملت في السياسة وفي غيرها من الموضوعات . وكلمة الامكانيات القبيحة كان الأولى اختيار صيغة أخرى للتعبير عن هذا المعنى فيقال : الامكان ، واللغة منسعة بفضل الله بألفاظها وتراكيبها على ما لا يكتب فيما نجسب للغة من لغات العالم .

وقد وقع كثير من مثل هذا التركيب لا يحضرني منه الا « تريوية » نسبة الى الترية ، نسبة تنافي القواعد وعلى سقمها صرت الى كتب التعليم المعتمدة في مدارس مصر والشام والعراق والسبب في مرايتها على ما أقدر ان أول من استعملها اعجمي عن اللغة حاول أن يتعرب ويعرب وكان على رأس بعض وزارات المعارف فحى بتصبه هذه اللفظة السخية وما استطاع العارفون انكارها عليه



مخافة أن ينقم منهم . وهذا الرجل هو الذي اخترع - جزاه الله خيراً - لفظة القبتاريخية للتعبير عما قبل التاريخ .

ومن الجديد « لم يطلب أي شيء منه » ، « لم تكن له أية فرصة للعمل » ، وكلمة أي في هذا الموضع لم تعرف في كلام فصيح ويمكن اصقاطها ويصح المعنى بدونها ، « حول وضع فلان » ، « تحوم حوله الشبهات » ، و« يبحث حول المسألة » ، والأولى « في وضع فلان » ، و« يبحث في المسألة » وهي تفني عن هذا التركيب العجيب ونظنه من استعمالات الفرنج تعريب Autour de وليس من تراكيب الفصحاء في شيء . ومنها قولهم « هذا لا يصح إطلاقاً » لعلمهم بقصدون . مطلقاً وهذه كثرت في كلام المصريين . ومن جديد « يهدف الى » يقصدون يرمي الى أو يقصد الى ومعنى يهدف الى باللغة العربية يقرب ، وفي الأساس : يهدف الى الخسين أي يقرب منها ، ومنه « التضحية » « ضحى بنفسه » تعريب Sacrifice و Se sacrifier وهما من تماير الافرنج ، ومنها « كوسيلة لتحقيق المطالب » « كخبير مالي » ، « الاعتراض على اسمه كرجل » ، « لا أستطيع كرجل قانون » ، وكل هذه الكافات من مواضع الفرنج يمكن الاستغناء عنها أو استعمال صيغ أخرى لا تخل بالمعنى المراد ، ولا يعمد الى هذه الصيغ التي ما شئت روح العربية . « المعروفين في حقوق الأدب والمال » وهذه الحقول ما عهد استعمالها عند الفصحاء . « اشتملت بلدة كذا ابتهاجاً بالحدث الجديد » من أسمح الاستعارات . « هاتجة ضد شركة كذا » ، « الدعوى المرفوعة ضد النائب » والأولى هاج على ومرفوعة على . « قرار هام » و « حدث هام » وليس لهذا اللفظ أثر في اللغة على ما عرفنا والأولى أن يقال مهم . « الأمر الذي لا يتفق » والأولى : بما لا يتفق . « مدير عام مصلحة الحجر الصحي » الأولى مدير الحجر الصحي العام وهذه تكثر في عبارات المصريين ولفظة « مصلحة » لا أثر لها في اللغة بهذا المعنى والأولى أن يقال دائرة أو ديوان . « اتخذت الأمم المتحدة قرارات في صالح البلاد المنعمرة » وهذا الصالح غير صالح في الاستعمال ، والأولى الاستعاضة عنها بمصلحة .

وشاع كثيراً هذا التركيب الجديد « وضع النقط على الحروف » والأصل فيه على حرف I وفي اللغة الافرنجية : Mettre les points sur les I أي وضع النقاط على حرف ( I ) أي أفصح بصورة صريحة ودقيقة بما بحيث لم يترك شيئاً الى الشك .

من الملاحظات المحدثه « بسبب ارتقاء رصيده من حوادث السرقة » استعارات بعيدة عن مناحي البلاغ . « بدر عليه أرباحاً خيالية » ترجمة Fabuleux أي فاحشة لا تصدق ولفظة فاحشة أو مفرطة تقوم مقامها . « يكون المجلس مشكلاً » الأولى مؤلفاً والتشكيل بهذا المعنى لم ترد في المعاجم . « انقضاء على أي حركة تهدف الى تقدم الافريقيين » الأولى اصلاح هذه الجملة هكذا : القضاء على كل حركة بقصد بها تقدم الافريقيين ، أو ما هذا معناه . « بأمل بدوره تلبية هذه الدعوة » تركيب ما ثم رائحة العريية ، « كان الجو مفعماً بروح الوطنية الديمقراطية الحقة التي أضفاها الرئيس بوداعنه وبشاشته » وإذا أريد إصلاح الجملة على المناحي العريية فيقال : تجلي ، بدون جو مفعم ، وبديل أضفاها أفاضها . « ذلك العاقل دوماً » انها ترجمة حرفية Il est toujours sage وهي ترجمة رديئة ويستعاض عن « دوماً » بدائماً أو أبداً أو نحو ذلك . « طريقة التقديمية » و « التقديمية » بشعة وان كان لفظ التقديم عريباً . « نوعاً ما » ، « قريبته الجديدة النموذجية » ، « ازدهرت البلاد صناعياً وتجارياً وزراعياً » ، « تؤمن رجماً » أي تضمنه . « كانت مرغوبة » أي مرغوباً فيها ، « تفكيراً جدياً » ، « تعمل جدياً » أي يجيد ، « أخذ من الباقي وسطياً » ، « استدامة هذه النفقات » يريد دواها ومعنى استدام خلق الطائر في الجو وهو غير المراد هنا . « دوائر متضخمة بالموظفين » الأولى خاصة ، « كان مصيباً اجتماعياً واقتصادياً » ، « حاز على » ، « الحائز على شهادة كذا » ، وحاز لا يتعدى بلى فيقال حائز الشهادة . الى غير ذلك . هذا بعض ما يرتكبه كتاب لا يطلب منهم أن تخلو كتابتهم من كل عيب

وخصوصاً من يطلب منهم الاسراع في نقل أفكارهم وأفكار غيرهم من رجال الصحافة . ولكن مثل هذه الألفاظ سرت الى أقلام من وقع الاجماع على أنهم سادة رجال الأدب وسدنة هياكل البيان . أخذوها في الحداثة ولم يحسنوا التفتت من سلطانها بعد تمكنهم من الآداب . فترام يقولون « يلبب الشعر دوره » ، « يلبب موضوع الفكاهة دوره » ، « لبيب دوراً كبيراً » ، « لبيب البيان دوراً كبيراً أخطر » ، « هيأته للدور الذي لعبه » كأن اللغة ضاقت حتى بلجاً مثل هذا العالم الى لفظة الدور أو هذا التعبير الافرنجي المحض وعندنا عشرات من تمايرنا ما تقابله به وبمئتنا عن هذا التركيب الافرنجي .

وجاءنا السيد الكاتب بألفاظ افرنجية لها أيضاً ما يقابلها كقوله اللغات « الكلاسيكية » أي الأمهات أو الراقية ، وقوله « السيكولوجي » و« اليبداجوجي » الخ وكله مما لا يصعب عليه أن يورد ما يقابله من الفصحى .

أما بعد فقد كان العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي عليه الرحمة من أول من اتبه من علماء اللغة المعاصرين الى ما يقع للصحف من هفوات لغوية في الألفاظ والتراكيب فكتب مقالات سماها « لغة الجرائد » ثم جعلها في كتاب برأسه فتداولته الأيدي وانتفع به الكتاب والمؤلفون . وتعاور هذا الموضوع علماء اللغة فمنهم من أقرّ الشيخ اليازجي على رأيه في سقم بعض الألفاظ والتراكيب بيجملتها ومنهم من تقد بعضها وخرّج لها التخارج كما فعل صديقنا العلامة سليم الجندي .

ولا أعرف اليوم غير مجلة واحدة تعاني هذا الموضوع اللغوي الجليل .

ويا حبذا لو تفضل بعض اخواننا من المعنيين بالبحث في اللغة وتميز بهرجها من صحيحها وكتبوا لنا رسالة ثانية في لغة الجرائد لهذا العهد وما جد فيها من تراكيب وألفاظ . فاللغة عرضة أبداً لدخول الجديد عليها مما لم يعهد استعماله وسيطر ذلك مادام العلم يسير سيراً مربحاً والأفكار تنسج فتمس الحاجة الى التعبير عنها وتصويرها حتى تؤدي المراد منها . واللغات كسائر ما في الكائنات تنمو وتذبل وتحتاج في نموها الى جديد وفي ذبولها الى ما يستعاض عنه ويكون على نصرة وجميل أرج .

محمد كرد علي

—•••••—

## بين الفصحى والعامية

كتب الاستاذ محمد زكي عبد القادر في جريدة « الأخبار » المصرية تحت عنوان « نحو النور » ما يأتي :

« كم أشفق على هؤلاء التلاميذ ، وهم في مطلع مرحلة التعليم الابتدائي ، حين تفرض عليهم حفظ كلمات عربية صميمة ، يصب علينا نحن الكبار حفظها ، واليك بعض الكلمات المقررة على تلاميذ السنة الثانية الابتدائية في مادة المحادثة العربية أتقلها من الكتاب المقرر لهم :

- الكنة = البلكونة • الدريئة = البرافان • الككة = الناموسية
  - المشوش = الفوطنة • السكردان = البوفيه • الشجاج = السيوف
  - الصيهور = المطبقية • الناجود = البرميل • الانج = المانجو
- وأنا حين أتقل اليك هذه الأسماء ، أريد أن أصور لك ما يعاناه هؤلاء الصغار .

عيسى متولي

وأنا أقول لك ولوزارة المعارف وللمجمع اللغوي انها جريمة في حق اللغة العربية وفي حق الأولاد وفي حق الأجيال القادمة أن نتمسك بهذا السخف ، ونصر على أن نجد لكل كلمة أوربية أو امريكسية اسما عربياً صحيحاً لا يأتيه الباطل من أمام ولا من خلف ...

ولست أعرف بأي عقلية تفكر ؟ .. ان كل اللغات دخلت عليها كلمات وعبارات من اللغات الأخرى . واللغة العربية نفسها ليست خالصة ، فان فيها عدداً كبيراً من الكلمات الفارسية والهندية وليس في هذا ما يثبنها ، فانها صنة التطور ، وحاجة الارتباط والتبادل بين الشعوب .

واللغات كالحضارات والمعادن والتقائيد وككل مظهر من مظاهر النشاط الانساني لا يمكن أن تقف بمعزل عن التيارات العالمية ، لا بد ان تعطي وتأخذ ، وتندمج في غيرها وبتدريج فيها .



وقد أخذت اللغات الأوربية كثيراً من الألفاظ اللاتينية ، وتكاد ترتد جذور التعبير الانساني بالكلام الى أصول واحدة . واللغة وسيلة للتفاهم وليست حلية للتفاخر . وعلى قدر سهولتها ووضوحها وليونتها يكون ذبوعها وانتشارها ، فلماذا نحاول أن نعقد لغتنا ونجعلها أضحوكة بيننا نحن الذين نتحدث بها ؟ لماذا نحاول أن نجعل كلمة « الكنة » بدلاً من البلكونة ، وكلمة « السكردان » بدل البوفيه ، وكلمة « الثجاج » بدل السيْفون . . . أيها أبسط وأسهل وأقرب تعبيراً عن المقصود المفهوم ؟ أم نريد أن نتحدث بالألغاز ؟

ثم هل يحسب الجمع اللغوي المحترم بأعضائه الأعلام أن استعمال الكلمات وذبوعها وانتشارها يمكن أن يتم بقرارات ؟ لم يبق الا أن يصدروا مراسيم ويفرضوا عقوبات . اني أحرض علناً أولادنا تلاميذ المدارس الابتدائية على الكف عن هذا الهذر السخيف ، وأحرض علناً المدرسين الأفاضل أن يكفوا عن ازعاج التلاميذ وفساد ذوقهم بهذه الكلمات الثقيلة السبجة .

أحرض هؤلاء وهؤلاء لا كرهاً في اللغة العربية ، ولكن حباً لها واشفاقاً عليها ، أن تنمو كراحتها في نقوس الصبيان وهم يرونها تصر أن تسمى « السيْفون » وهو لفظ رقيق باسم « الثجاج » وهو لفظ ثقيل . . . صامح الله الجمع اللغوي ، ولكن لا صامح وزارة المعارف التي أقرت هذا السخف .

محمد زكي عبد القادر

وجاء في الجريدة نفسها بتعليق المعلق الأول ما يلي :

« اطلعت على كتبتكم الخاصة بتعريب الكلمات الأجنبية الى عبارات عربية يصعب على الصغار كما يصعب على الكبار استيعابها . وهذا الوضع خطأ كبير يرجع بالالفه العربية الى الورا . وأرى أن يتبع أولو الأمر في تعريب الكلمات الأجنبية ما يتفق مع ألفاظها الافرنجية . فهذا يرقى بالالفه العربية الى مستوى اللغات الأخرى . ولبس في ذلك بدعة فالقرآن الكريم نفسه يحوي عشرات

الكلمات الأعجمية عرّبها التنزيل ، كما أخذ الافرنج عن العرب كثيراً من ألفاظهم العربية خاصة بالتشريع البحري وقت الحروب الصليبية . ويشهد بذلك عملاء القانون البحري في أوروبا ونذكر من ذلك على سبيل المثال كلمة Avarie ومعناها «عوار» و Amiral «أمير البحر» و Arsenal «دار صناعة» و Calphater «قلنتة» و Cable «حبل» و Corsaire «قراصنة» و Ancre «أنجر أي المرساة» . الى غير ذلك من الكلمات . محمد كامل ملش

ترى هل يقتنع المجمع العلمي بهذا ويريح نفسه ويريجنا من هذا العبث الذي ينفق فيه الكثير من الوقت والجهد . ولست أعرف الايبانية ، ولكنني حينما زرت مدريد في الشتاء الماضي وأنصتُ الى أحاديث الايبانيين ، لاحظت أن لغتهم أخذت الكثير من الكلمات العربية . ولم تأخذ الكلمات فحسب ، بل أخذت أيضاً الكثير من التقاليد والعادات .

ان محاولتنا أن نمنزل أنفسنا عن العالم محاولة تدل على ضيق الأفق ، وسوء التفكير . . ألا ينادي البعض اليوم بالعودة الى النظم التي كانت سائدة في عصور الاسلام الأولى ؟ أليست هذه ردة عجيبة في وقت يدعو فيه كل شيء للتحرر والتقدم . . . . . وهؤلاء القائلون أنفسهم قد قدموا الدليل على أنهم لا يفهمون روح الاسلام ولا حكمة التشريع ، ولو رجعوا الى ما كان يجري في صدر الاسلام من قياس الأشياء بضروراتها ، ونسخ الأحكام ، وتيسير الأمر على الناس ، ولو وعوا أن الاسلام لم يقصد قط خلود حكم من الأحكام فيما عدا العبادات ، لأدركوا أي دين عظيم هذا الدين ، وأية شريعة صحيحة هذه الشريعة . . ولكنهم بضيق التفكير وضآلة الفهم يجنون على الاسلام أعظم جنابة . . ليست اللغة اذن هي التي يصيبها شر الجامدين ، ولكنها أقدار البلاد ومصائرنا أيضاً . . وقاها الله الشرين .

محمد زكي عبد القادر

هذا ما نشرته «الأخبار» وما نخال أن شفقة الناقد على صفار التلاميذ بفساد أذواقهم إذا امتظروا مثل هذه الكلمات الا شفقة في غير محلها ، ولم ندرك وجه الثقل في الألفاظ العربية وما كان ظاهر الخفة في المفردات الافرنيجية ولا السر في تحسين هذه في ذوقه وتقييح مرادفها من العربية .

وعندنا أن ذوق الطالب يستقيم اذا أكثر من تلقف ألفاظ عربية في دراسته الأولى فيألفها ذوقه وان رأى فيها شيئاً غريباً عنه ، بألفها أكثر من ألفاظ ما حبيت الى من حبيت اليه الا لاستحكام العامية فينا في معظم مظاهر الحياة ، على حين نزعم أننا دعاة تجديد وأباة جمود . وأغرب ما في الباب أن تصدر هذه النقذات من صاحب قلم ما زال مشرعاً في خدمة العروبة والمدنية .

وانا اذا اكتفينا بما ورثناه من عصر الانحطاط اللغوي من الألفاظ الفرنيجية التي تسربت الى لغتنا على حين غفلة منا وتجانينا عن الأخذ باستعمال ما يضمنه لنا مجمع اللغة العربية من الألفاظ فمضى ذلك أننا ندعو جبهة الى زيادة نصيب العامية في كلامنا زيادة تخرجها مع الزمن عن جمالها واستقلالها فتصبح كلفة مالطة كل لفظة من لغة تجالف الأخرى . وعندها نندم لفتح الباب أكثر مما فتح للدخيل وتكثر الألفاظ الفرنية في لغتنا حتى تكاد لا تضبط ولا يوجب دخول ألفاظ من الفارسية والهندية في لغتنا قديماً ان نرحب اليوم بكل دخيل وهو يسري اليها بالألوف ، وهل من الحكمة أن تقرها كلها ولا تترك لأهل الرأي في اللغة أن يقرروا الأصلح لسلامتها ودفع عادية الغريب عنها .

لا جرم أن الناقد الحصيف اذا أعاد نظره فيما كتب وتروى قليلاً في الرأي الذي سارع الى اصداره يشاطرنا رأينا في الاستعاضة عن الدخيل بما يسد مسده من لغتنا . وكنا نتوقع منه أن يثني على جهود مجمع اللغة العربية المصري في العناية بما أنشئ لأجله لسلامة اللغة ، لا أن يحمل عليه كما اعتادت بعض الصحف أن تضربه وتدميه منذ السنة الأولى لتأليفه مدفوعة بشهوة النقد أو من

م . ك

www.alukah.net

باب : خالفت تعرف .

## فهرس الجزء الأول من المجلد الثامن والعشرين

	صفحة
ابرهيم البازجي . . . . .	٣
للأستاذ محمد كرد هلي . . . . .	١٨
تمرب الاصطلاحات الطبية . . . . .	٢٨
للككتور جميل صلبيا . . . . .	٣٤
أوضاع لفوية عسكرية . . . . .	٤٥
للأستاذ عبد القادر المنري . . . . .	٦١
الائلندا هي أميركا الجنوبية . . . . .	٧٩
» جورج ليان . . . . .	٩٦
» طه الهاشمي . . . . .	١١٧
» نعيم الحمصي . . . . .	١٢٦
» عباس المزاري . . . . .	١٢٨
للككتور محمد حميد الله . . . . .	١٣٠
للأستاذ محمد مهجة اليطار . . . . .	١٣٣

### الاعريف والنقد

حركة الفتح الاسلامي في القرن الأول . . . . .	١٢٦
للأستاذ شفيق جبري } . . . . .	١٢٨
المنهضات الاسلاميه في القرن الأول . . . . .	١٣٠
مخطوطات يمانية . . . . .	١٣٣
» عبد القادر المنري . . . . .	١٣٤
الاعريف بابن خلدون . . . . .	١٣٦
للأمير جعفر الحيني } . . . . .	١٣٩
دولة بني قلاوون في مصر . . . . .	١٤٣
تاريخ السلاة الحمدانية في سورية والجزيرة . . . . .	١٤٣
للككتور سامي الدهان . . . . .	١٤٣
» مدنان الخطيب . . . . .	١٤٣
للككتور محمد أحمد دهران . . . . .	١٤٣

### آراء وأباء

أعضاء المجمع الطبي المنري في سنة ١٣٧٢ هـ ١٩٥٣ م . . . . .	١٤٦
أعضاء المجمع الطبي المنري الراحلون . . . . .	١٤٨
تراكب ومفردات فير ضبعة . . . . .	١٥٠
للأستاذ محمد كرد علي } . . . . .	١٥٤
بين الفصحي والعامية . . . . .	١٥٤



## مَطْبُوعَاتُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ بِدِمَشْقَ

- ١ - محاضرات المجمع العلمي العربي ( الجزء الأول )
- ٢ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسن التنوخي ( الجزء الثاني ) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٣ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسن التنوخي ( الجزء الثامن ) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٤ - رسالة الملائكة لأبي العلاء المامري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٥ - المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٦ - تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٧ - المتجدد من فعلات الأجداد للقاضي أبي علي المحسن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٨ - كتاب الأثرية لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ - غوطة دمشق ( الطبعة الأولى والثانية ) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ - كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ - ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي . قدم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٢ - ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٣ - ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكلمته الأستاذ خليل مردم بك
- ١٤ - ديوان ابن جيسوس ( الجزء الأول ) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك .
- ١٥ - = = = = ( الجزء الثاني ) = = = = .
- ١٦ - ديوان الواواء دمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
- ١٧ - تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ( المجلد الأول ) بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد .
- ١٨ - عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

- ١٩- المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النجمي ( الجزء الأول ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسني
- ٢٠- المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النجمي ( الجزء الثاني ) :  
بتحقيق الأمير جعفر الحسني .
- ٢١- الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢٢- = = = = ( الجزء الثاني ) = = = =
- ٢٣- الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنفراوي الاستانبولي : شرح  
وتعليق الأستاذ محمد بهجة البيطار .
- ٢٤- طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن  
يوسف بن رسول: بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. صرمتين
- ٢٥- فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي : بتحقيق الأستاذ  
صلاح الدين المنجد
- ٢٦- تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
- ٢٧- التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب
- ٢٨- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ( قسم التاريخ ) وضعه  
الدكتور يوسف المش
- ٢٩- المتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربيعي
- ٣٠- تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
- ٣١- بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
- ٣٢- الرسالة النباتية : للأمر مصطفى الشهابي
- ٣٣- المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
- ٣٤- الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني

نباع مطبوعات المجمع العلمي العربي  
في المكتبة العربية لأصحابها عبيد اخوان بدمشق